

الشيعة والتشيع لأهل البيت

د. أحمد راسم النفيس

مكتبة الشريعة الدولية

البرنامج الوطني لدار الكتب المصرية

الفهرسة أثناء النشر

(بمطابقة فهرسة)

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية (إدارة الشؤون الفنية)

انفيس . أحمد راسم

الشعبة والنسب لأهل البيت / أحمد راسم انفيس

١ - القاهرة مكتبة "١" وفي الدولة.

٢٤٨ ص ١ × ٢٤ سم.

تدرك : 8 - 1795 - 09 - 977

١ - أهل بيت الرسول ﷺ

٢ - الشعبة

- العنوان

رقم الإيداع ١٧٨٣٢ / ٢٠٠٦ م

التقديم الدولي 8 - 1795 - 09 - 977 . LS.B.N.



مكتبة نرجس PDF

www.narjes-library.blogspot.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	
الفصل الأول: أصل الشيعة	
الفصل الثاني: الإمام	
الفصل الثالث: اضطهاد الشيعة بعد رحيل الإمام	
الفصل الرابع: ألزمة أهل البيت ..	
(١) علي بن أبي طالب	
(٢) الحسن بن علي	
(٣) الحسين بن علي	
كربلاء	١٢٨
استشهاد الحسين	١٣٧
أيام معاوية بن يزيد بن معاوية	١٤١
(٤) علي بن الحسين السجاد زين العابدين	١٤٢
(٥) محمد بن علي بن الحسين (محمد الباقر)	١٥٢
(٦) جعفر بن محمد (الصادق)	١٦٠
(٧) موسى بن جعفر (الكاظم)	١٦٦
(٨) علي بن موسى (الرضا)	١٦٨
(٩) محمد بن علي بن موسى (الجواد)	١٧١
(١٠) علي بن محمد بن علي الرضا (الإمام الهادي)	١٧٤

(١١) الحسن العسكري

(١٢) محمد بن الحسن العسكري (المنهني المنتظر)...

الفصل الخامس، نشأة المذاهب الإسلامية والاجتهاد عند الشيعة

الفصل السادس، أركان الشيعة

الفصل السابع، بعض الاختلافات في الصروع الفقهية بين الشيعة والسنة

الفصل الثامن، شبهات حول الشيعة

الفصل التاسع، هرق الشيعة

مقدمة

بالرغم من أن المسلمين على اختلاف مذاهبهم يجتمعون في الزمان والمكان أنفسهم في موسم حج بيت الله الحرام، ويؤدون المناسك نفسها؛ إنفاقاً للفريضة الإلهية واتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي خطب قائلاً في حجة الوداع: «إني معاكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا» رواه مسلم، ورغم اشتراك الدول الإسلامية على تنوع مذاهبها في منظمة المؤتمر الإسلامي وما يعنيه هذا من اعتراف متبادل والتقاء حول السياسة والمصالح بين أبناء الأمة الواحدة رغم تنوعها المذهبي، إلا أن التعارف بين هؤلاء يبقى قاصراً عن تلبية ضرورات أخوة العقيدة، كما أمر رب العزة جل وعلا ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠].

الأسباب التي أدت إلى غياب المعرفة المتبادلة، التي قادت إلى أن يتبنى البعض مجموعة من التصورات الخاطئة عن الآخر المسلم، كثيرة ومتنوعة، وقد ورثها المسلمون عن عصور التخلف والانحطاط الحضاري التي يتفق الجميع على ضرورة التخلص منها والانطلاق نحو التور والتقدم.

لم يعد مقبولاً في عصر الانفجار المعرفي والسموات المفتوحة أن تبقى هذه الحالة مخالفة لأمر الله سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

التعارف المشار إليه في الآية الكريمة يعني التعرف على الأفكار والمعتقدات التي تؤمن بها هذه الشعوب على وجهها الصحيح ومن مصادرها الأصلية، فما بالك إذا كانت كل هذه الشعوب تنتمي إلى دين واحد هو الإسلام، وتعبد لإلهاً واحداً هو الله الواحد الأحد، ولها كتاب واحد هو القرآن، ورسول واحد هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٩.

التعارف بين أبناء المذاهب الإسلامية المختلفة يحتاج إلى تحرى الدقة والموضوعية والإنصاف، وهو ما فشتقه في الكثير من يتصدرون لهذا الشأن والذين يتقنون كل ما يصل إلى أسماعهم، ومن بينها تلك الخرافة الشهيرة التي تلوكها بعض الألسن عن الشيعة، خرافة الوحى الذى أخطأ طريقه من على بن أبى طالب إلى محمد بن عبد الله عليه السلام، بينما يعرف القاصى والعانى أن الشيعة يعاتبون على (إفراطهم) فى الحب والولاء (لآل محمد) أى ابن محمد صلى الله عليه وآله وسلم عندهم هو الأصل وهو أبسط كل خير ساقه الله إلى بني الإنسان ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٧٨)﴾ [التوبة: ١٧٨].

ولذا فنحن نتمنى على كل مسلم أن يتحرى الحقيقة بنفسه بدلاً من أن يكتفى بما يسمعه من الآخرين، كما نتمنى على كل المشتغلين بعلوم الدين أن يتقوا الله فى دينهم وإخوتهم من المسلمين، فإن الكلمة التي يطلقها أى منهم هى شهادة يشهد بها أمام الله ﴿سُكِّبَ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

الصراع بين أبناء المذاهب

يروى ابن أبى الحديد^(١) عن الخصومة بين الشافعية والأحناف وقت الغزو التترى للعالم الإسلامى فيقول:

ولم يبق للفتار إلا أصفهان حيث نزلوا عليها مراراً سنة ٦٣٣ هـ، فحاربهم أهلها وقتل من الفريقين مقتلة عظيمة ولم يبلغوا منها غرضاً، حتى اختلف أهل أصفهان على طائفتين حنفية وشافعية وبينهم حروب متواصلة، فخرج قوم من الشافعية إلى من يجاورهم من ملوك التار فقالوا لهم: اقتصدوا البلد حتى نسلمه إليكم، فأرسل إليهم جيوشاً - والصراع على أشده بين الأحناف والشافعية - وفتح الشافعية أبواب المدينة على عهد بينهم وبين التار أن يقتلوا الحنفية ويعفوا عن الشافعية - فلما دخلوا المدينة بدءوا بالشافعية فقتلوهم قتلاً ذريعاً ولم يبقوا مع العهد الذى عاهدوه، ثم قتلوا الحنفية، ثم قتلوا سائر الناس وسبوا النساء وشقوا بطون الحبالى ونهبوا الأموال وصادروا الأغنياء، ثم أهرموا النار فى أصفهان حتى صارت تلاً من الرماد.

(١) شرح نهج البلاغة.

(وفي سنة ٥٨٠ هـ) جرت بمصر فتنة بين الأشاعرة والحنابلة بسبب إنكار
الحنابلة على الشهاب الطوسي تكلمه في مسألة من مسائل الكلام في مجلس
وعظه وترافعوا إلى الملك المظفر بمخيمه، فرسم برفع كراسي وعظ الفريقين
وقد أطلق كل من الفريقين لسانه في الآخر^(١) !!



كما كانت صلاة أتباع المذهب الشافعي خلف أتباع المذهب الحنفي مسألة خلافية
حتى جاء الشيخ محمد عبده رحمه الله وأقن بجواز ذلك !! .

جهود التقريب

قام العديد من العلماء الأجلاء من السنة والشيعة ببذل الجهود من أجل التعريف
بالتبادل والتقريب بين المذاهب، ولا نعتقد أن جهدهم قد ضاع سدى وما زال للجال
مفتوحاً لبذل المزيد من أجل الوصول لتحقيق هذا الهدف النبيل .

من بين هذه الجهود، ذلك المؤتمر الذي عقد قبل عامين ونصف تقريباً (سبتمبر
٢٠٠٣م) في البحرين تحت عنوان «التقريب بين المذاهب الإسلامية وأثره في تحقيق
وحدة الأمة»، وقد حضره ما يربو على ١٠٠ مفكر وعالم دين من مختلف المؤسسات
الإسلامية، ومنها الأزهر الشريف في مصر ومؤسسة آل البيت في الأردن ومجمع
التقريب بين المذاهب في إيران . وأكد شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي أن
المؤتمر يتعدى في زمن تنشر فيه الفتن، وهو ما يستدعي تجمع العلماء لقول كلمة الحق
وبيان ما يتوجب على الناس نحو خالفهم ودينهم وأمتهم، وقال: إننا نعيش عصرًا
تكالِب فيه أعداء الإسلام على أمتنا بما يستدعي الرجوع للشرعية الإسلامية التي
رسخت العقيدة السليمة في الضموس، من خلال تأكيد الرسول ﷺ على معنى
الإسلام والإيمان في أحاديث متعددة، وتشديده على مبدأ الإخاء الخالص لوجه الله
بين أبناء الأمة الإسلامية وتعاونهم على البر والتقوى .

كما لا يفوتنا التنويه بأخر تلك الجهود المبذولة للتقريب، وهي الجلسة التي عقدت
في منزل القائم بالأعمال الإيراني بالقاهرة يوم الأربعاء ٨ فبراير عام ٢٠٠٦م، والتي

(١) السلوك في معرفة آداب الملوك للمصريزي .

كان لكاتب هذه السطور شرف حضورها مع كل من شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي وآية الله التسخيري ومفتي مصر الدكتور على جمعة ورئيس جامعة الأزهر الدكتور أحمد الطيب، حيث أكد الجميع على ضرورة وضع جسور لإحياء دار التقريب بين المذهب الإسلامية في القاهرة، والتي توقفت - للأسف الشديد - في نهايات القرن الماضي.

وقد تحدث آية الله التسخيري عن عمق العلاقات بين الشيعين المصري والإيراني وأصالتها، ثم أفصح عن رغبته في أن تبرز هذه العلاقات مرة أخرى عن طريق إحياء دار التقريب في القاهرة، كما تحدث عن مخاطر الفرقة التي مزقت الأواصر طوال العصور الماضية، وانتهزها الأعداء حتى الوقت الحاضر اتباعاً لسياسة (فرق تسد)، كما أعرب عن استيائه من التمزق الذي يعيشه العالم الإسلامي، ودعا إلى وحدة المسلمين التي ستعود على الجميع بالخير. كما أكد آية الله التسخيري على ضرورة أن يعم الحوار بين المسلمين سنة وشيعة ليفهم كل منهم الآخر، ليكون ذلك سبيلاً للوحدة الإسلامية المنشودة، ثم تحدث شيخ الأزهر الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوي عن أنه لا فرق بين المسلم الشيعي والمسلم السني، فالجميع من المسلمين والجميع يقولون إنه لا إله إلا الله ويحجون البيت إن استطاعوا إليه سبيلاً، ثم استدعى ذكرى استشهاد الحسين رضي الله عنه وأكد أن حب آل البيت جزء من عقيدة المسلم، لا يجوز التضريط فيها، ثم تحدث فضيلة المفتي د. على جمعة وذكر رواد التقريب بين المذاهب الأواقل، الشيخ الفقي والشيخ شلتوت والشيخ عبد العزيز عيسى وغيرهم، وذكر أنهم بدءوا خطوات مهمة لتحقيق التفاهم بين المسلمين ولا بد أن يكتمل هذا الطريق، ثم تحدث د. أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر الشريف وأكد أن الأزهر الشريف عليه دور في التقريب، فما زال منذ الستينيات يدرس فقه الشيعة الإمامية، ودعا إلى عقد اجتماع أو لقاء مصغر تطرح فيه كافة قضايا التقريب، وعلى رأسها العقبات التي تقف في سبيل التقريب، حتى يمكن مناقشتها بصراحة، وأهدى استعداد الكمال للجلوس مع إخوانه من الشيعة لإبداء ما يراه مهماً، كما أكد على وضع جميع إمكانياته وإمكانات الأزهر الشريف في خدمة تلك القضية. أما د. محمد الدسوقي فأكد على ضرورة تحويل الشعارات والرغبات إلى موضوع عمل وتنفيذ على أرض الواقع، وذكر أن منظمة الإيسيسكو، قد وضعت إستراتيجية وخطوات تنفيذية من أجل إنجاز مشروع التقريب، ثم ذكر أنه يجب أن

يلتقى المسلمون (شعبة وسنة) حول مبدأ التعلون حول ما اتفقنا عليه، ويعمفر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه .

شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت رحمه الله

ولا يفوتنا أن ننوه بالجهد الكبير الذى بذله شيخ الأزهر الراحل الشيخ محمود شلتوت، حيث يذكر الدكتور عبد الودود شلبى^(١) الذى عمل مديراً لمكتبه ما يلى :

منذ أربعين عاماً وقع فى يدى كتاب (الخطوط العريضة)، فهائننى ما بين صفحاته، فما يقوله عن الشيعة خطير، فليس من المعقول ولا من المقبول أن يكونوا أصحاب دين غير دين المسلمين أو أن يكون موقفهم من أهل السنة هذا الموقف العدائى الكبير! لم يطاوعنى قلبى فى تصديق ما كتب، وظللت متردداً بين التصديق والتكذيب حتى استقرت سفيتى فى النهاية على شاطئ الحق، ففى عام ١٣٨٢ هـ انتدبت للعمل سكرتيراً فنياً فى مكتب الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق، وكان من مهام وظائفى فى مكتب الإمام الراحل أن أرد على رسائله وأن أعرض عليه رسائل المسلمين التى تصل إليه كل يوم من كل ناحية، وقد فوجئت برسائل الحب والمودة التى كانت تصل إليه من أئمة الشيعة، كما فوجئت برودده على رسائل هؤلاء الأئمة واعتزازه بهم كإخوة فى الإيمان والعقيدة، ثم فوجئت بعد ذلك باغتصابه لبعض هؤلاء الأئمة أعضائه فى مجمع البحوث الإسلامية^{١١}.

سألت يوماً: هل قرأت يا مولانا ما كتبه صاحب كتاب (الخطوط العريضة) عن الشيعة؟؟

ابتسم الشيخ و لم يتكلم!!

وحين أعدت عليه السؤال، أخرج من مكتبه ورقة ثم قال ستجد فى هذه الورقة إجابتى على هذا السؤال^{١١}.

(١١) كلنا إخوة شعبة وسنة.

كانت هذه الورقة صورة من الفتوى التي أصدرها بجواز التعبد على مذهب الشيعة الإمامية، ونص الفتوى كما جاء في أقوال الإمام الأكبر

فتوى شيخ الأزهر محمود شلتوت

- ١- إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين، بل نقول إن لكل مسلم الحق في أن يقلد -بادئ ذي بدء- أي مذهب من المذاهب المتقولة نقلاً صحيحاً والمذونة أحكامها في كتبها الخاصة، ولأن قلد مذهباً من هذه المذاهب أن يتقل إلى غيره من أي مذهب كان ولا حرج عليه في شيء من ذلك.
- ٢- إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، مذهب يجوز التصيد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة.



الأهمية الكبرى لهذه الفتوى أنها شكلت تحولاً رئيسياً في مسار القضية المذهبية، وخاصة في مصر التي عاشت منذ بدء العصر الأيوبي في إطار التقليد الفقهي للمذاهب الأربعة، وأصبح كل فريق مذهبي يعرض بتواجده على ما لديه، وربما وصل الأمر للاقتتال بين أبناء تلك المذاهب.

وقد أعطى الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر لدعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية دفعة كبيرة، فقد كان من أشد المتحمسين لها، وفي ذلك يقول رحمه الله:

إن دعوة التقريب هي دعوة التوحيد والوحدة، هي دعوة الإسلام والسلام. لقد أمنت بفكرة التقريب كمنهج قويم وأسهمت منذ أول يوم في جماعتها وفي وجوه نشاط دارها بأمور كثيرة. ثم نهياً إلى بعد ذلك، وقد عهد إليّ بمنصب مشيخة الأزهر، أن أصدرت فتوى في جواز التعبد على المذاهب الإسلامية الثابتة الأصول المعروفة المصادر المتبعة لسبيل المؤمنين، ومنها مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، وقررت بهذه الفتوى حيون المؤمنين المخلصين الذين لا هدف لهم إلا الحق والألفة ومصلحة الأمة، وظلت تتوارد على الأسئلة والمشاورات والمجادلات في شأنها وأنا مؤمن بصحتها، ثبتت على فكرتها، أويدها في الحين بعد الحين فيما أبعث به من

رسائل للمستوضحين، أو أردّ به على شبه المعارضين، وفيما أنشئ من مقال ينشر أو حديث يذاع أو بيان أدهو به إلى الوحدة والتماسك والالتفاف حول أصول الإسلام ونسيان الضغائن والأحقاد حتى أصبحت - والحمد لله - حقيقة مقررة لمحجري بين المسلمين.

رأى الشيخ الغزالي رحمه الله

يقول الشيخ محمد الغزالي^(١):

من الخلافات الموروثة، ما بين الشيعة والسنة من فجوات، ملأها الدماء في بعض الأعصار وزادها البهت والافتراء بين الحين والحين، وما أنكر أن أسباباً علمية وعاطفية تخفى أو تظهر وراء هذا الخلاف، بيد أن للسياسة ومطالب الحكم أسباباً أضرى وألمى.. وقد تحدثت في كتب أخرى عن حقيقة ما بين الفريقين من الناحية العلمية ولا مجال هنا لتفصيل أو زيادة، وأعترف بأن لي أصدقاء من الشيعة أعزهم وأحبهم.

ومن أجل ذلك أعرض هذه المبادئ لدفع الأمور إلى طريق التصالح والإخاء:

أ- يتفق الفريقان في مؤخر جامع على أن القرآن الكريم هو كتاب الإسلام الحصون الخالد والمصدر الأول للتشريع، وأن الله حفظه من الزيادة والنقصان وكل أنواع التحريف، وأن ما يتلى الآن هو ما كان يتلوه النبي ﷺ على أصحابه، وأنه ليس هناك في تاريخ الإسلام كله غير هذا المصحف الشريف.

ب- السنة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، والرسول أسوة حسنة لأتباعه إلى يوم القيامة، والاختلاف في ثبوت سنة ما أو عدم ثبوتها مسألة فرعية.

ج- ما وقع من خلاف بين القرن الأول بدرس في إطار البحث العلمي والعبرة التاريخية، ولا يسمح بامتداده إلى حاضر المسلمين ومستقبلهم.

(١) دستور الوحدة الثانية بين المسلمين ص ١٠٩.

د- يواجه المسلمون جميعاً مستقبلهم على أساس من دعم الأصول المشتركة، وهي كثيرة جداً وعلى مرونة وتسامح في شتى الفروع الفقهية ووجهات النظر المذهبية الأخرى.

رأى الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف المصري

يرى الدكتور زقزوق^(١):

أن الاختلاف بين السنة والشيعة محصور في إطار الأمور الفرعية القابلة للاجتهاد المشروع، ولا يجوز لخل هذا الاختلاف أن تكون له آثار سلبية تسرب إلى قلوب المسلمين فتفسد تألفها وترزع فيها التآحر والتخاصم، وإلا أصبح الاختلاف شراً. وهذا ما حذر منه النبي ﷺ حين قال: «لا تخطلوا فتخطف قلوبكم»، ومن هنا ينبغي على المسلمين أن يجتمعوا على ما اتفقوا عليه، وأن يعلم بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه. وإذا كان اختلاف وجهات النظر في الأمور الفرعية أمراً جائزاً في إطار «مبدأ الاجتهاد» الإسلامي المشروع، فليس هناك مبرر على الإطلاق لأن تكون هذه الاختلافات الفرعية عتبة في طريق تحقيق وحدة الأمة الإسلامية، فقد أمرنا أن نعتصم بحبل الله المتين ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ونهينا عن أن نبدد جهودنا وطاقاتنا؛ لأن هذا لن يخدم المسلمين ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقد جاهد في سبيل قضية التقريب بين السنة والشيعة العديد من كبار علماء المسلمين في القرن الحالي، ويزلوا جهوداً عظيمة مشكورة، ومن بين هؤلاء الأعلام المصلح الكبير محمد علي علوبة باشا والإمام الشيخ محمد مصطفى المراغي والإمام الشيخ مصطفى عبد الرزاق، وقد كان لهذين الإمامين دور التشجيع المعنوي والتأييد العلمي، أما الإمام الشيخ عبد المجيد سليم فقد أسهم بكل طاقته المادية والروحية في إنشاء جماعة التقريب، ودعا إلى تأييدها بقلمه ولسانه، وأسهم معه في هذه الدعوة لفيف من كبار علماء الأزهر بتقديمهم بالذكر الإمام الشيخ محمود شلتوت والشيخ على

(١) مجلة رسالة التقريب - العدد الثلاثون.

الحليف والشيخ عبد العزيز عيسى، ومن بين من أسهم من جانب الشيعة الإمامية إسهاماً بارزاً في هذا الصدد الشيخ محمد تقي المصطفى والإمام الأكبر الحاج آقا حسين البروجردى، والإمامان الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء والسيد شرف الدين الموسوى، وكلهم من كبار علماء الشيعة. وقد قامت جماعة الترقيب بإصدار مجلتها المعروفة وهي «رسالة الإسلام»، واستمرت في الصدور فترة من الزمن ثم توقفت، كما توقف - للأسف الشديد - نشاط الجماعة فانها.

فالتفتى الشجاعة التي أطلقها الشيخ محمود شلتوت لم تكن تهدف إلى الاعتراف بالذهب الجعفرى فحسب، وإنما إلى القضاء على المصيبة المنهجية التي كان لونها، فالذهاب هي مدارس علمية وليست معسكرات دينية متحاربة.



حقيقة الإسلام والإيمان

يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتبه ﴿إِنسِ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجْهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَاتَّبَعَ السَّبِيلَ وَالسَّائِلِينَ وَفَى الرِّقَابَ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ إِذَا عَاذُوا الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ويقول تبارك وتعالى ﴿أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِنَّكَ الْقَبِيلُ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

المعقيدة الإسلامية صافية راقية بسيطة (الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبیین) من دون حاجة لتعمق في الفلسفة أو اللغة. يلي ذلك الإيمان مباشرة أداء الفرائض من صلاة وزكاة ورعاية للفقراء والمساكين وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع، وإقامة العدل ومكارم الأخلاق، والوفاء بالعهد المبرم مع المسلمين وغير المسلمين.

السنة النبوية

جاءت السنة النبوية المشرفة هي الأخرى لتقطع الطريق على كل من تسول له نفسه إطلاق أحكام الكفر على أي من أعلن إسلامه :

روى مسلم في صحيحه أن رجلاً سأل النبي ﷺ من هو المسلم؟ فأجاب عن صلى إلى قبلتنا وفتح فيحيا فهو المسلم الذي له فمة الله ورسوله .

وروى مسلم عن أبي أيوب أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، أخذ بزمam ناقته ثم قال يا رسول الله، أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار. قال فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه، ثم قال «لقد وفق» أو «لقد هدني» قال «كيف قلت؟» قال فأعاد. فقال النبي ﷺ «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»

وروى أيضاً عن جابر قال أتى النبي ﷺ النعمان بن قوقل فقال يا رسول الله، أرأيت إذا صليت المكتوبة، وحرمت الحرام، وأحللت الحلال، أدخل الجنة؟ فقال النبي ﷺ «نعم».

وعن أبي هريرة قال كان رسول الله ﷺ يوماً يلزاً للناس فأتته رجل فقال يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن باليوم الآخر» قال يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». قال يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

روى الترمذي في سننه، قال رسول الله ﷺ «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمته الناس على عدالتهم وأموالهم».

وروى أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «قتال المسلم أخاه كفر وسببه لسوق».

وروى عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال «لئما رجل قال لأخيه كافراً فقد هاه به أحدهما».

وعن النبي ﷺ قال: «لا من (من يلحق) للمؤمن كفايته، ومن قلف مؤمناً بكفر فهو كفايته، ومن قتل نفسه بشيء عليه الله بما قتل به نفسه يوم القيامة».

وروى النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ «والذي نفسى بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا».

الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، حرصاً منه على سد باب التكفير، يحذر الأمة الإسلامية من إطلاق هذا الوصف الخطير على أحد من أهل القبلة من دون بينة ولا برهان، فيقول، والرواية لسلم «إذا كفر الرجل أخاه فقد باه بها أحدهما» ثم يزيد الأمور إيضاحاً فيقول «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، ولأن إطلاق أحكام التكفير قد يقود إلى ما هو أسوأ وهو سفك الدماء التي حرمها الله إلا بالحق، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم بعضاً».

وقال ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» أخرجه مسلم في صحيحه.

إنها وصايا نبوية نحن أحوج ما نكون إليها ما بقى المسلمون على ظهر هذه الأرض إلى قيام الساعة.

التأكيد على وحدة الأمة هريضة إلهية

يقول تعالى في محكم كتابه:

«وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي لَجِئْتُكُمْ بِتِلْكَ الْفِتْنَةِ فَاتَّقُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ وَاطَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعُوا فَيَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٦﴾ [الأنفال: ١٠٥-١٠٦].

٣- ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَهُ اللَّهِ يُجِيبُ إِلَهُهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَهُهُ مَنْ يُنِيبُ ۚ﴾ (١٣) وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مُسمى لفضى بهمهم وإن الدين أوردوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب ﴿١٤﴾ [الشورى : ١٣-١٤].

إنها أوامر واضحة محكمة تدعو للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق، كما أنها تنهى عن النزاع والشقاق بين المسلمين، لكونه الطريق الأقصر للفشل والضياع، وهى أيضاً تدعو إلى إقلمة الدين وعدم التفرق فيه والاجتماع على كلمة الله، وتبين لنا أن الفقرة والنزاع لا يمكن أن تكون قدراً إلهياً لا فكك منه، بل هو ثمرة سلوك بشرى خرج بالتدين عن مساره الصحيح (بغياً بينهم).

تلك مقدمة ضرورية نظرهما فى بحثنا حول تعريف الشيعة، فنحن لا نرى من السهولة بمكان جمع المسلمين على فهم واحد لكل أمور الدين وقضاياها، ولكننا نرى فرصة جمع كلمتهم ونبذ أسباب الفقرة والخلاف والتعامل مع القضايا الخلافية بروح الأخوة ونبذ الأحقاد من خلال الالتزام بأحكام الدين التى أشرنا إليها آنفاً، فشروط الإسلام واضحة وبسيطة، وإذا لم يتمكن المسلمون من جمع كلمتهم على فهم موحد لتلك القضايا الخلافية، فلا أقل من أن يلتزموا بأدب الحوار ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا﴾ [البقرة: ٨٣] - ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ مِنَ السَّبِيلِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٧٥) [النحل: ١٢٥] - ﴿لَا تَرْفَعُوا أَسْمَاءَكُمْ فَمَا أَنْتَ مُدْرِكُهَا﴾ (١٦) لست عليهم بمسيطر ﴿١٧﴾ [الغاشية: ٢١ - ٢٢] وهذا هو منهج الإسلام.

الفصل الأول

أصل الشيعة

معنى كلمة شيعة

يقول الشهرستاني (١) :

الشيعة هم الذين شابهوا علياً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً أو خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو ببقية من عنده، كما قالوا إن الإمامة ليست قضية مصلحة تناط باختيار العامة ويتصب الإمام بتصميم، بل هي قضية أصولية هي ركن الدين الذي لا يجوز للرسول إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة، ويجمعهم القول بوجود التعيين والتصيص وثبوت عصمة الأئمة وجوباً عن الكبار والصغار، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلًا وعقداً إلا في حال النجاسة.

كلمة الشيعة في التاريخ والسنة

كان هناك دائماً من يحب على بن أبي طالب عليه السلام ويكنّ له المودة، وهناك على الناحية الأخرى من لا يكنّ له الشعور نفسه، وهو ما تزكده العديد من الروايات التي أوردها المحدثون، سواء من الشيعة أو من أهل السنة، ومثال ذلك :

مارواه مسلم (٢) عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر قال عليّ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأُمى صلى الله عليه وآله وسلم إليّ، أنه لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق.

وحتى لا يصحح القارى الكريم في زحمة الروايات، فلنأخذ إلى حليقة تشيع بعض الصحابة لعلى بن أبي طالب، ومن هؤلاء الصحابي الجليل أبو ذر الغفارى، حيث يروى لنا ابن قتيبة في كتاب المعارف عن حنث بن المعتمر قال جئت وأبو ذر أخذ

(١) الملل والنحل.

(٢) صحيح مسلم ج١

بحلقه باب الكعبة وهو يقول: أنا أبو ذر الغفاري من لم يعرفني فأنا جندب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا» .

ومن هؤلاء الصحابة المشيعين لعلي بن أبي طالب عمار بن ياسر، وقد استشهد مع الإمام علي في موقعة صفين، وهو من قال عنه رسول الله «تقتله الفئة الباغية» .

ومنهم أبو الطفيل الكتاني، وكان آخر من مات عن رأي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حيث يقول عنه ابن قتيبة^(١) (مات بعد سنة مائة وشهد مع علي المشاهد كلها) .

إنما فالتشيع للإمام علي بن أبي طالب ولأئمة أهل البيت من بعده كان يشكل، ومنذ ذلك العصر، موقفاً سياسياً وعقائدياً لتلك الطليعة الملتزمة حول الإمام، وهو ما نراه دوماً في واقع الناس، حيث تكون هناك فائزاة ملتزمة حول الزعامة الدينية والسياسية تطرح رؤاها وتدافع عن مواقفها، فتشكل مجموعة المستشارين والقادة والأحرار .

كذلك جاء التاريخ الإسلامي ليؤكد ما ذكرناه من قدم معنى التشيع، حيث يروي نصر بن مزاحم في كتاب صفين عن الإمام علي بن أبي طالب قال:

قتلوا شيعة وعملوا وأخاربيعة العبدى رحمة الله عليه في عصابة من المسلمين قالوا لا نكث كما نكثتم ولا نخدر كما غدركم، فوثبوا عليهم فقتلوه، فسألتهم أن يدفعوا إلى قتل إخواني أقتلهم بهم ثم كتاب الله حكم بيني وبينهم، فأبوا علي، فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي ودماء قريب من ألف رجل من شيعة، فقتلتهم بهم .

كما يروي المدائني^(٢) عن حبة معلوية بن أبي سفيان:

فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرمون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاءاً حيثئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أبام علي عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر

(١) المعارف ص ٢٤٢، كما ورد أيضاً في الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي (شبهة علي) .

(٢) المروج للدينوري .

ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم، وكتب معاوية إلى عماله في جميع الأفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة.

وهكذا فإن الباحث في التاريخ الإسلامي يلاحظ أن هذا المصطلح قد أصبح علمًا على تلك الطائفة من المسلمين التي ارتبطت بأئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث أصبح للشيعة والتشييع بمعنى الولاء للإمام علي بن أبي طالب ولأئمة أهل البيت من بعده وجود واقعي، بعيدًا عن تلك المصطلحات المتفصلة عن الواقع والتاريخ مثل الرافضة والسبئية والخشبية.

تعريف تفكيك التعريف

يمكن تفكيك تعريف (الشيعة: هم من شايح عليًا وأولاده وقالوا بإمامته) إلى جزأين: الجزء الأول: يتعلق بمبدأ الإمامة والولاية.

والجزء الثاني: يتعلق بوجوب الالتزام والالتصاق بهذه الولاية، أي التشيع لأهل بيت محمد صلى الله عليه وعلى آله، من عدمه.

معنى الإمامة والولاية

جاء في القرآن الكريم: ﴿وَجِئْنَاكُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال في مكان آخر: ﴿وَجِئْنَاكُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّارِ﴾ [القصص: ٤١].

فالإمام إذن هو القائد المعنوي أو الفكري، الذي يهدي إلى أمر الله، أو إلى عصيان الله.

وأئمة أهل البيت من هذا المنطلق هم علماء في الإسلام، بيد أن تخصصهم ومعرفتهم في الإسلام لم تكن انطلاقًا من عقلهم واعتمادًا على فكرهم، لأن معرفة مثل هذه واختصاصًا من هذا القبيل، يداخلها الخطأ بالضرورة، بل إن الأئمة أخذوا الدين من النبي صلى الله عليه وآله بصورة مباشرة، من علي لأبنائه، لأحفاده، لأبنائه الأحفاد، وهكذا دواليك.

لقد تحولت المعرفة من النبي صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام، ومنه بلغت الأئمة من بعده، وفي جميع أدوار الأئمة كان هناك علم إسلامي معصوم لا يخطئ، ينتقل من إمام إلى الذي يليه.

والسألة الثالثة هي الإمامة بمعنى الولاية

وهي درجة ومرتبة تمثل ذروة مفهوم الإمامة الذي يعدّ وجهاً مشتركاً بين التشيع والتصوّف. إنه مفهوم الإنسان الكامل، أو بتعبير آخر «حجة العصر».

الأدلة على وجوب اتباع الإمامة

الأدلة التي يستدل بها الشيعة على إمامة أهل البيت كثيرة ومتنوعة، والجدل الدائر بينهم وبين مخالفيهم في الرأي لا يقوم عادة على إنكار نصوص هذه الأدلة، بل على إنكار مدلولها، والقول بأنها لا تفرد إلى ما يستجته الشيعة منها.

سنرى بعد قليل أن هذه الأدلة هي أحاديث مذكورة في كتب الحديث الشهيرة التي دونها الشافعية والأحناف وغيرهم، أو من تلك الروايات الواردة في تفسير القرآن الكريم والتي يستدل بها الشيعة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والأئمة من أبنائه من بعده.

١ - حديث الدار

روى الفريقان (السنة والشيعة) وبأسانيد متعددة واقعة الدار التي ترتبت بعد نزول الأمر الإلهي من السماء بوجوب إنفاذ رسول الله صلى الله عليه وآله لعشيرته بأمر الدعوة بنص قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فخطابهم صلى الله عليه وآله بقوله: «يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومَه بالمثل مما جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة، فأياكم يؤازرنى

على هذا الأمر على أن يكون أنسى، ووصى، وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عن ذلك إلا علياً عليه السلام، وكان أحدتهم سنًا، إذ استجاب لرسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ النبي صلى الله عليه وآله يرقبه على عليه السلام وقال: هذا أنسى، ووصى، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. فلقام القوم يضحكون ويقولون لأمير طالب: قد أمرك أن تسمع لأميرك وتطيعه^(١)

٢- حديث المنزلة

وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(٢)

كما أفرد ابن سعد^(٣) له فصلاً تحت عنوان (ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب: أما ترى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟) جاء فيه:

قال محمد بن عمر:

وكان علياً بمن نبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد حين انهزم الناس، وبابعه على الموت، وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية إلى بني سعد بفندق في مائة رجل، وكان معه إحدى ربابات المهاجرين الثلاث يوم فتح مكة، وبعثه سرية إلى طي، وبعثه إلى اليمن، ولم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة غزاهها إلا غزوة تبوك، خلفه في أهله. قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال أخبرنا فضل

(١) تاريخ الخلفاء للذهبي ٢: ٢١٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢: ٦٢، تاريخ أبي الفداء ١: ١١٦، شرح الشفاء ٣: ٣٧، معالم التنزيل ٤: ٢٧٨، شواهد التنزيل ١: ٣٧٢، ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ١: ١٠٣، ١٣٩ - ١٤٠، تفسير الحارثي ٣: ٣٧١.

(٢) صحيح البخاري ٥: ٨٩/٢٠٢، صحيح مسلم ٤: ١٨٧/٢٤٠٤، سنن الترمذي ٥: ٣، أحمد ١: ١٧٣، ١٧٥، ١٨٢، ١٨٤، مستدرک الحاكم ٢: ٣٣٧، الرياض النضرة ٢: ١٥٧، مصابيح السنة ٤: ١٧٠/٤٧٦٢، تاريخ بغداد ٤: ٢٠٤، تاريخ الخلفاء ٦٥، الصواعق المحرقة ١٨٧.

(٣) الطبقات الكبرى.

ابن مرزوق عن عطية حدثني أبو سعيد قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك وخلف علياً في أهله، فقال بعض الناس ما منعه أن يخرج به إلا أنه كره صحبتته. فبلغ ذلك علياً فذكره للنبي ﷺ فقال: «أيا بن أبي طالب أما ترهني أن تنزل مني بمنزلة هارون من موسى؟».

وأخبرنا الفضل بن دكين قال أخبرنا فطر بن خليفة عن عبد الله بن شريك، قال سمعت عبد الله بن رقيم الكنتاني، قال قدمنا المدينة فلقينا سعد بن مالك، فقال خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك وخلف علياً، فقال له يا رسول الله خرجت وخلفتني؟ فقال: «أما ترهني أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

وأخبرنا عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة، قال أخبرنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب، قال قلت لسعد بن مالك إنني أريد أن أسألك عن حديث، وأنا أهمل أن أسألك عنه، قال لا تفعل يا بن أخي إذا علمت أن عندي علماً فسلني عنه ولا تهني، فقلت قول رسول الله ﷺ لعلي حين خلفه بالمدينة في غزوة تبوك؟ قال، قال أنخلفني في الخائفة في النساء والصبيان؟ فقال: «أما ترهني أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟» فأدبر علي مسرعاً كأنه أنظر إلى غبار قدميه يسطع.

٢ - الواقعة غدير خم

يذكر الرواة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لدى عودته من حجة الوداع قبيل وفاته بشهور - أو أسابيع قليلة - نزل بموضع يقال له غدير خم، ثم خاطب المسلمين قائلاً: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؟ وأن جنته حق وناره حق؟ وأن الموت حق؟ وأن البعث حق؟ وأن الساعة آتية لا ريب فيها؟ وأن الله يبعث من في القبور؟».

قالوا: بلى نشهد بذلك. فقال: «اللهم اشهد». ثم قال: «أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم»، ثم أخذ بيد علي ﷺ وقال: «لمن كنت مولا فلهما مولا، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

يقول البراء بن عازب وغيره من الصحابة: إن عمر بن الخطاب لقي علياً بعد ذلك فقال له: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، فقد أصبحت وأميت مولى كل مؤمن ومؤمنة^(١)

والسؤال هو ماهي دلالة هذا الحديث؟

وما هو معنى أنت مني بمنزلة هارون من موسى! أنه لا نبي بعدي؟ ألم يكن هارون ههنا هو وصي موسى ههنا على قومه ههنا قال موسى ل أخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبل المفسدين (١١٦) [الأعراف: ١٤٢].

٤- حديث الثقلين

روى المحدثون الفقهاء أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أمسكم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي». وقد ورد الحديث بصيغ متعددة من بينها «إني تارك فيكم ما إن أمسكم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الخوض، فتظروا كيف تخلفوني فيهما»، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتي، وإنيهما لن يفترقا حتى يردا على الخوض» وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني أوشك أن أدعى. وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل وعترتي. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الخوض، فتظروا كيف تخلفوني فيهما».

والحديث مروي في (الترمذي والنسائي).

٥- حديث الكساء

وهي الرواية الواردة في تفسير قوله تعالى «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» [الأحزاب: ٣٣] وهي الرواية المشهورة بحديث الكساء. فقد

(١) سنن الترمذي ٥: ٦٦٢ و ٦٦٣، صحيح مسلم ٤: ٢٤٠٨، مستدرك أحمد ٣: ١٧ و ٥:

مستدرك الحاكم ٣: ١٠٩، أسد الغلبة ٢: ١٢، فريدة الخليفة ٣: ٣٣٦، مجمع فروع ٩:

الصواعق المحرقة ٢٣٠.

قال الرسول الأعظم ﷺ مشيراً إلى علي وفاطمة والحسن والحسين: **«اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»**.

أي أن هذه الآية نزلت في أهل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

أما مصادر الحديث فلا تعد ولا تحصى^(١)

وجوب حب أهل البيت عليهم السلام

أنزل الله تبارك وتعالى قرآناً يوجب على المسلمين التقرب إليه بحب محمد صلى الله عليه وعلى آله، وأهل بيته، ومن بين هذه الآيات آية المودة **﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** [الشورى: ٢٣].

روى البخاري عن سلمة قال: كان علي قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر وكان به رمد، فخرج علي فلحق بالنبي ﷺ، فلما كان مساء الليلة التي فتح الله في صباحها، قال رسول الله ﷺ **«لأعطين الراية هذا رجلاً يحبه الله ورسوله»** أو قال **«يحبه الله ورسوله»** يفتح الله عليه، فإذا نحن به علي وما نرجوه، فقالوا هذا علي، فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه.

قال صاحب فتح الباري: وقوله ﷺ **«إن علياً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»**، أراد بذلك وجود حقيقة المحبة، وإلا فكل مسلم يشترك مع علي في مطلق هذه الصفة، وفي الحديث تلميح بقوله تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾** [آل عمران: ٣١]، فكانه أشار إلى أن علياً تام الاتباع لرسول الله ﷺ حتى اتصف بصفة محبة الله له، ولهذا كانت محبته علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق. كما أخرجه مسلم من حديث علي نفسه قال (والذي فلق الحبة ويرأ النسيمة إنه

(١) لفتنا على سبيل المثال صحيح مسلم: كتاب فصول الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ج ٢ ص ٣٦٨ ط عيسى المجلس، وج ١٥ ص ١٩٩ بشرح النووي ط مصر، سنن الترمذي ج ٥ ص ٣٠ ح ٣٢٥٨ و ج ٥ ص ٣٢٨ ح ٣٨٧٥ ط دار الفكر وج ٢ ص ٢٠٩ و ٣٠٨ و ٣١٩ ط مولاتا وج ١٢ ص ٢٠٠، أحمد بن حنبل، وغيرها من المصادر.

لمهد النبي ﷺ أن «لا يحبك إلا مؤمن ولا يفتكك إلا منافق» (وله شاهد من حديث أم سلمة عند أحمد).

وروى البخاري عن أسامة بن زيد أن النبي ﷺ كان يأخذه والحسن ويقول: «قلهم إلى أحبهما لأحبهما».

وروى عن ابن عمر أن أبابكر قال: ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته.

وروى عن عائشة قول النبي ﷺ لفاطمة: «أما لو عهدت أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة؟».

دلالة هذه الأحاديث

التقرب إلى الله تبارك وتعالى بحب أهل بيت النبوة عليهم السلام ليس أمراً خارجاً أو زائداً على منظومة الإيمان والإسلام القائمة من الأساس على مبدأ الحب في الله والبغض في الله.

تلك المنظومة التي لخصها رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قال «كنت مع من أحببت»، «المرء مع من أحببه» ثم فصلها بعد ذلك في تلك الأحاديث النبوية التي بينت معنى قوله تعالى ﴿لَا مَأْئِمْ عَلَيْكُمْ عَلَيْهِ أَجْرٌ إِلَّا الْعُقُوفَةُ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣].

الممسكون بظاهر الشريعة الإسلامية لا يخرج حالهم عن أمرين: الأول هو التمسك الظاهري مع البغض القلبي لصاحب الشرع، وهو الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، وهم المنافقون، والثاني هو موافقة باطن الحال لظاهر القول وهم المؤمنون حقاً.

المؤمنون حقاً هم من يحسون بحب خالص للرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فهو في يقينهم رحمة للعالمين، مصدر كل خير ساقه الله إليهم، وهو صاحب الدين الحق الذي يدخل من التزم به الجنة وينجى من النار.

فأى منطق يمنع المؤمن من حب صاحب الشريعة؟؟

وأى منطق يمنع المؤمن من حب آل بيت محمداً ﷺ نبي الله الذي وصفه ربنا عز وجل بأنه ﴿عزیز علیہ ما نعتم حریم علیکم بالمؤمنین روف رحیم﴾

[التوبة:]

لهذه الأسباب أصبح حب أهل بيت العصمة والنبوة هو المعيار الذي يمكن من خلاله التمييز بين المؤمن والمنافق، ولله در صاحب فتح الباري عندما قال: وفي الحديث تلميح بقوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فكانه أشار إلى أن علياً تام الاتباع لرسول الله ﷺ حتى انصف بصفة محبة الله له، ولهذا كانت محبته علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق.

كما أخرجه مسلم من حديث عليّ نفسه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي ﷺ أن لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق.

تري لو لم ينزل هذا الأمر في القرآن بالمودة في القربى، ولم يقل صلى الله عليه وآله وسلم ما قال، هل كان من الممكن أن يكون العكس صحيحاً؟ أى أن يكون من الطبيعي أن يسيء المسلمون معاملة آل بيت النبوة، فيقتل من قتل منهم ويموت من مات منهم هارباً جاثماً خائفاً؟ أو يهلك العشرات منهم في مطبق أبي جعفر المنصور الذي لا يعرف فيه ليل من نهار؟ أو أن يحظر المتوكل العباسي على النفس مد يد العون لآل بيت النبوة، فيجلس النسوة في بيوتهن لا يجدن ما يستر أجسادهن ويتبادلن الثوب الواحد للفلاسة فيه، وهو الذي قام بطمس قبر الحسين ﷺ وغمر أرضه بالهياه ١١٩٩.

لماذا لم يسأل البعض منا نفسه لماذا احتلت مرثى شهداء أهل البيت تلك المساحة الضخمة من دهبان الشعر العربي، حتى لقد قال دجيل الخزاعي - ذلك الشاعر المحب لأهل البيت - واصفاً التنافس بين الأمويين والعباسيين في التثكيل بأهل البيت بقوله:

لسم يبق حى من الأحياء تعلمه من ذى يمان ولا بكر ولا مضر
إلا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جزر

إن حصر المناقشة في قضية الخلافة السياسية أو حتى قضية الإمامة الدينية، وتجاهل ما تعرض له أهل البيت وشيعتهم من ظلم واضطهاد - لم يتعرض له حتى غير المسلمين الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية قديماً وحديثاً - لا يساعدنا على فهم القضية التي تبدو أدلتها واضحة، إلا أن هذا الوضوح لم يوت ثماره في تهذبة الأجواء واعتبار المسألة برمتها (خلاقاً في الرأي لا يفسد للود قضية) ١١.

تلك مجرد نماذج من تلك الأدلة، وعلى من يريد أن يستزيد أن يراجع كتباً مثل (المراجعات) أو (عقائد الإمامية) وكلها متوفرة الآن على شبكة المعلومات الدولية.

الفصل الثاني

الإمام

جرى العرف أنه إذا اقتصر أحد في خطابه الديني على كلمة الإمام، فيكون المقصود على بن أبي طالب.

لحدثنا سابقاً عن الأوامر الإلهية والنبوية التي تطلب المسلمين بحب آل البيت عليهم السلام عامة، والإمام على بن أبي طالب عليه السلام خاصة. والحب أشكال والألوان.

فمنه الحب عطقاً وإكراماً كما يحب المرء ولده الصغير وسائر أهله، ومنه الحب إجلالاً واعتزافاً لأهل الفضل والعلم بفضلهم، فكيف لإنسان سوى خلقه الله ونفع فيه من روحه أن يحب من يبتون للنفس وينشرون الشر والفساد في الأرض؟ وكيف لتلك النفس السوية أن تبغض أهل الخير والفضل والإحسان ومصابيح الهدى؟؟؟.

التاريخ الذي سنورد نماذج منه غير شاهد على المعاناة والمعاناة الذي لقيه أهل البيت من أناس كان يفترض فيهم أنهم يحبون أهل البيت إكراماً لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والذي وصفه ربنا سبحانه وتعالى بقوله ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

كان على المسلمين أن يحبوا أهل البيت ويقتدوا بآثارهم لكونهم من حملوا الروح للحميدة الرفيعة الطاهرة في حنايا أجسادهم وأرواحهم، فضلاً عما أقامه أهل البيت عليهم السلام من منارات للهداية وما قدموه للناس من نماذج يستضاء بها في الظلمات وتستجلي بها الشكوك والشبهات.

نبذة عن حياة الإمام

نعال معي نطلع على صفحات النور التي سطرها على بن أبي طالب عليه السلام بجهاذه وعلمه وزهده وخلق الرفيع، ثم سل نفسك كيف لا تنهل الأمة من هذا العلم؟، ولماذا

لا نسعى إلى تقديم هذا العلم للعالم أجمع حتى ولو بقى البعض مصراً على رفض الإقرار بإمامته ﷺ؟

لنقرأ معاً خبر ضرار

خذ عندك خبر ضرار الضبائي الوارد في نهج البلاغة، وكان من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب، فدخل ذات يوم على معاوية بن أبي سفيان، فقال له معاوية صف لي علياً، فقال:

فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه، قابض على لحيته يتململ لتململ السليم [أى اللديغ] ويكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا يا دنيا، إليك عني، أبيت تعزّيت؟ أم إلى تشوّت؟ لا حان حينك أهيّات! غري غيري لا حاجة لي فيك. قد طلقك ثلاثاً لا رجعة فيها! فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير.

كما روى الخبر نفسه ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب:

قال معاوية لضرار الضبائي: يا ضرار صف لي علياً.

قال: اعفني يا أمير المؤمنين.

قال: لتصفه.

قال: أما إذ لا يد من وصفه، فكان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوارحه وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته.

كان غزير العبرة طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن.

وكان فينا كأحدنا، بجيتنا إذا سألناه وينبنا إذا استباناه.

ونحن والله مع تقرّبه إلينا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له.

يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله ولا يئس الضعيف من عدله.

وأشهد أنه لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه

قلباً على لحيته يتحمل تحمل السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول: يا دنيا
غرتي غيري، ألى نمرضت أم إلى تشوقت؟ هيهات هيهات! قد بايتك ثلاثاً
لا رجعة فيها، فعمرك قصير وخطرك قليل.

أه من قلة الزاد ويُعد السفر ووحشة الطريق.

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن! كان والله كفلك، فكيف حزنك
عليه يا خسرار؟

قال: حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها.

وكان معاوية يكتب فيما يترجل به، ليسأل على بن أبي طالب بحقيقة عن ذلك
فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب.

فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام.

فقال له: دعنى عنك.

شهادة أخرى من معاوية

قال ابن أبي الحديد^(١):

إن علياً كتب إلى محمد بن أبي بكر رضوان الله عليه كتاباً عندما كان عاملاً
من قبله على مصر، وكان محمد ينظر فيه ويتأدب بأدبه، فلما ظهر عليه
عمرو بن العاص وقتله، أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية، فكان معاوية
ينظر في هذا الكتاب ويتعجب منه، فقال الوليد بن عقبة وهو عند معاوية
وقدر رأى إعجابه به، مُرّ بهذه الأحاديث أن تحرق، فقال معاوية مه لا رأى
لك، فقال الوليد أضمن الرأي أن يعلم الناس أن أحديث أبي تراب^(٢) عنك
تتعلم منها؟ قال معاوية ويحك أتأمرنى أن أحرق علماً مثل هذا؟ والله ما
سمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم!! فقال الوليد إن كنت تعجب من
علمه وقضائه فعلم تقائله؟؟؟

(١) شرح نهج البلاغة.

(٢) سمي النبي ﷺ علياً: أبا تراب، ولجليل المسلمين في الشام بذلك، والله ذلك سبب له.

فقال لولا أن أبا تراب قتل عثمان لم أفتلنا لأخذنا عنه !!

ثم سكت هنيهة ثم نظر إلى جلسائه فقال إنا لا نقول إن هذه من كتب على بن أبي طالب، ولكن نقول هذه من كتب أبي بكر الصديق، كانت عند ابنه محمد، فنحن ننظر فيها ونأخذ منه. قال فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني أمية حتى ولي عمر بن عبد العزيز، فهو الذي أظهر أنها من أحاديث على بن أبي طالب عليه السلام وكلامه.

ثم قال ابن أبي الحديد:

الأليق أن يكون الكتاب الذي كان مع معاوية ينظر فيه ويعجب منه ويفتي به ويقضى بقضائيه وأحكامه هو عهد على بن أبي طالب إلى الأشتر، فإنه نسيج وحده، ومنه تعلم الناس الآداب والقضايا والأحكام والسياسة، وهذا العهد صار إلى معاوية لما سم الأشتر ومات قبل وصوله إلى مصر، فكان ينظر فيه ويعجب منه، وحقق مثله أن يقتنى في خزائن الملوك^(١)

والرسالة موجودة بنصها في نهج البلاغة، ومنها نهل ابن خلدون نظرياته عن العمران.

شهادة ابن أبي الحديد^(٢)

وبعد أن أوردنا شهادة معاوية بن أبي سفيان، نورد شهادة ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة، الذي قال في مقدمة شرحه:

وما أقول في رجل أثر له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره والتحرير على ووضع المعاييب والمخالب له، ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا مادحيه بل حيسومهم وقتلهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً، حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعة وسموا،

(١) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٨.

(٢) المرجع نفسه.

وكان كالمسك كلما ستر انتشر عُرْفُه، وكلما كتم تضمر نوره، وكالشمس لا تستر بالراح وكهضوء النهار أن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة .

وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة وتنتهى إليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة؟

وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي ؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومن كلامه ﷺ اقتبس وعنه نقل وإليه انتهى ومنه ابتداء . فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر - ومنهم تعلم الناس هذا الفن - تلازمته وأصحابه ، لأن كبيرهم وأصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبو تلميذه ﷺ .

وأما الأشعرية فإنهم يتممون إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، وهو تلميذ أبي علي الجبائي، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتهون إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم، وهو علي بن أبي طالب ﷺ .

وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر .

ومن العلوم علم الفقه، وهو ﷺ أصله وأساسه، وكل فقيه في الإسلام فهو حبال عليه ومستفيد من فقهه .

أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة .

وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة .

وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر الصادق ﷺ وقرأ جعفر على أبيه ﷺ وينتهي الأمر إلى علي ﷺ .

وأما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس، وقرأ عبد الله بن عباس على علي بن أبي طالب .

وإن شئت فرددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك !!!
فهؤلاء الفقهاء الأربعة .

وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر .

وأيضاً فإن فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وكلاهما أخذ عن علي عليه السلام . أما ابن عباس ، فظاهر وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة ، وقوله غير مرة لولا علي لهلك عمر ، وقوله لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن ، وقوله لا يفتن أحد في المسجد وعلي حاضر ، فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه .

وقد روت العامة والمخاصة قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أقضاكم علي » .

والقضاء هو الفقه ، فهو إذا أفقههم . وروى الكل أيضاً أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضياً : « اللهم اهد قلبه وثبت لسانه » ، قال (عليه السلام) فما شككت بعدها في قضاءه بين اثنين .

وهو عليه السلام الذي أنشئ في المرأة التي وضعت لسته أشهر ، وهو الذي قال في المنبرية صار لثمتها تسعاً ، وهذه المسألة لو فكر الفرضي (صاحب علم الفرائض) فيها ففكر طويلاً لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب ، فما ظنك بمن قاله بديهية واقتضبه ارتجالاً ؟

ومن علوم الدين علم تفسير القرآن ، وعنه أخذ ومنه فرع ، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك ، لأن أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس ، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له والقطاعه إليه ، وأنه تلميذه وخريجه ، وقيل له أين علمك من علم ابن عمك ؟ فقال كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط .

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف ، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه يتجهون وعنده يقفون ، وقد صرح بذلك

الشبلى والجنييد وسرى وأبو يزيد البسطامي وأبو محفوظ معروف الكرخي وغيرهم .

ومن العلوم علم النحو والعربية ، وقد علم الناس كافة أنه هو الذى ابتدعه وأنشأه ، وأملئ على أبى الأسود الدؤلى جوامعه وأصوله ، من جمعتها : الكلام كله ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف ، ومن جمعتها تقسيم الاسم إلى معرفة ونكرة ، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والتصب والجزم والجزم ، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات لأن القوة البشرية لا تفى بهذا الحصر ولا تنهش بهذا الاستباط .

مصدر علوم الإمام

لقد كان الإمام على بن أبى طالب بالدليل والبرهان العملى باب مدينة علم رسول الله ﷺ ، ولكن ، من أين جاء الإمام على بن أبى طالب ﷺ بكل هذا العلم ؟؟ يقول سلام الله عليه ^(١) :

وقد علمت موضعى من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة : وضعنى فى حجره وأنا وليد يهمنى إلى صدره ، ويكفنى فى فراشه ، ويمسنى جسده ويمسنى عرفه وكان يهضغ الشىء ثم يلقمنيه وما وجد لى كلمة فى قول ولا خطلة فى فعل .

ولقد قرن الله تعالى به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان ضليماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنت أتبعه أتباع القصيل أثر أمه ، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرنى بالافتداء به ، ولقد كان يجاور فى كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيرى ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحى والرسالة وأشم ريح النبوة . فمن غير على بن أبى طالب ﷺ أتبع له مثل هذا ١١٩٩ .

(١) نهج البلاغة خطبة ١٩٢ .

لقد كان أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يتبركون به وبآثاره ويعرفه ويشعروه!! حتى لقد غلا البعض فيهم وأسيخ عليهم صفات القداسة لمجرد أنهم رأوه وسمعوا منه، فما بالك بآبن عمه وربيّه ووزيره الذي رى في حجره وتام في فراشه وتلقى الموت مراراً وتكراراً بدلاً عنه وفداه بنفسه في كل تلك المواضع التي تنزل فيها الأبطال ونكس فيها الرجال!!١٢٢.

وما بالك بمن زوجته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وخطب يوم زواجهما قائلاً:

«الحمد لله للحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع لسلطاته المهورب إليه من عناده، النافذ أمره في أرضه وسماؤه، الذي خلق الخلق بقدرته ونيرهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم. إن الله عز وجل جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمرأ مفترساً وحكماً عادلاً وخيراً جامعاً، أوشج بها الأرحام وأزَمَها الأنام. فقال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، وأمر الله بجرى إلى قضائه، وقضاه بجرى إلى قدره، ولكل أجل كتاب ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِبُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]، ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوجه فاطمة من علي، وأشهدكم أني زوجت فاطمة من علي على أربع مائة مثقال فضة إن رضى بذلك على السنة القائمة والقرينة الواجبة، فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمانة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم». انظر الطبقات الكبرى لابن سعد.

نصائح الإمام لكميل

قال كميل بن زياد: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأخرجني إلى الجبلين (القبور) فلما أحصر نفس الصعداء، ثم قال:

يا كميل بن زياد، إن هذه القلوب أوعية، فخبرها أوعاها فاحفظ عني ما

أقول لك : الناس ثلاثة ، فـعالم ريتي ، ومتعلم على سبيل نجاة ، و هـج
رعاع ، أتباع كل ناعص ، يـيلون مع كل ريح ، لم يـتضئوا بنور العلم ، ولم
يـلجؤوا إلى ركن وثيق .

يا كميل ، العلم غير من المال : العلم يـحرسك وأنت تحرس المال والمال ينقصه
النـفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق وصنيع المال يزول بزواله . يا كميل بن
زياد ، معرفة العلم دين يـدان به ، به يـكسب الإنسان الطاعة في حباته ،
وجـمـيل الأحدثة بعد وفاته ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه . يا كميل
ابن زياد ، هـلك خـزان الأموال وهم أحياء والعـلاء باقون ما بـقى النـهر ،
أصـيـبتهم مـفـقـودة ، أمـثالهم في القلوب مـوجـودة . ها ، إن ها هنا لعلـماً جـمـاً
(وأشار إلى صدره) لو أصـبـت له حـمـلةً أ بلى أصـبـت لـفـناً غير مـأمـون عليه
مستعملاً آلة الدين للدنيا ومستظـهراً بنعم الله على عباده ويـحـجـجه على
أوليائه أو متقلداً لحملة الحق ، لا بصيرة له في أمـثاله ، يتـدحج الشك في قلبه
لأوكن عارض من شبهة ألا ، لا ذا ولا ذاك ! أو منهوماً باللفـة ، سلس القياد
للشهوة ، أو مغرماً بالجمع والأدخار ، لبساً من رعاة الدين في شيء ، أقرب
شيء شبيهاً بهما الأنعام السائمة ! كذلك يموت العلم بموت حامله . اللهم
بلى ! لا تـخلو الأرض من قائم لله بحجة ، إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً
مغموراً ، لئلا تبطل حجج الله وبيـناته . وكم ذا ولـمـن أولئك ؟ أولئك . والله .
الأقلون عدداً ، والأعظمون قدراً ، يحفظ الله بهم حججه وبيـناته ، حتى
يودعها نظارهم ، ويـزرعها في قلوب أشيائهم ، هـجم بهم العلم على
حقيقة البصيرة ويـأثـروا روح اليقين واستلوا ما استوعبه المترفون ، وأنسوا
بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمـحل
الأعلى ، أولئك خلفاء الله في أرضه ، والدعاة إلى دينه ، أهـ أهـ شوقاً إلى
رؤيتهم^(١) .

وقال رحمه الله :

اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ، فإن رواية العلم كثير ،
ورعائه قليل .

وقال أيضاً :

خذ الحكمة أتى كنت ، فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن .

وقال عليه السلام :

من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم .

ولما سئل الإمام عن الخير ما هو ؟ قال :

ليس الخير أن يكثر مالك ووليك ولكن الخير أن يكثر علمك ، وأن يعظم حلمك ، وأن تباهي الناس بعبادة ربك ، فإن أحسنت حمدت الله ، وإن أسأت استغفرت الله . ولا خير في الدنيا إلا لرجلين : رجل أذنب ذنباً فهو يتداركها بالتوبة ، ورجل يسارع في الخيرات . ولا يقل عمل مع التقوى ، وكيف يقل ما يتقبل ؟

وقال أيضاً مرغياً في الإقبال على العلم :

كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم ، فإنه يتسع .



ياخذك الإمام إلى عالم الحكمة الأوسع ، الذي يتعين على المسلم أن يجوب في أرجائه وأن يسبح في فضائه ، فيأخذ منه ما ينفعه وينفع الناس ، ويدعوك إلى أخذ العلم أينما وجدته ، ولا يقيدك بقيد ، اللهم إلا قيد واحد هو طلب العلم والحكمة .

عندما يقول لك الإمام : فتش عن الحكمة أينما تجدتها ، حتى ولو كانت عند المنافقين ، فإنه يرفع عنك أي قيد ، مذهبي أو فقهي أو حزبي ، فإذا كنت تفتش عنها حتى عند المنافقين فما بالك بغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى ، خاصة الكتابية منها ؟ يدعوك إلى الحوار الإنساني مع كل أصحاب العلم من كافة أصناف البشر من المسلمين أو غير المسلمين ، تستفيد وتفيد وتعلم وتعلم .

المسلمون، ولسوء حظهم، لم يأخذوا بوصية الإمام على عليه السلام لهم أن يعقلوا
الأخبار عقل الدراية والفهم والعمق (خير ندره خير من ألف خير ترويه) مفضلين على
ذلك عقل الرواية التي تورده الأخبار والروايات الدينية التي تتناقض فيما بينها وتتناقض
مع قواعد العقل والمنطق.

الإمام على والزهد

لقد علم الإمام على بن أبي طالب سلام الله عليه الدنيا، الزهد الثوري الواصي الذي
هو نقيض الزهد الانهزامي.

الزهد الثوري هو زهد الواحد لا زهد الفاقد.

الزهد الثوري هو زهد القادر على نيل الدنيا، وكان الكثير منها بين يديه قبل
الحلقة، ثم أصبحت كلها تحت أقدامه بعد الحلقة، ولكنه أصر على إبعادها وطلبها
قللاً لها قد بايتك ثلاثاً، هُرى هُرى!

من حكم الإمام

الرأى يفعل قوم كالفأخل فيه معهم، وعلى كل فأخل فى باطل، إثمَان:
إثم العمل به، وإثم الرضى به.

احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك.

من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن ومن اعتبر أبصر
ومن أبصر فهم ومن فهم علم.

قال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه:

لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجى الثروة بطول الأمل، يقول فى
الدنيا يقول الزاهدين، ويعمل فيها يعمل الراغبين، إن أعطى منها لم يشبع،
وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتى، ويبتغى الزيادة فيما بقى،
ينهى ولا يتنهى، ويأمر بما لا يأتى، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم،

ويغض المذنبين وهو أحدهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه، ويقيم على ما يكره الموت له، إن سلم ظلّ نادماً، وإن صحّ أمن لاهياً يعجب بنفسه إذا عوفي ويخط إذا ابتلى إن أصابه بلاء دعا مضطراً، وإن ناله رخاء أعرض مغترّاً، تغلبه نفسه على ما يظنّ، ولا يغلّبها على ما يستيقن، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه، ويرجو لنفسه بأكثر من عمله، إن استغنى بقر وفتن، وإن افتقر قنط ووهن، يقتصّر إذا عمل، ويبالغ إذا سأل، إن عرّضت له شهوة أسلف المعصية وسوّف الثوبة، وإن حرّته محنة انفرج عن شرائط الملة، يصف العبرة ولا يعتبر، ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ، فهو بالقول مدلّ، ومن العمل مقلّ، يتنافس فيما يهني، ويسلمح فيما يهني، يرى الغنم مغرمّاً، والغرم مغنماً، يخشى الموت ولا يبادر الفوت، يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه، ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره، فهو على الناس طاعن، ولنفسه مداهن، اللّهُ مع الأغنياء أحبّ إليه من الذّكر مع الفقراء، يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره، يرشد غيره ويغوى نفسه، فهو بطاع وبعض، ويستوفي ولا يوفى، ويخشى الخلق في غير ربّه، ولا يخشى ربّه في خلقه.

وقال رحمه الله: لا به الحسن رحمه الله:

يا بنى احفظ عني أربعاً وأربعاً، لا يضرك ما عملت معهنّ:

إنّ أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحق، وأوحش الوحشة المعجب، وأكرم الحسب حسن الخلق. يا بنى، وإيّاك ومصادقة الأحقر، فإنّه يريد أن يثقلك فيضرك. وإيّاك ومصادقة البخيل، فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصادقة الفاجر فإنّه يبيعك بالتأفّه، وإيّاك ومصادقة الكذاب، فإنّه كالسراب، يقرب عليك البعيد، ويبعد عليك القريب.

وقال رحمه الله:

الجود حلوس الأعراس، والحلم فدام [لجام] السّفية، والعفو زكاة الظفر، والسّلوة عودك بمن غدر، والاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى

برأيه، والصَّبر يتأخَّل الحَدَثان والجَزَع من أَهْوان الزَّمان، وأشرف الغنى ترك
المتى، وكم من عقل أسير تحت هوى أمير! ومن التَّوفيق حفظ التَّجربة،
والمودة قرابة مستفادَة، ولا تَأْمَنُ ملولاً
وقال أيضاً:

من ملك استأثر ومن استبدَّ برأيه هلك، ومن شاور الرِّجال شاركها في
عقولها، ومن كتم سرَّه كانت الخيرة بيده.

وقال رحمه الله:

الفقر الموت الأكبر.

وقال رحمه الله:

أزرى بنفسه من استشعر الطَّمع، ورضى بالذلَّ من كشف سرَّه، وهانت
عليه نفسه من أَسرَ عليها لسانه، والبخل عار، والجبن مَقصَّة، والفقر يخرس
الفطن عن حِجَّتِه، والقلَّ غريب في بلدته، والعجز أفة، والصَّبر شجاعة،
والزهْد ثروة، والورع جَنَّة، ونعم القرين الرِّضَى، والعلم وراثَة كريمة،
والأدب حللٌ مجدِّدة، والفكر مرآة صافية، وصدر العاقل صندوق سرَّه،
والبشاشة حيالة المودة، والاحتمال قبر العيوب.

الطَّمع رِقٌّ مزِيد.

أكثر مصارع العقول تحت بروق المَطامع.

الطَّمع في وثاق الذلِّ.

بش الزَّاد إلى المعاد العدوان على العباد.

لا يزهَّدنَّك في المعروف من لا يشكره لك، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع
بشيء منه، وقد تدرك من شكر الشَّاكر أكثر ممَّا أحصاه الكافر، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

أوَّل عوض الحليم من حلمه أن التَّمس أنصاره على الجاهل.

إن لم تكن حليماً فتحلم، فإنه قل من تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم.

لغت منى بمنزلة هارون من موسى

لو كان حفظ الدين متوقفاً على عموم الصحابة لما استخلف رسول الله صلى الله عليه وآله، عليها يوم تبوك ولما قال له والمعاهدة على البخاري (أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى).

إنها الرواية التي نرى في حللها الحدين الجد واللعب، فقد ذهب موسى ﷺ إلى ميقات ربه تاركاً قومه أي أصحابه في عهدة هارون ﷺ ولم يترك الدين عهدة أصحابه وفيهم السامري صاحب الباع الكبير في الحيل والالاعيب التي أهل بها أمة بأسرها فضله الله أنذ على العالمين.

لم يحفظ أصحاب موسى ﷺ وصيته لهارون ﷺ الخلفي في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴿الأعراف: ١٤٢﴾. وأعرضوا عن نصيحة هارون ﷺ الذي حذرهم ونبههم من خطورة الحفرة التي قادم إليها السامري رغم أنه كان من أصحاب موسى وهكذا فقد تعبد القوم بأهوائهم وخالفوا وصية نبيهم وقرأ معنى ما قاله رب العزة عمن خالفوا هارون ﷺ في سورة طه.

﴿وما أضلقت عن قومك يا موسى ﴿٨٧﴾ قال هم أولاء علي أنرى وعجلت إليك ر. لترضى ﴿٨٨﴾ قال فإننا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري ﴿٨٩﴾ فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً افضال عليكم العهد لم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى ﴿٩٠﴾ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فلذلقها فكدلك ألقى السامري ﴿٩١﴾ فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى ﴿٩٢﴾ أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً ﴿٩٣﴾ ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري ﴿٩٤﴾ قالوا لن نخرج عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴿٩٥﴾ قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ﴿٩٦﴾ ألا تتبين لهمصيت أمري ﴿٩٧﴾ قال يا بنؤم لا تأخذ

بمخفى ولا برأى إني خشيتُ أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولي ﴿١١﴾ قال فما خطبك يا سامري ﴿١٢﴾ قال بصرتُ بما لم يصروا به فقبضت قبضةً من أثر الرسول فبذتها وكذلك سوتُ لي نفسي ﴿١٣﴾ قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعد أن تخلفه وانظر إلى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لتحرقه ثم تنسفه في النِّم سفا ﴿١٤﴾ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو ومع كل شيء عليم ﴿طه﴾

بله الصراع بين (التمدين الولائي) و(التمدين الأهوازي)

التمدين الولائي يقوم على مبدأ الولاء لأئمة أهل البيت حيث لا مجال للأعيب السامري وكل من كان على شاكلته من عبدة الدرهم والدينار، ممن كان حظهم من الدين لا يزيد على قبضة من أثر الرسول، بل هو سير على صراط مستقيم لا مجال فيه لاتباع السبل فتشرك بكم عن سبيل الله ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [الأنعام: ١٥٣].

السير على درب هارون موسى وهارون محمد هو سير على هدف وبصيرة ﴿قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. بعيداً عن تلك المسارات العشوائية التي أثرها القوم وجعلوا منها طريقهم ودينهم حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً الأمر كان وما زال اختياراً بين طريقين لا ثالث لهما:

إما السير على خطى هارون موسى وهارون محمد أو السير على خطى السامري الذي لم يزد حظه من دين موسى ﷺ على قبضة من أثر الرسول فكان أن قاد بنى إسرائيل وقاد من جاء بعدهم إلى التيه والتخبط والانحراف.

عجل بنى إسرائيل وجعل المسلمين

ترك (عجل بنى إسرائيل) وانتقل إلى (جمل المسلمين) الذي أهل منهم جيلاً كثيراً

عندما أخذهم وانحرف بهم بعيداً عن (هارون محمد) على بن أبي طالب، وتقرأ تلك الكلمات التي رواها أبو مخنف في تاريخه، والنقل عن ابن أبي الحديد^(١) قال: قام رجل إلى علي عليه السلام يوم (الجمعة) فقال يا أمير المؤمنين أي فتنة أعظم من هذه؟ إن البدنية ليمشي بعضها إلى بعض بالسيف؟ فقال عليه السلام: ويحك أتكون فتنة أنا أميرها وقائدوها؟ والذي بعث محمداً بالحق وكرم وجهه ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بي ولا زلت ولا زل بي، وإني لعلى بينة من ربي بيّننا الله ورسوله لي، وسأدعي يوم القيامة ولا ذنب لي، ولو كان لي ذنب لكفر عنى قنوى ما أنا فيه من قتالهم.

قال أبو مخنف: حدثنا مسلم الأعمور عن حبة العرنى قال فلما رأى علي عليه السلام الموت عند الجميل وأنه ما دام قائماً فالحرب لا تطفأ، وضع سيفه على عاتقه وعطفه نحوه وأمر أصحابه بذلك ومشى نحوه والخطام مع بني خزيمة، فاقتتلوا قتالاً شديداً وخلص عليه السلام في جماعة من النخع وهمدان إلى الجميل، فقال لرجل من النخع اسمه بحير: دونك الجميل يا بحير فضرب عجز الجميل بسيفه فوق عنقه وضرب بجراحه الأرض وعج عجباً لم يسمع بأشد منه، فما هو إلا أن صرع الجميل، حتى قرت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب، واحتملت عائشة بهودجها فحملت إلى دار عبد الله بن خلف، وقال عليه السلام لعنه الله من دابة، ما أشبهه بمجل بنى إسرائيل، ثم قرأ ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾

[طه: ٩٧].

إنه منطق الانحراف والاعوجاج (العجلى أو الجسلى) لا يفرق بينهما وهو ما لا يحتاج إلى تعسف في التأويل أو التعلل بالأباطيل التي أمنت تلك الثعالب الرواغة على التعلل بها والقول بأن الأمر كان مجرد فتنة لا يعرف فيها وجه الصواب من الخطأ، أو أن الجميع كانوا مجرد فتنة لا يعرف فيها وجه الصواب من الخطأ، أو أن الجميع كانوا على صواب، وثورة أخرى أن الجميع كانوا مجتهدين مأجورين، أحدهما على صواب والآخر على خطأ. ولا أدري أي دين هذا الذي يحصل فيه الإنسان على ثواب مقابل فعله الخاطئ، مع أن الله تبارك وتعالى يقول ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره^(٢) [الزلزلة: ٧-٨]. فما بالك بمن خرج ومرد على إمام

الحق (هارون محمد) بل وتسبب بتمرده هذا في سفك دماء آلاف من المسلمين ، ما كان ينبغي أن تسفك منها قطرة واحدة بدون مبرر شرعي أخلاقي .

ألم يكن الهدف من هذه الحروب التي شنت على إمام الحق علي بن أبي طالب هو صرف الناس عن الاهتمام بهديه ، وحصد الناس عن الأخذ بوصية رسول الله في الأخذ بالتقلين الكتاب والعتره لأنهم (لن يخرجوكم من هدى) ١٩

أليس هذا هو الصمد عن سبيل الله عز وجل وصراطه المستقيم ؟؟ ﴿وَمَنْ يَغْلِبْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٢٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُتَعَدُّونَ ﴿٢٧﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمُشْرِقَيْنِ فَيَنْسُقِ الْقَرِينُ ﴿٢٨﴾ وَلَنْ يَفْعَلَهُكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَنَنْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّمَا تَسْمَعُ الصَّهْمَ أَوْ تَهْدِي السَّمَاءَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَإِنَّمَا نَذِيرُكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٣١﴾ لَوْ نُرِيدُكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٣٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٣٤﴾

(الزخرف :

على هذا النهج يمكننا أن نقرأ أسيرة إمامنا علي بن أبي طالب تلك السيرة التي تقدم لنا نهج الاستقامة الأخلاقية الربانية في مواجهة تلك الحجج التي تدرب عليها القوم وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من تكوينهم العقلي والديني .

والسؤال الذي يتعين على كل مسلم أن يجيب عليه :

أين نجد الطريق الصحيح لفهم الدين إن لم نجده عند أهل البيت عليهم السلام ؟ ومن هو الأقدر على تقديم النموذج الذي يتطابق فيه الأفعال مع الأقوال ١٩٩٩ .

لماذا لم يقتل علي بن أبي طالب ؟؟

يقولون : لو كان علي بن أبي طالب يرى أنه صاحب حق فلماذا لم يقاتل من أجل استعادة حقه ؟؟

كان جواب (هارون موسى) رداً على سؤال أخيه موسى عليه السلام ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٣٤﴾ أَلا تَتَّبِعُ الْفَضِيلَةَ أَمْرِي ﴿٣٥﴾﴾ (طه : ٩٢ - ٩٣) .

﴿يَا بَنُوٓا۟دَآءَ لَا تَأْخُذْ بِمِلْحَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه : ٩٤) .

فالمتع من استخدام العنف والقوة من أجل التصدي لأهليل وحيل السامري لم يكن سوى الحرص على وحدة الأمة .
ما كان ينبغي أن يطرح السؤال على هارون موسى أو هارون محمد بل على من أضلهم السامري .

كيف ولماذا أضلكم السامري ؟؟

ولما كان السؤال أولاً لقوم موسى ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ وَمِنكُمْ فَخْطَاةٌ وَمِنكُمْ هُمْ مَنِ اتَّبَعُوا وَفَصَّخْتُ مِنْكُمْ هَٰمَاقًا مِّنْ مَّاءٍ لَّعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (طه : ٩٤) .
عليكم العهد أم أرفقتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي ﴿

الجواب الباهت فكان : ﴿وَمَا أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا لُؤْلُؤًا مِن زِينَةِ الْقَوْمِ فَلَدَقْنَاهَا فَفُتِنَاكَ أَفَلَا تَتَذَكَّرُ﴾ (طه : ٨٧) .

العلة التي أبعدت تلك الأمة عن رؤية الصواب هي إصابتها بعمى الألوآن وانعدام القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب ﴿وَاللَّيْلُ يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (طه : ٨٩) .

وإذا توجهنا صوب (هارون محمد) على بن أبي طالب لتسأل السؤال نفسه فنسمع إجابة لا تختلف كثيراً عن إجابة (هارون موسى) حيث يقول سلام الله عليه في خطبة المعروفة بالمشقة (أما والله لقد تقصصها فلان ، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ، ينحدر عن السيل ، ولا يقى إلى الطير ، فسدلت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتى بين أن أصول بيد جفاء ، أو أصبر على طخبة حمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت أن الصبر على هاتنا أحسن فصبرت وفي العين قذى ، وفي الخلق شجاً) .

إنها مصلحة الأمة التي حافظ عليها هارون خوفاً من فتنة حمياء يهرم فيها الكبير ويشيب الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه وضيعها أتباع السامري .

وهو يرفض جر الأمة معه إلى ساحة معركة شعارها العصية القبلية فيرفض عرض أبي سفيان المحتج على ولاية القوم كونهم جاهدوا من أصغر وأقل بطون قريش شأننا الداعي إلى رفع السيف في وجههم فيقول سلام الله عليه (أيها الناس، شقوا أمواج الفتن بسفن النجلاء، وخرجوا عن طريق المنافرة، وضعموا نيجان المناخرة. أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح. هذا ماء آجن ولقمة بنص بها أكلها ومجتنى الشرة لغير وقت ليناعها كالفزاع بغير أرضه. فإن أقل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت!! هيهات بعد اللثيا والني! والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بشدى أمه، بل اندمجت على مكتون علم لو بحث به لأضطربتم اضطراب الأرضية في الطوى البعيدة!).

والمعنى أن إيماننا على بن أبي طالب (عليه السلام) كان حرصاً كل الحرص على وحدة الأمة وحفظ كتابها حرصه في الوقت نفسه على استمرار دور الإمامة الإرشادي وهو يفسر رفضه لاستخدام القوة يعلمه الموروث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وضرورة التأني وإعطاء الأمة مهلة كافية من الزمن لتعبد النظر في أخطائها، فتختار سبيل الرشاد والهداية وتتخلي عن سبيل الغواية الذي خطه سامري بنى إسرائيل وكل سامري جاء من بعده!!.

هذه هي حقيقة موقف الإمام على بن أبي طالب من تلك الأحداث التي تلت رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الدنيا، وهو موقف منزّه عن كل شبهة لغرض شخصي أو اتباع للهوى حياً أو بغضاً لشخص بعينه.

على بن أبي طالب يفضأ عين الفتنة

تلك التحالف الرواغة ما نفتأ نكرر أن ما جرى في تلك الفترة كان مجرد (فتنة وقى الله ألبدينا من شرها ونسال الله أن يقي أكتستنا منها).

الفتنة التي حذرنا منها كتاب الله هي الضلال والانجراف عن الصواب، وهذا معنى قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. وهي معنى قوله تعالى ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١].

الفتن أنواع منها فتنة المال وفتنة النساء وفتنة الأولاد وفتنة الدجال ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا

أَمْوَالَكُمْ وَلَوْلَا دُكْمُ فَتْنَةٍ [الأنفال: ٢٨]. وكلها أشياء تعمى الإنسان عن رؤية الحقائق، أو تحول بينه وبين اتخاذ ما يتعين عليه اتخاذه من مواقف صارمة نصرة للمظلوم في وجه الظالم.

الفتنة قد تكون انحرفاً نحو الكفر والضلال أو تكون انحرفاً يقع داخل مسيرة الدين كما فعل السامري ببني إسرائيل ﴿قَالَ فَإِنَّا فَدَّ فِتْنًا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَحْلَمْتَ السَّامِرِي﴾ [طه: ٨٥].

الادعاء بأن ما جرى في صدر تاريخنا الإسلامي كان فتنة لا يعرف فيها وجه الصواب من الخطأ هو تضليل وافتتات على الحقائق الناصعة الواضحة، والأسوأ من هذا أنه كذف لله ولرسوله بأنهم تركوا الأمة من دون قائد ولا دليل - من دون منار هدى أو علم يرى!!.

ولا أدرى كيف يكون الامتناع عن ذم الخطأ وإدانة المخطئين نوعاً من التقوى والورع أو من شيم عباد الله الصالحين!!.

بينما يقول إمامنا علي عليه السلام (واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشيد حتى تعرفوا الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذته فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنهم عيش العلم، وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق).

إنه ورع أبناء الأفاضل الذين إن سرق فيهم الضعيف الجائع قطعوه وإن سرق فيهم القوي عيروه، فهو من وجهة نظرهم أفضل من يحفظ أموال المسلمين.

أما عباد الله الصالحين فهم موصوفون في كتاب الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥١)﴾ إِنَّمَا وَلَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾ [المائدة: ٥٤ - ٥٦].

إنهم المؤمنون الموارثون لعلی ولأهل البيت من بعده وهم من كاتبت صفاتهم على هذه الصورة ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوهُ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]. أما إمامهم ووليهم فهو علي بن أبي طالب ﴿وَلَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥]. وهو من أشار إليه رب العزة في هذه الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]. فكان إعطائه الصدقة حال ركوعه علامة على ولايته للمؤمنين وتفقده لأحوالهم ورعاية لشأنهم في كل وقت وحين فلم تمنعه صلاته ووقوفه أمام الله عز وجل عن صلة ذلك السائل المسكين الذي تلهي عنه الباقون فلم يعطه أحد شيئاً.

وهو ما ذكره الطبري^(١) قال: حدثنا إسماعيل بن إسرائيل الرملي، قال: حدثنا أبيوب بن سويد، قال: حدثنا عتبة بن زي حكيماً في هذه الآية: ﴿وَلَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ علي بن أبي طالب.

حدثني الحارث، قال: حدثنا عبد العزيز قال: حدثنا غالب بن عبيد الله قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: ﴿وَلَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية قال: نزلت في علي ابن أبي طالب، تصديق وهو راعٍ.

أما القرطبي^(٢) فزاد الأمر إيضاحاً فقال: وقال ابن عباس: نزلت في علي ابن أبي طالب عليه السلام، وقاله مجاهد والسدي وذلك أن سائلاً سأل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يعطه أحد شيئاً، وكان علي في الصلاة في الركوع وفي يمينه خاتم، فأنشأ إلى السائل بيده حتى أخذه.

لقد شكلت أحداث تلك الفترة علامة فارقة في تاريخ الإسلام في الصراع بين النهجين السالفين: نهج السامري المجلي والجملي والنهج العلوي الحمدي نهج الاستقامة على صراط الله المستقيم تصوراً وسلوكاً وأخلاقاً.

نحن نعتقد أن مواقف الإمام علي بن أبي طالب وأئمة أهل البيت المضحين من بعده، شكلت تلك العلامات الفارقة بين الحق والباطل والصواب والخطأ.

(١) جامع البيان في تفسير القرآن.
(٢) المجتاهد لأحكام القرآن - تفسير القرطبي.

تلك العلامات التي بقيت نبراساً ومنهجاً للسائرين على طريق الحق الراغبين بحق في العودة إلى دين الله ومنهجه، لا يبغى معها شمة حاجة للتخطيط أو التلطف ذات البين وذات اليسر، بحثاً عن تشخيص دقيق لسبب أزمات المسلمين القديمة والمعاصرة، وسر تنكبيهم عن ركب التقدم العالمي، ولماذا يحصلون الآن وقبل الآن على أدنى تقييم في سلم الحضارة الإنسانية.

إنه طريق الفتنة الذي اختاره القوم بحسب إرادتهم، فكان أن استبللوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وهربت عليهم الذلة والمسكنة ذلك بما عصوا وكاتوا يعتدون على أولياء الله الصالحين وعثرة المصطفى الأمين، وما هي العلل والأمراض الاجتماعية فتتلك بهم بتحليلهم من عهدهم ومواقفهم واستمراهم الكذب على الله ورسوله سعياً لدوام الحال ورضخ أن هذا يعد ضرباً من الحال !!! .

اقرأ معنى ما قاله مولى الثقلين وهو يحذر الأمة من الوقوع في شبك الضالين المضلين:

إن الشيطان ينسئ لكم طرقه، ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة ويعطيكم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة فاصدقوا عن نزعاته ونفائته، واقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم، واعقلوها على أنفسكم.

ثم يقول مرة أخرى:

وقام إليه ﷺ وجل فقال: أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال ﷺ: لما أنزل الله سبحانه قوله: ﴿أَلَمْ أَحْصِ النَّاسُ أَنْ يَتَّكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢]، علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا. فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها؟ فقال «يا علي، إن أمتي سيفتتون من بعدي». فقلت: يا رسول الله، أليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين، وحيزت عنى الشهادة، فشق ذلك عليّ، فقلت لي: «أبشر، فإن الشهادة من وراءك»؟ فقال لي: «إن ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن؟». فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن

الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر. وقال: «يا على، إن القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنون بدينهم على دينهم ويمنون وحمته ويأمنون سطوته ويستحلون حرمله بالشبهات المكاذبة والأهواء الساعية، فيتحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع». قلت: يا رسول الله، فبأي المنازل أنزله عند ذلك؟ أم ينزلة ردة، أم بمنزلة فتنة؟ فقال: «بمنزلة فتنة»^(١)

ثم يوضح الإمام على عليه السلام أهمية مواقفه في مواجهة تلك الفتن التي أبعدت المسلمين عن الصراط المستقيم.

أما بعد، أيها الناس فتني فقات عين الفتنة، ولم يكن ليجتري عليها أحد غيري بعد أن ماج غيبتها، واشتد كلبها»^(٢)

الذي نخلص إليه أن مواقف الإمام على عليه السلام الأخلاقية الصارمة من تلك الأحداث والفتن التي عاشتها الأمة الإسلامية بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الدنيا ونصبتها، قدمت للامة المعيار الحقيقي الذي يمكن من خلاله التعرف على صدق الإيمان والعقيدة وصواب الموقف، وكان الأمر مصداقاً لما قاله رسول الله ورواه عنه أبو سعيد الخدري، قال: كنا جلوساً ننظر رسول الله عليه السلام فخرج إلينا قد انقطع شمع نعله، فرمى به إلى علي عليه السلام فقال: «إن منكم من يقتل الناس على تأويل القرآن كما قاتل علي عليه السلام فقال أبو بكر أنا؟ قال: لا، قال عمر أنا؟ قال لا ولكن خالص النحل. رواه النسائي في الخصائص.

تلك هي القضية، وهذا هو سر تمسكتنا بولاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من مولده.

فليسهم الناس نشيحاً أو رفضاً أو تكفراً أو ما شاءوا!!!

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِبَاهِكُمْ لَنُعَلِيْ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٧٥) قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجِرْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا نَعْمَلُونَ (٧٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ (٧٦)﴾ [سبا: ٢٤-٢٦].

الإمام علي وطبيعة المجتمع المسلم

لا ينبغي للمشتغل بالشأن العقائدي أن يغفل عن الطبيعة البشرية التي تحكم وتتحكم في سلوك المؤمنين بأي ديانة أو مذهب.

(١) نهج البلاغة خطبة ١٥٦.

(٢) المرجع نفسه خطبة ٩١.

إنها قاعدة لا تقبل أى نوع من الاستثناء!! .

ومهما كانت قيمة أو عظمة المعتقد الذى يتبناه الإنسان، فالطبيعة الإنسانية والظروف الاجتماعية، بل والأحوال المناخية، تؤثر بدورها على سلوك المؤمنين بأى دين أو مذهب .

ألم يتعلل البعض بالحرق فى قعودهم عن نصرته رسول الله والجهاد معه يوم العسرة، حيث قال من قال منهم ﴿لَا تَقْرَءُوا فِي الْحَرِّ﴾ (التوبة : ٨١) ورد عليهم سبحانه وتعالى : قال نار جهنم أشد حراً ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَقْرَءُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة : ٨١) .

ألم يقل الإمام على بن أبى طالب مخاطباً من كان معه (فيا عجبا والله يبيت القلب ويجلب الهم من اجتماع القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم!! فقيحا لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى، ينال عليكم ولا تنفرون وتغزون ولا تغزون!! ويمضى الله وترضون!! .

فإذا أمرتكم بالسير فى الحر، قلتم هذه حمارة القيظ . . أمهلنا يسبح هنا الحر!! وإذا أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء، قلتم هذه صبرة القر أمهلنا يسلخ عنا البرد، كل هذا فراراً من الحر والقر!!

فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر!!! .

يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال، لوددت أنى لم أركم ولم أعرفكم^(١)

لم يكن كل عسكر الإمام على هذه الصورة الشائنة، بل كان منهم العظماء الأفاض المضحون، مثل قيس بن سعد بن عبادة وأبى أيوب الأنصارى وعمر بن ياسر وأبى الهيثم بن التيهان وذى الشهادتين خزيمة بن ثابت ومالك الأشتر النخعي، الذين ذكرهم الإمام وتوَجَّع على استشهادهم حيث يقول سلام الله عليه :

ما سر إخواننا الذين سفكت دماؤهم - وهم بصفين - ألا يكونوا اليوم أحياء؟
يسبقون القصص، ويشربون الرنق! قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم، وأحلهم دار

الامن بعد خوفهم . أين إخواني الذين ركبوا الطريق ، ومضوا على الحق ؟ أين عمّار ؟ وأين ابن النبهان ؟ وأين ذو الشهداءين ؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية ، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة ؟ قال ثم ضرب بيده على خيسته الشريفة الكريمة ، فأطال البكاء ، ثم قال **يَا أَيُّهَا** إخواني الذين تلووا القرآن فأحكموه وتديروا الغرض فأقلعوه ، أحيوا السنة ، وأماتوا اليدعة ، دعوا للمجاهد فأجابهوه ، ووثقوا بالقائد فلتبعوا^(١)

ويصف مالك الأشتر عندما أرسله إلى مصر واليًا عليها : أما بعد ، فقد بعثت إليكم عبدًا من عباد الله عز وجل ، لا ينأى أيام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع ، أشد على انفجار من حريق النار ، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج ، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق ، فإنه سيف من سيوف الله ، لا كليل الظبة ، ولا ناي الضريبة ، فإن أمركم أن تنفروا فنفروا ، وإن أمركم أن تقبضوا فاقبضوا ، فإنه لا يقدم ولا يحجم ، ولا يؤخر ولا يقدم إلا عن أمري . وقد أثرتكم به على نفسي لتصبحته لكم ، وشدة شكيته على عدوكم^(٢)

إنها طبيعة البشر ونحن لا نزعج أن التشيع لأهل البيت ، ينقل صاحبه من الحالة البشرية إلى حالة ملائكية ، فالتشيع معتقد ، هو قلب الإسلام ولكنه ليس حالة زائدة على المألوف الديني .

التشيع ليس بالضرورة حالة صوفية تصعد بالمريدين درجات سلم القرب الإلهي ، بل هو موقف عقائدي قلبي جهادي يمكن أن يتبناه الصادق وغير الصادق ، كما أن أحدًا لا يزعم أن كل من كاتوا مع الإمام علي بن أبي طالب هم ممن ينطبق عليهم وصف التشيع لأهل البيت ، فهم كاتوا في أغلبهم من جمهور المسلمين بحسناتهم وسبائهم .

مقتل الإمام

أي شقيق وهنك هذا الذي عناه الإمام علي وهو يحاول دفع الأمة نحو الاستقامة والابتعاد عن طرق الأهواء المتعرجة التي لم يكن أحد من أهل تلك البدايات يعرف أين تنتهي بأصحابها وسالكها ، ولكننا نحن وقد أصبحنا في النهايات نعرف أين انتهت بنا تلك الانحرافات والأهوجاجات .

(١) نهج البلاغة خطبة ١٨٢

(٢) المرجع نفسه رسالة رقم ٣٨ .

كان الإمام علي بن أبي طالب يقاتل ويقاتل على تأويل القرآن، وهو ما أخبر به رواية الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت أنا على تنزيله وهو علي بن أبي طالب»^(١)

والمعنى أن الإمام كان يحارب من أجل أن يفسر ويطبق الدين تطبيقاً صحيحاً وأن يجرى العمل بجوهره، حتى لا يصبح الدين شكلاً بلا مضمون. طقوساً تقام هنا وهناك في حين نحت قيم الإسلام ومفاهيمه الحقيقية من حرية وعزة عن كل ما سوى الله، ومن عمل في سبيل العدالة والمساواة، بإخلاص وشموخ، كخلفاء الله على الأرض، كرمهم الله وفضلهم وسخر لهم الكون.

قال أبو الفرج الأصفهاني^(٢):

كان ابن ملجم من قبيلة مراد، فأقبل حتى قدم الكوفة، فزار رجلاً من أصحابه ذات يوم، فصادف عنده قطام بنت الأخضر بن شجنة من تيم الرياب، وكان الإمام علي قتل أبها وأخوها بالنهر^(٣)، وكانت من أجل نساء أهل زمتها، فلما رآها ابن ملجم شغف بها فخطبها، فقالت له ما الذي تسعى لي من الصداق؟ فقال لها احتكسي ما بدا لك، فقالت: ثلاثة آلاف درهم ووصيقت وخادمًا، وقتل علي بن أبي طالب، فقال لها: لك جميع ما سألت، فأما قتل علي فأني لى بذلك؟ فقالت: نلتس غرته، فإن أنت قتلت شفيت نفسي وهذا لك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا، قال لها: أما والله أقدمني هذا المصير وقد كنت هاربًا منه لا أمن مع أهله إلا ما سألتني من قتل علي، فلك ما سألت. قالت له: فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك ويقربك. ثم بعثت إلى ورفان بن مجاهد من تيم الرياب فخبرته الخبر وسألته معونة ابن ملجم لعنه الله، فتحمل ذلك لها وخرج ابن ملجم فأتى رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة فقال له: يا شبيب، هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما هو؟ قال تساعدني على قتل علي بن أبي طالب، وكان شبيب على رأى الخوارج، فقال له يا ابن ملجم هبلتك الهبول، لقد جئت شيئًا إداً، وكيف تقدر على ذلك؟ قال له ابن ملجم: نكمن له في المسجد الأعظم، فإذا خرج لصلاة الفجر فتكننا به

(١) رواد الفضل وابن الغزالي.

(٢) مقاتل الطالبيين.

(٣) عند قتاله الخوارج، الذين خرجوا عليه لما قبل التحكيم بينه وبين معاوية على أساس القرآن.

فقتلناه، فإذا نحن قتلناه شفينا أنفسنا وأمرنا ثأرنا، فلم يزل به حتى أجلبه، فأقبل معه حتى دخل على قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم قد ضربت عليها قبة، فقالا لها قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل. قالت لهما: فإذا أردتما ذلك فالقبي في هذا الموضع. فأتصرفا من عندها، فلبثا أياماً ثم أتياها ليلة الجمعة لتسع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين - وفي رواية أنها كانت سبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان - فتقلدوا سيوفهم ومضوا فجلسوا مما يلي السدة التي كان يخرج منها أمير المؤمنين إلى الصلاة.

وذكر أبو الفرج أن ابن ملجم أتى إلى الأشعث بن قيس في الليلة التي أراد فيها بعلی ما أراد، والأشعث في بعض نواحي المسجد، فسمع حجر بن عدي الأشعث يقول لابن ملجم النجاء النجاء لحاجتك، فقد فضحك الصبيح، فقال له حجر: قتلت يا أعور، وخرج مبلداً إلى علی، وأسرع ابن ملجم فضرب علیاً وأقبل حجر والنفس يقولون: قتل أمير المؤمنين.

ويروى أبو الفرج عن عبد الله بن محمد الأزدي قال:

إني لأصلي تلك الليلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل مصر كانوا يصلون في ذلك الشهر من أول الليل إلى آخره، إذ نظرت إلى رجال يصلون قريباً من السدة قياماً وقعوداً وركوعاً وسجوداً ما يسأمون، إذ خرج علی لصلاة الفجر، فأقبل ينادي الصلاة الصلاة، فما أدري أنادي أم رأيت يريق السيف؟ وسمعت قللاً يقول الحكم لله يا علی لا لك ولا لأصحابك، ثم رأيت يريق سيف آخر ثانياً، فصره شبيب بن بجرة ضربة فأخطأته وصره ابن ملجم فأتيت الضربة في وسط رأسه وسمعت علیاً يقول لا يخنونكم الرجل، وشد الناس عليه من كل ناحية حتى أخذوه. ثم أدخل ابن ملجم علیاً، ودخلت عليه فيمن دخل، فسمعت علیاً يقول: النفس بالنفس، إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني، وإن سلمت رأيت فيه رأيي، فقال ابن ملجم والله لقد ابتعته بألف وسمته بألف، فإن خائني فأبعده الله. قال: ونادته أم كلثوم: يا عبد الله قتلت أمير المؤمنين قال: إنما قتلت أبك، قالت يا عبد الله إني لأرجو أن لا يكون عليه بأس، قال لها: فأراك إنما تيكين علياً، إذا والله لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم.

ثم جاء الناس حين انصرفوا من صلاة الصبح باين ملجم لعنه الله ينهشون
لحمه بأستهم كأنهم سياح ، وهم يقولون له : يا عدو الله ماذا فعلت ؟ أهلك
أمة محمد صلى الله عليه وآله وقتلت خير الناس ، وإنه لصامت ما ينطق .

الذين مدحوا قتل الإمام

يروى ابن الأثير^(١) : لما قتل ابن ملجم المرادي الإمام على بن أبي طالب مدحه (مدح
ابن ملجم!!) ابن أبي مياس المرادي بقوله :

فنحن ضربنا يا لك الخير حيدر أبا حسن مأسومة فتقطرا
ونحن خلعنا ملكه من نظمه بضرية سيف إذ علا ونجبرا
ونحن كرام في الصباح أهزة إذا المرء بالموت ارتدى وتأزرا
وقال أيضاً :

فلم أر مهراً ساقه ذو سماعة كمهر قطام بين فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وهرب على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من على وإن غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم
لك أن تعجب أخى المسلم من هؤلاء والعجب قليل!!

وأحد الذين روى لهم البخاري في صحيحه ، عمران بن حطان السدوسي البصري
الذي مدح ابن ملجم بشعره .

وصية الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم . . هذا ما أوصى به أمير المؤمنين على بن أبي طالب :
أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلوات الله وبركاته عليه
﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٦) لا شريك له وبذلك
أمرت وأنا أول المسلمين (١٦٧) ﴿[الأنعام: ١٦٦ - ١٦٣] .

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ .

أوصيك يا حسن وجميع ولدى وأهل بيتى ومن بلغه كتابى هذا بتقوى الله ربنا، ولا
تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، فإني سمعت رسول
الله يقول: إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، وأن الميدة الحائلة للدين
فساد ذات البين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

انظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوهم بهون الله عليكم الحساب . .

الله . . الله فى الأيتام فلا تغبوا أفواههم بجفونكم

والله الله فى جيرانكم فإنها وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما زال يوصينا
بهم حتى ظننا أنه سيورثهم.

والله الله فى القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم . .

والله الله فى الصلاة فإنها عماد دينكم.

والله الله فى بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا وإنه إن
خلا منكم لم تنظروا.

والله الله فى صيام شهر رمضان فإنه جنة من النار . .

والله الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم .

والله الله فى زكاة أموالكم فإنها تطفى غضب ربكم

والله الله فى أمة نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم .

والله الله فى أصحاب نبيكم فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى بهم . .

والله الله فى الفقراء والمساكين فأشركوهم فى معاشكم .

والله الله فيما ملكت أيماكم فإنها كانت آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وآله .



الفصل الثالث

اضطهاد الشيعة بعد رحيل الإمام

لم يكن الإمام على بن أبي طالب عليه السلام بالذى يخاف الموت، وهو الذى جندل صناديد الشرك من بنى أمية وعمر بن عبد ود ويهود خيبر، وهو الذى طالما رأى أشقى الناس عبد الرحمن بن ملجم أمامه وكان يعلم مراده، فقال ليسمه:

أريد حياتي ويريد قتلى عذيرك من خليل من مراد

ولذا وقبل أن يرحل إمامنا على بن أبي طالب عليه السلام عن هذه الدنيا ليستريح من نصبها وتعبها، أوصى شيعته وأعلمهم بما سيجرى عليهم من الابتلاء فيها هو يقول:

أما إنه سيظهر عليكم بعدى رجل رحب البلعوم، مندحق البطن يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه، ولن تقتلوه! ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني؛ فأما السب فسبوني، فإنه لي زكاة، ولكم بجملة؛ وأما البراءة فلا تبرموا مني، فإنني ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة^(١)

أما لما اعتمد معاوية سياسة سب الإمام على بن أبي طالب وشتمه على المنابر وعرض الناس للبراءة منه، فالسب كان أعمق بكثير من مجرد التشفي والانتقام من الإمام، بل كان الهدف هو اجتثاث بذرة التشيع للإمام على ولأهل البيت عليهم السلام من خلال القضاء على تلك النواة الشيعية الصلبة الملتصقة حول الإمام.

الذين كثروا مع الإمام لم يكونوا جميعاً من العارفين بحقه على الصورة التي ذكرناها سابقاً، بل كان من بينهم من لم يؤتوا من العلم والمعرفة إلا قليلاً، وهذا هو دأب الناس في كل زمان ومكان، فمنهم العالم الرباني، ومنهم العوام الذين يكتفون بمعرفة أبسط قواعد الإسلام، ومنهم الشياطين الذين يسعون في الأرض فساداً.

كان الصنف الأول هو المستهدف بالتصفية من معاوية بن أبي سفيان، فما أن ينطق بكلمة احتجاج حتى يقتل وتلقى جثته تحت التراب أو يدفن حياً، أما الصنف الثاني

(١) نهج البلاغة خطبة ٥٦.

فكان مستهدفاً هو الآخر، ولكن بالتغيب ومحو الذاكرة من خلال سياسة الإصرار على سب الإمام على المنابر في كل صلاة جمعة.

تكشف لنا هذه السياسة الأموية الاستتصالية عن السب وراء حالة الفزع التي قد تتاب البعض حينما يتهم بأنه من الشيعة، حيث كانت هذه التهمة تعنى القتل، أو تخضية ما تبقى من العمر في غياهب السجون، ومهما حاولنا أن نشرح للناس أو نفصل أن القصد بكلمة شيعة هو التشيع لعلى بن أبى طالب وأهل البيت، وأن مثل هذا التشيع والانتماء هو مصدر فخر لمصاحبه ولا يمكن أن يكون العكس صحيحاً، فالحاجز النفسى الذى تراكم عبر تلك القرون المتطاولة، والذى أسسه الأمويون وسار على منواله العباسيون، وكثير من نلوه من حكم المسلمين ما زال قائماً بين أبناء الفرق والتيارات الإسلامية الفكرية والمذهبية.

معاوية وحريه على الشيعة

يروى المؤرخون:

لما ولى معاوية بن أبى سفيان على الكوفة المغيرة بن شعبة في جمادى سنة ٤١ هـ دعاه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال له:

أما بعد فإن لذى الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا، وقد قال الخليل:

لذى الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلم

وقد يجزى عنك الحكيم بغير التعليم، وقد أردت إصداك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بهرك بما يرضينى ويسعد سلطتى ويصلح به رعبتى، ولست تاركاً إصداك بخصلة: لا تحم عن شتم على بن أبى طالب وذمه والعيب على أصحاب على والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم، وإطراء شيعة عثمان والإثناء لهم والاستماع منهم^(١)

وظل المغيرة بن شعبة عاملاً على الكوفة سبع سنين وأشهر، لا يدع ذم على بن أبى طالب والوقوف فيه، فكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك قال بل إياكم فذم الله ولعن، ثم قام فقال إن الله عز وجل يقول ﴿كُونُوا قَوْمِ اللَّهِ بِالْقِسْطِ يُشْهِدُهُ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٣٥]

(١) ترويح الرسل والملوك «تاريخ الطبري» ج ٥

وأنا أشهد أن من نذمون وتعميرون لأحق بالفضل ، وأن من تزكون وتطرون هو أولى بالذم . فيقول المغيرة : يا حجر ويحك اتق السلطان ، اتق غضبه وسطوته ، فإن غضبه السلطان أحبباً مما يهلك أمثالك . ثم يكف عنه ويصفح ، حتى كان في آخر إمارته قام المغيرة فقال في عليّ وعثمان كما كان يقول ، فقام حجر بن عدي فنمر نمرة بالمغيرة سمعها كل من كان في المسجد وخارجاً منه وقال : إنك لا تدري بمن تولع من هرمك أيها الإنسان ، مر لنا بأرزاقنا وأعطينا فإتاك قد حبستها عنا وليس ذلك لك ، ولم يكن بطمع في ذلك من كان قبلك ، وقد أصبحت مولعاً بهذا أمير المؤمنين وتقرّظ للمجرمين . فقام معه أكثر من ثلثي الناس يقولون صدق والله حجر وبر ، مر لنا بأعطينا فإتانا لا نتضع بقولك ذا ولا يجدي علينا شيئاً ، وأكثروا في مثل هذا القول ونحوه .

ثم مات المغيرة سنة إحدى وخمسين . وجاء زياد بن أبيه - وفي قول : ابن سمية - والياً على الكوفة ، فقام خطيباً يوم الجمعة ، فأطال الخطبة وأمر الصلاة ، فقال له حجر ابن عدي الصلاة ، فمضى في خطبته ، فلما خشي حجر فوت الصلاة هرب بيده إلى كف من حصص وثار إلى الصلاة وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلى بالناس ، فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية في أمره وألح عليه ، فأمر معاوية بن أبي سفيان باعتقاله ، فلما أخذ وجيء به إلى زياد بعد أن أعطاه الأمان ، فقال له زياد : مرحباً بك أبا عبد الرحمن !! حرب في أيام الحرب وحرب وقد سلم الناس ! على أهلها تحني برأف ، فقال حجر ما خلعت طاعة ولا فارقت جماعة ، وإني لعلى بيعتي ، فقال زياد هيأت يا حجر تشج بيد ونأسو بأخرى ، وتريد إذ أمكن الله منك أن نرضى !! لا والله . ثم أمر به إلى السجن .

الطعن بعد الموت

قتل عمرو بن الحمق الخزاعي

ولم يكن لزياد من همه إلا طلب ما تبقى من أصحاب حجر بن عدي الكندي ، فهرب عمرو بن الحمق ورفاعة بن شداد إلى جبال الموصل ، ثم لحق بهم عسكر بني أمية ، فأخذوا عمرو بن الحمق وكان في شدة المرض ، وأفلت رفاعة بن شداد ، فأمر معاوية بطعنه (أي : طعن عمرو) تسع طعنات ، فأخرج فطعن تسع طعنات ، فمات في الأولى منها أو الثانية .

ثم أخذ صبي بن فسيل من رهوس أصحاب حجر وحج به إلى زياد، فقال له يا عدو الله ما تقول في أبي تراب؟ قال ما أعرف أبا تراب؟ قال ما أعرفك به!! قال ما أعرفه، قال أما تعرف علي بن أبي طالب؟ قال بلى، قال فذلك أبو تراب، قال كلا فك أبو الحسن والحسين، فقال له صاحب الشرطة يقول لك الأمير هو أبو تراب وتقول أنت لا؟ قال وإن كذب الأمير أتريد أن أكذب وأشهد له على باطل كما شهد؟!! قال له زياد وهذا أبهضاً مع ذنبك، على بالعصا. فأنى بها فقال ما قولك في علي؟ قال أحسن قول أنا قلته في عبد من عباد الله أقوله في أمير المؤمنين، قال اضربوا عاتقه بالعصا حتى يلمصق بالأرض، فضرب حتى لزم الأرض، ثم قال أقلعوا عنه: ما قولك في علي؟ قال والله لو شرحتني بالمواسي والمدى ما قلت إلا ما سمعت مني، قال لتلعنته أو لأهريقن عثك؟ قال إننا نصرها والله قبل ذلك، فإن أبيت إلا أن نصرها رغبنا بالله وشقيت أنت، قال ادفعوا في رقبته، ثم قال أوقروه حديدًا وألقوه في السجن^(١١)

وبعد أن جمع زياد من أصحاب حجر بن عدى اثني عشر رجلاً في السجن، دعا رؤساء الأرباع فشهد هؤلاء أن حجرًا جمع إليه الجموع وأظهر شتم الخليفة ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا في آل أبي طالب، وأظهر عذر أبي تراب (علي بن أبي طالب) والتزحم عليه والبراءة من عدوه وأهل حربه، وأن هؤلاء الذين معه هم رهوس أصحابه وعلي مثل رأيه. ثم نظر زياد في شهادة الشهود وقال: ما أظن هذه شهادة قاطعة، وأحب أن يكون الشهود أكثر من أربعة، فدعا الناس ليشهدوا عليه، وقال زياد: على مثل هذه الشهادة فاشهدوا، أما والله لأجهدن على قطع خيط عتق الخائن الأحمق.

تسيير حجر وأصحابه إلى معاوية لقتلهم

ثم دفع زياد بن سمية حجر بن عدى وأصحابه من شبيعة على إلى وائل بن حجر

(١١) تاريخ القسطنطيني، ج ٥، ص ٢٦٦ ط دار المعارف ١٩٧٩ م.

الحضرمي وكثير بن شهاب، وأمرهما أن يسيرا بهم إلى الشام، فخرجوا عشية وسار معهم صاحب الشرطة حتى أخرجهم من الكوفة .

ثم ساروا حتى انتهوا إلى مرج عذراء عند دمشق، وهم اثنا عشر رجلاً، وأنبعهم زياد برجلين مع علم من الأسود، فتم عددهم أربعة عشر رجلاً، فحبسوا مرج عذراء، فبعث معاوية إلى وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأدخلهما وأخذ كتابهما فقرأه على أهل الشام فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين من زياد بن أبي سفيان، أما بعد، فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء، فأدله من عدوه وكفاه مؤونة من بنى عليه، إن طواغيت الترابية السبئية، رأسهم حجر بن عدى خالفوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا الحرب، فأظهرنا الله عليهم وأمكننا منهم، وقد دعوت خيار أهل المصر وأشرفهم وفؤى النهى والدين، فشهدوا عليهم بما رأوا وعلموا، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين، وكتب شهادة صلحاء أهل المصر وخبرهم في أسفل كتابي هذا .

فلما قرأ معاوية الكتاب وشهادة الشهود عليهم، قال ماذا ترون في هؤلاء النفر الذين شهد عليهم قومهم بما تسمعون؟ فقال له يزيد بن أسد البجلي : أرى أن تخرقهم في قرى الشام فيكفيكهم طواغيتهم .

وكتب معاوية إلى زياد : أما بعد فقد فهمت ما اقتضت به من أمر حُجر وأصحابه وشهادة من قبلك عليهم، فنظرت في ذلك، فأحياناً أرى قتلهم أفضل من تركهم، وأحياناً أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم، والسلام .

فكتب إليه زياد مع يزيد بن حجية التميمي : أما بعد، فقد قرأت كتابك وفهمت رأيك في حُجر وأصحابه، فمجيبت لاشتباه الأمر عليك فيهم وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم، فإن كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردن حُجراً وأصحابه إلى .

فقام مالك بن هيرة فسأله في حُجر فلم يشفعه، فغضب وجلس في بيته، فبعث معاوية هدية بن فياض القضاعي من بني سلامان بن سعد والحصين بن

عبد الله الكلبي وأبا شريف البدي، فأتوهم عند المساء، فقال المختصم حين رأى الأعرور مقبلاً: يقتل نصفنا وينجو نصفنا، فقال سعيد بن ثمران اللهم اجعلني ممن ينجو وأنت عنى راض، فقال عبد الرحمن بن حسان العتري اللهم اجعلني ممن تكرم بهواتهم وأنت عنى راض، فطالما عرضت نفسى للقتل فأبى الله إلا ما أراد. فجاءه رسول معاوية إليهم بتخيلية ستة ويقتل ثمانية، فقال لهم رسل معاوية: إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البرامة من على واللعن له، فإن فعلتم هذا تركناكم وإن أبيتم قتلناكم، وإن أمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت له بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنه قد عفا عن ذلك، فلهروا من هذا الرجل نخل سبيلكم. قالوا: لستنا فاعلين. فأمرؤا بقبورهم فحلت وبقبورهم فحفرت وأدنت أكفانهم، فقاموا الليل كله يصلون، فلما أصبحوا، قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء قد رأيناكم البارحة أظلمت الصلاة وأحست الدعاء، فأخبرونا ما قولكم فى عثمان؟ قالوا: هو أول من جاز فى الحكم وعمل بنير الحق، فقال أصحاب معاوية: أمير المؤمنين كان أعلم بكم، ثم قاموا إليهم وقالوا: نبرءون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولاه. فأخذ كل رجل منهم رجلاً ليقتله.

قال لهم حجر: دعونى أصلى ركعتين.

فقالوا له: صل. فصلى ثم انصرف، فقال والله ما صليت صلاة قط أقصر منها، ولولا أن تروا أن ما بى جزع من الموت لأحببت أن أمتكثر منها، ثم قال اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتموني بها إني لأول فارس من المسلمين سلك فى واديهما، وأول رجل من المسلمين نيحته كلاهما. فمضى إليه هدية الأعرور بالسيف فأرعدت فصائله، فقال زعمت أنك لا تنزع من الموت فأنا أدعك فلهروا من صاحبك، فقال ما لى لا أجزع؟ وأنا أرى قبرك محفورا وكفنًا منشورا وسيفًا مشهورا، وإني والله إن جزعت لا أقول ما يسيخط الرب، فقيل له مد عتقك، فقال إن ذلك لدم ما كنت لأعين عليه. فقدم فصريرت عقه، وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة.

قال عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم بن عفيف الخثعمي : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين ، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته ، فبعثوا إلى معاوية فأخبروه ، فبعث اثنى بهما .

فلما دخل عليه الخثعمي قال له : الله الله يا معاوية ، إنك تقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ومستول عما أردت بقتلنا وفيهم سفكت دماءنا؟ فقال معاوية : ما تقول في علي؟ قال أقول فيه قولك ، أتتبرأ من دين علي الذي كان يدين الله به؟ فسكت وكره معاوية أن يجيبه . فقام شمر بن عبد الله الخثعمي فمستوجهه فقال : هو لك غير أني حليبه شهراً فحبسه ، فكان يرسل إليه بين كل يومين فيكلمه ، ثم أطلقه علي أن لا يدخل الكوفة ما دام له سلطان ، فنزل الموصل فكان يقول لو قد مات معاوية قدمت مصر ، فعانت قبل معاوية بشهر .

حقبة الدفن حياً

ثم أقبل علي عبد الرحمن بن حسان فقال له : إيه يا أخاربيعة ، ما قولك في علي؟ قال دعني ولا تسألني فإنه خير لك . قال والله لا أدعك حتى تخبرني عنه . قال أشهد أنه كان من الناكسين الله كثيراً ومن الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر والعافين عن الناس . قال فما قولك في عثمان؟ قال هو أول من فتح باب الظلم وأرجح أبواب الحق . قال قتلت نفسك . قال بل إياك قتلت . لا ربيعة بالوادي - يعني أنه ليس ثم أحد من قومه فيتكلم فيه - فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه : أما بعد ، فإن هذا العنزي شر من بعثت به ، فعلقه بالعقوبة التي هو أهلها واقتله شر قتلة ، فلما قدم به علي زياد ، بعث به إلى قس الناطف فدقته حياً .

فقتل من أصحاب حجر :

شريك بن شداد الحضرمي - صيفي بن فسيل الشيباني - قبيصة بن هبيرة العيسى - محرز بن شهاب المظري - كدام بن حيان العنزي - عبد الرحمن بن حسان العنزي .

ويجاء منهم :

كريم بن عفيف الحنصلي - عبد الله بن حوية التميمي - عاصم بن عوف البجلي -
ورقاء بن سمي البجلي - أرقم بن عبد الله الكندي - عتبة بن الأخنس السعدي - سعد بن
نمران الهمداني^(١)

مرثية حجر بن عدي

روى ابن جرير الطبري^(٢) في أحداث عام ٥١ للهجرة :

وقالت هند بنت زيد بن مخزومة الأنصارية ترثي حُجراً :

ترفع أيها القمر المنير	نصر هل ترى حُجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب	ليقتله كما زعم الأمير
تجبرت الجبابر بعد حُجْر	وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد بها محولا	كأن لم يحيا مزن مطير
ألا يا حجر حُجْر بن عدي	نلتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أدرى عدينا	وشيخاً في دمشق له زبير
يرى قتل الحيار عليه حقاً	له من شر أمته وزير
ألا يا ليت حُجْراً مات موتاً	ولم ينحر كما نحر البعير
فإن تهلك فكل زعيم قوم	من الدنيا إلى هلك بهير
وقالت الكندية ترثي حُجْراً :	

دموع عيني ديمة تقطر	تبكي على حجر وما تفتنر
لو كانت القوس على أسره	ما حمل السيف له الأعور



(١) الأغاني للأصفهاني ١٦ : ٢ - ١١ ، عيون الأخبار لابن قتيبة ١ ، تاريخ الطبري ٦ : ١٤١ - ١٥٦ ،
مستدرک الحاكم ٣ : ٤٦٨ ، تاريخ ابن عساکر ٤ : ٨٤ و ٦ : ٤٥٤ ، الكامل لابن الأثير ٣ :
٢٠٢ - ٢٠٨ ، تاريخ ابن كثير ٨ : ٤٩ - ٥٥ .
(٢) تاريخ الرسل والملوك لتاريخ الطبري ٥ ج ٥

عمر بن عبد العزيز يبطل سب الإمام

ظلت سياسة سب الإمام علي بن أبي طالب على المنابر جزءاً ثابتاً من المنهج الأموي لم يجر العدول عنه إلا أثناء خلافة عمر بن عبد العزيز، حيث يروي ابن الأثير^(١):

كان بنو أمية يسبون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، فترك ذلك وكتب إلى العمال في الأفاق بتركه.

وكان سب محبته علياً كما قال: كنت بالمدينة أتعليم العلم وكنت ألزم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، فبلغه عنى شيء من ذلك فأنتبه يوماً وهو يصلي، فأطال الصلاة، فبعدت أنتظر فراغه، فلما فرغ من صلاته التفت إلي فقال لي: متى علمت أن الله غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضى عنهم؟؟

قلت: لم أسمع ذلك. قال: فما الذي بلغني عنك في علي؟ قلت: معذرة إلى الله وإليك! وتركت ما كنت عليه.

وكان أبي إذا خطب فنال من علي عليه السلام تلجلج، فقلت: يا أباي إنك تمضى في خطبتك فإذا أنهيت علي ذكر علي بن أبي طالب عرفت منك تقصيراً!! قال: أوقفت لذلك؟ قلت: نعم. فقال: يا بني إن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم لفرقوا عنا إلى أولاده!!

فلما ولي عمر الخلافة، لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم لأجلها، فترك ذلك وكتب بتركه، وقرأ عهده ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠]، فحل هذا الفعل عند الناس محلاً حسناً وأكثروا مدحه بسببه.

بعد مقتل الإمام علي

ولما قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في عام ٤٠ هـ، بايع المسلمون بالخلافة للإمام الحسن بن علي، حيث يروي ابن الأثير:

(١) الكامل في التاريخ ج ٣.

وكان أول من بايعه قيس بن سعد الأنصاري وقال له : أبسط يدك أبليحك
على كتاب الله وسنة نبيه وقاتل المحلين . فقال الحسن : على كتاب الله وسنة
رسوله فإتھما يأتيان على كل شرط . فبايعه الناس . وكان الحسن يشترط
عليهم : إنكم مطيعون تسلمون من سالت وتحاربون من حاربت .

قال الشيخ المفيد (ولما قبض أمير المؤمنين عليه السلام أصحاب أبيه على حرب من
حارب وسلم من سالم) .

وبعد أن يوع له خطب الإمام الحسن بن علي صبيحة الليلة التي قبض فيها أمير
المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله وآله ثم قال :

«لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل .
لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجهه
برأيه فيكفنه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه ،
ولقد توفي عليه السلام في الليلة التي خرج فيها يعيسى بن مريم عليه السلام ، وفيها قبض يوشع بن
نون وصى موسى وما خلف صفراء ولا يبيضاء إلا سبعة مائة درهم فضلت من عطائه ،
أراد أن يتناع بها خادماً لأله» ثم خنته العبرة فيكي ويكي الناس معه .

ثم قال : «أنا ابن البشير ، أنا ابن النفير ، أنا ابن الداعي إلى الله بإفته أنا ابن السراج
المنير ، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، أنا من أهل بيت
افترض الله حبهم في كتابه قال عز وجل : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي
الْقُرْبَى وَمَن يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّوْذْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى : ٢٣] . فالحسنة مردتنا أهل
البيت» .

ثم جلس فقام عيد الله بن عباس رحمة الله عليه بين يديه فقال : معاشر الناس ، هنا
ابن نبيكم ووصى إمامكم فبايعوه فاستجاب له الناس وقالوا : ما أحبه إلينا وأوجب
حقه علينا . ونبادروا إلى البيعة له بالخلافة وذلك يوم الجمعة الحادى والعشرين من شهر
رمضان سنة أربعين من الهجرة . فرتب العمال وأمر الأمراء ، وأتخذ عيد الله بن العباس
خطبة إلى البصرة ، ونظر في الأمور . وسار معاوية نحو العراق ليغلب عليه ، فلما بلغ
جسر منبج تحرك الحسن عليه السلام وبعث حجر بن عدي فأمر العمال بالمسير ، واستنفر
الناس للجهاد فتشاققوا عنه ، ثم خف مع أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه
عليهما السلام وبعضهم محكمة (أى من الحوارج رافعى شعار إن الحكم إلا لله) يؤثرون

قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكك
وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين. فسار حتى أتى
حمام عمر، ثم أخذ على دير كمب فنزل سباط دون القنطرة وبات هناك.

فلما أصبح أراد ﷺ أن يمتحن أصحابه ويستبصر أحوالهم في الطاعة له، ليميز
بذلك أوليائه من أعدائه ويكون على بصيرة في لقاء معاوية ولعل الشام. فأمر أن ينادى
في الناس بالصلاة جامعة فاجتمعوا، فصعد المنبر فخطبهم فقال: الحمد لله بكل ما
حمده حامد وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله، أرسله بالحق واتممه على الرحي صلى الله عليه وآله.

أما بعد: فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلق الله
لخالقه وما أصبحت محتلاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وإن ما
تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإنى ناظر لكم خيراً من نظركم
لأنفسكم فلا تخالفوا أمرى ولا تردوا على رأيي، غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما
فيه المحبة والرضا.

فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنه والله يريد أن
يهالich معاوية ويسلم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل ثم شدوا على فسطاطه
فانتهبوه حتى أخذوا مصلا من تحته ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جهم
الأزدى فترع مطرفه عن عاتقه، فبلى جالساً متقلداً السيف بغير رداء. ثم دعا بخرسه
فركبه وأحرق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أواده، فقال: «ادعوا إلى»
ريضة وهمدان، فدعوا له فأطاعوا به ودفعوا الناس عنه وسار ومعه شوب من الناس،
فلما مر في مظلم سباط، بدر إليه رجل من الخوارج فأخذ بلبجام بقلته ويده مغول
وقال: الله أكبر أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل، ثم طعنه في فخذه فشقه
حتى بلغ العظم فاعتنقه الحسن ﷺ وخرأ جميعاً إلى الأرض، فوثب إليه رجل من
شعبة الحسن ﷺ يقال له عبد الله بن غطل الطائي فانتزع المغول من يده وخبطه به
جوفه.

وحمل الحسن ﷺ على سرير إلى المدائن، فأنزل به على سعد بن مسعود النخعي
واشتغل بغسله بعالج جرحه، وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة له

فى السر وحثوه على السير نحوهم وضمنوا له تسليم الإمام الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من عسكره، أو الفتك به . وبلغ الحسن ذلك فلزادته بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له وفساد نياتهم، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلا خاصة من شيعة وشيعة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام .

فكتب إليه معاوية فى الهدنة والصلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه التى ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه، واشترط له على نفسه فى إجابتها إلى صلحه شروطاً كثيرة، وعقد له عقوداً كان فى الوفاء بها مصلح شاملة، فلم يبق به الحسن عليه السلام وعلم احتياله إلى ما التمس من ترك الحرب وإنفاذ الهدنة، لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر فى حقه والفساد عليه والحلف منهم له وما انطوى كثير منهم عليه فى استغلال دمه وتسليمه إلى خصمه وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم فى الأجلة . فتوثق عليه لنفسه من معاوية لتأكيد الحجة عليه والإعذار فيما بينه وبينه عند الله عز وجل وعند كافة المسلمين، واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والعدول عن الفتوت عليه، فى الصلوات، وأن يؤمن شيعة رضى الله عنه ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذى حق منهم حقه، فأجابته معاوية إلى ذلك كله وعاهده عليه وحلف له بالوفاء به .

كما يروى ابن الأثير^(١) : تسلم معاوية الأمر لخمس بقين من ربيع الأول من هذه السنة، وقيل : إنما سلم الحسن الأمر إلى معاوية لأنه لما راسله معاوية فى تسليم الخلافة إليه، خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : إنا والله ما نبتئنا عن أهل الشام شك ولا ندم وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيب السلام بالعداوة والصبر بالجزع، وكتم فى سيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم وأصبحتم اليوم ودينكم أمام دنياكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين : قتيل بصفين تكون له وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، وأما الباقي فخاذل وأما الباكي فتائر، ألا وإن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت ردناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل بعد السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخفنا لكم الرضى . فتأذاه الناس من كل جانب : البقية البقية! وأمضى الصلح . ولما عزم على تسليم الأمر إلى معاوية خطب الناس فقال : أيها الناس

إنما نحن أسراؤكم وضيقاتكم ونحن أهل بيت نبيكم الذين أنهب الله عنهم الرجز وطهرهم تطهيراً . وكرر ذلك حتى ما بقي في المجلس إلا من بكى حتى سمع نسيجه .

وكانت خلافة الحسن على قول من يقول إنه سلم الأمر في ربيع الأول خمسة أشهر ونحو نصف شهر ، وعلى قول من يقول في ربيع الآخر يكون ستة أشهر وشيئاً ، وعلى قول من يقول في جمادى الأولى يكون سبعة أشهر وشيئاً ، والله تعالى أعلم .

خطبة معاوية ورد الإمام الحسن عليه

فلما تمت الهدنة على ذلك ، سار معاوية حتى نزل بالخيلة وكان ذلك يوم الجمعة ، فصلى بالناس فحسب النهار ، فخطبهم وقال في خطبته : إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا تصوموا ولا تحجوا ولا تنزكوا ، إنكم لتفعلون ذلك ، ولكني قاتلتكم لأنامر عليكم ، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون ألا وإني كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء ، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له .

ثم سار حتى دخل الكوفة فأقام بها أياماً ، فلما تمت البيعة له من أهلها ، صعد المنبر فخطب الناس وذكر أمير المؤمنين عليه السلام فقال منه ونال من الحسن وكان الحسن والحسين سلام الله عليهما حاضرين ، فقام الحسين ليرد عليه ، فأخذ بيده الحسن فأجلسه ثم قام فقال : «أيها الذكر علياً أنا الحسن وأبي علي وأنت معاوية وأبوك صخر وأمي فاطمة وأمك هند وجدى رسول الله وجدك حرب وجدتي خديجة وجدتك قتيلة ، فلعن الله أئمتنا ذكراً والأما حسباً وشرنا قداماً وأئمتنا كفرًا ونفاقاً فقال طوائف من أهل المسجد : آمين آمين^(١)

الخلافة والإمامة

بانتها خلافة الإمام الحسن بن علي عليه السلام ونزوله عن السلطة لمعاوية بن أبي سفيان ، انتهى ذلك اللقاء الموقت بين الخلافة والإمامة والذي لم يدم سوى خمسة أعوام ونصف العام ، وهي فترة حكومة الإمام علي والإمام الحسن من بعده .

(١) الإرشاد للشبح القيد ، ومقاتل الطالبيين للأصمعي .

بقى الإمام إسلاماً للدين وهو الأحق بإمامة الدنيا، إلا أن إمامة الدنيا تحتاج إلى أدوات تختلف عن تلك التي تحتاجها إمامة الدين !! .

إمامة الدين هبة وفضل إلهي يمن بها الله على من يشاء من عباده .

أما السلطة الدنيوية فيمكن أن تكون بالقوة والنصب الجبري !! .

وكما ورد في الأثر (إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن يحب) .

رأينا إذاً كيف ساد التخاذل صفوف المسلمين وتفرقت كلمتهم وضعفت نيتهم عن وأد الفتنة في مهدها، مما حتم على الإمام الحسن إعادة النظر في الموقف كله والبحث عن خيارات أخرى تحفظ دماء المسلمين وتحول دون فناء تلك القلة المؤمنة العارفة بفصل أئمة أهل البيت ووجوب طاعتهم .

لم يكن الأمر كما يصوره البعض الآن إقراراً بشرعية النظام الأموي ولا تسليماً بصحة السلطة القائمة على الجبر والنصب والإكراه، ولكنها حكمة التعامل مع الأمر الواقع، ولذلك فقد اشترط عدة شروط، أوردها الشيخ الصدوق في كتاب (علل الشرائع) .

يروى أبو الفرج الأصفهاني عن سفيان بن أبي ليلى قال : أنبت الحسن بن علي حين بايع معاوية فوجدته بفناء داره وعنده رهط فقلت : السلام عليك يا مذل المؤمنين . فقال وعليك السلام يا سفيان ونزلت فعقلت وراحتني ثم جلست إليه فقال كيف قلت يا سفيان ؟ قلت السلام عليك يا مذل المؤمنين . فقال لم جرى هذا منك إلينا ؟ قلت أنت والله يأبى وأمرى أذللت رقبنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة وسلمت الأمر إلى الدلعين ابن أكلة الأكباد ومعك مائة ألف كلهم يموت دونك ، فقد جمع الله عليك أمر الناس ، فقال يا سفيان إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به وإن سمعت علينا يقول لا نذهب الأيام والليالي حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرة ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع لا ينظر الله إليه ولا يموت حتى لا يبقى له في السماء عاقر ولا في الأرض ناصر وإنه لمعاوية بن أبي سفيان وإن عرفنا أن الله بالغ أمره . ثم قال ما جاء بك يا سفيان ؟ قلت حكيم والنبي يعث محمداً بالهدى ودين الحق ، قال أبشر يا سفيان فإني سمعت علياً يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يرد على الخوارج أهل

يبنى ومن أحبه من أمى كهاتين - يعنى السبلة والوسطى - إحداهما تغفل على الأخرى أبشراً سفيان فإن الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد .

ذهبت السلطة لمن أرادها وسمى لها سعيها من أهل الدنيا والحق به من الحق طمعاً في فضلاته وغنائمه ، وبقيت الإمامة عند أهل الإمامة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وصدق الله العلى العظيم ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) ومن أراد الآخرة وسمى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَظَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَظَاءُ رَبِّكَ مُخْفَرًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ جَعَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ حُجَّتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ (الإسراء : ١٨ - ٢١) .

إلمة الدين كانت وما زالت حاضرة في ضمائر المؤمنين ، أما السلطة الدنيوية فهي ظل زائل وعرض لا يدوم .

كتب بعض الكتاب عن صلح الإمام الحسن مع معاوية بن أبى سفيان متجاهلين كل تلك الوقائع التى ذكرناها ، والثى ساقى الإمام الحسن لانتخاذ قراره التاريخى بوضع الحرب ، زاعمين أن الأمر كان إقراراً منه بشرعية النظام الأموى المتغلب .

لم يكن الإمام الحسن بن على عليه السلام أقل مضاء ولا عزمًا على إحقاق الحق وإبطال الباطل من أبيه على ولا من أخيه الحسين ، والفارق بين هؤلاء الأئمة لم يكن سوى اختلاف الظروف الذى عاشه وعابه كل منهم ، وتبقى المبادئ والأسس التى ساروا عليها كلهم واحدة .

نهاية الموقف

ولما استقر الصلح بين الإمام الحسن ومعاوية ، خرج عليه السلام إلى المدينة فأقام بها منتظرًا لأمر ربه إلى أن تم معاوية عشر سنين من إمارته وعزم على البيعة ليزيد ، فلمس إلى

الإمام الحسن من سمه فبقي عليه السلام مريضاً أربعين يوماً ومضى عليه السلام للقاء ربه في صفر سنة خمسين من الهجرة وله يومئذ ثمان وأربعون سنة، فكانت مدة إمامته عشر سنين، وتولى أخوه ووصيه الحسين عليه السلام غسله وتكفينه ودفنه عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رحمة الله عليها بالقيع .



الفصل الرابع

أئمة أهل البيت

- | | |
|----------------------|----------------------------|
| (١) علي بن أبي طالب | (٧) موسى الكاظم |
| (٢) الحسن بن علي | (٨) علي الرضا |
| (٣) الحسين بن علي | (٩) محمد بن علي (الجواد) |
| (٤) علي زين العابدين | (١٠) علي بن محمد (الهادي) |
| (٥) محمد الباقر | (١١) الحسن العسكري |
| (٦) جعفر الصادق | (١٢) محمد بن الحسن العسكري |
- (المهدي المنتظر)

(١) على بن أبي طالب عليه السلام

وفقاً لما رواه السيوطي في تاريخ الخلفاء

نسبه وكناه

على بن أبي طالب عليه السلام - واسم أبي طالب عبد مناف - بن عبد المطلب - واسمه شَيْبَة - بن هاشم واسمه عمرو، بن عبد مناف، واسمه المغيرة، بن قصي، واسمه زيد، بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة، أبو الحسن، وأبو تراب، كناه بها النبي صلى الله عليه وآله.

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً قد أسلمت وهاجرت.

وعلى عليه السلام - أحد العشرة^(١) المشهود لهم بالجنة، وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله وأله وسلم بالمواخاة، وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين رضي الله عنها، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العلماء الربانيين، والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين، والخطباء المعروفين، وأحد من جمع القرآن وعرضه على النبي عليه الصلاة والسلام، وعرض عليه أبو الأسود الدؤلي، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعبد الرحمن ابن أبي ليلى، وهو أول خليفة من بني هاشم، وأبو السبطين، أسلم قديماً، بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة: إنه أول من أسلم، ونقل بعضهم الإجماع عليه.

وأخرج أبو يعلى عن علي عليه السلام، قال: بُعث رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم الإثنين وأسلمت يوم الثلاثاء، وكان عمره حين أسلم عشر سنين، وقيل: تسع، وقيل: ثمان، وقيل: دون ذلك، قال الحسن بن زيد بن الحسن: ولم يعبد الأوثان قط لصغره، أخرجه ابن سعد.

(١) هم في الحقيقة أكثر من ذلك، ولكن تلك رواية ليست حصرية.

ولما هاجر عليه الصلاة والسلام إلى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة أيامًا حتى يؤدي عنه أمانة الودائع والوصايا التي كتبت عند النبي عليه الصلاة والسلام ثم يلحقه بأهله، ففعل ذلك .

وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد إلا نبوك؛ فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استخلفه على المدينة، وله في جميع المشاهد آثار مشهورة، وأعطاه النبي عليه الصلاة والسلام اللواء في مواطن كثيرة .

وقال سعيد بن المسيب: أصابت عليًا يوم أحد ست عشرة ضربة .

وثبت في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام أعطاه الراية في يوم خيبر وأخبر أن الفتح يكون على يديه، وأحواله في الشجاعة وآثاره في الحروب مشهورة .

وأخرج ابن إسحاق في المغازي وابن عساكر عن أبي رافع أن عليًا تناول يلبًا عند الحصن - حصن خيبر - فنترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليهما، ثم ألقاه، فلقد رأيتنا ثمانية نفر لمجهد أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه .

وروى البخاري في الأدب عن سهل بن سعد قال: إن كان أحب أسماء على ﷺ إليه «أبا تراب»، وإن كان ليفرح أن يدعى به، وما سماه أبا تراب إلا النبي عليه الصلاة والسلام، وذلك أنه غاضب يومًا فاطمة، فخرج فاضطجع إلى الجدار في المسجد، فجاءه النبي عليه الصلاة والسلام، وقد امتلأ ظهره ترابًا، فجعل النبي عليه الصلاة والسلام يمسح التراب عن ظهره ويقول: «اجلس أبا تراب» .

وروي له عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمس مائة حديث وستة وثلاثون حديثًا .

وروي عنه بنوه الثلاثة: الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبو موسى، وأبو سعيد، وزيد بن الأرقم، وجابر ابن عبد الله، وأبو أمامة، وأبو هريرة، وخلائق من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين!

فصل في الأحاديث الواردة في فضله

قال الإمام ابن حنبل: ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الفضائل ما ورد لعلي عليه السلام، أخرجه الحاكم.

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلف على بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: «أما ترعى أن تكون متى بمثلة هارون من موسى؟ هيراته لاني بعدى»، أخرجه أحمد واليزار من حديث أبي سعيد الخدري، والطبراني من حديث أسماء بنت قيس، وأم سلمة، وحبشي بن جنادة، وابن عمر، وابن عباس، وجابر بن سمرة، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم.

وأخرجنا عن سهل بن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، فبات الناس يدورون ليلتهم أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «لئن على بن أبي طالب؟» فقبل هو يشككي عينيه، قال: «فلو سلوا إليه»، فأتى به، فبصق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عينيه، ودعاه، فبرى حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية.

(يدورون: أي يخوضون ويتحدثون).

وقد أخرج هذا الحديث الطبراني من حديث ابن عمر، وعلي، وابن أبي ليلى، وعمران بن حصين، واليزار من حديث ابن عباس.

وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية «وَنُدْعُ أَثْنَاءَنَا وَأَثْنَاءَكُمْ» [آل عمران: ٦١]. دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً، وفاطمة، وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي».

وأخرج الترمذي عن أبي سريجة، أبي زيد بن أرقم، عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه». وأخرجه أحمد عن علي، وأبي أيوب الأنصاري، وزيد بن أرقم، وعمر بن زمر، وأبو يعلى عن أبي هريرة، والطبراني عن ابن عمر، ومالك بن الحويرث وحبشي بن جنادة، وجابر، وسعد بن أبي وقاص، وأبي سعيد

الحدرى، وأنس والبخاري عن ابن عباس، وعملارة، وبريدة، وفي أكثرها زيادة «اللهم
وال من والآء، وعاد من عباداء» .

ولأحمد عن أبي الطفيل قال : جمع على الناس سنة خمس وثلاثين في الرحية، ثم
قال لهم : أنشد بالله كل أمرى، مسلم سمع رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول يوم
غدير خم ما قال لما قام، فقام إليه ثلاثون من الناس، فشهدوا أن رسول الله عليه الصلاة
والسلام قال : «من كنت مولاه فعلى مولاه» اللهم وال من والآء، وعاد من عباداء» .

وأخرج الترمذى، والحاكم وصححه، عن بريدة قال : قال رسول الله عليه الصلاة
والسلام : «إن الله أمرنى بحب أربعة، وأخبرنى أنه يحبهم» ، قبل يا رسول الله سهيم
لنا، قال : «على منهم - يقول ذلك ثلاثاً - ولهم فخر، وللقناد، وسلمان» .

وأخرج الترمذى والنسائى وابن ماجه عن حبش بن جناد، قال : قال رسول الله
عليه الصلاة والسلام : «على منى، ولما من على» .

وأخرج الترمذى عن ابن عمر قال : أثنى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين
أصحابه، فجاء على تدمع عبناه، فقال : يا رسول الله أختيت بين أصحابك، ولم تزاخ
بينى وبين أحد، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : «أنت أثنى فى الدنيا
والآخرة» .

وأخرج مسلم عن على قال : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى إلى
أنه لا يحبنى إلا مؤمن، ولا يهتضى إلا منافق .

وأخرج الترمذى عن أبى سعيد الحدرى، قال : كنا نعرف المنافقين يهتضهم علىا .
وأخرج البخاري، والطبرانى فى الأوسط، عن جابر بن عبد الله وأخرج الترمذى،
والحاكم عن على، قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : «أنا مدينة العلم، وعلى
بها» ، هذا حديث حسن على الصواب، لا صحيح كما قال الحاكم، ولا موضوع كما
قاله جماعة منهم ابن الجوزى والنووى، وقد بينت حاله فى تتبعات على
الموضوعات .

وأخرج الحاكم وصححه عن عليّ قال : «بعثنى رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى اليمن ، فقلت : يا رسول الله بعثتنى وأنا شاب أقضى بينهم ، ولا أدري ما القضاء ، فضرب صدرى بيده ثم قال : اللهم اهد قلبه وثبت لسانه ، فواللهي فلق الحبة ما شككت في قلبه بين اثنين» .

وأخرج ابن سعد عن عليّ أنه قيل له : ما لك أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً؟ قال : إني كنت إذا سأته أنبأني ، وإذا سكت ابتدأني .

وأخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال عمر بن الخطاب : عليّ أقضانا .

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة عليّ .

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال : إذا حدثنا ثقة عن عليّ بنينا لا نمدوها .

وأخرج عن سعيد بن المسيب قال : كان عمر بن الخطاب يتموذ بالله من معضلة ليس فيها أبو الحسن .

وأخرج عنه قال لم يكن أحد من الصحابة يقول «سلوني» إلا عليّ .

وأخرج ابن عساکر عن ابن مسعود قال : أفرض أهل المدينة وأقضاهما علي بن أبي طالب .

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها أن علياً ذكر عندها ، فقالت : أما إنه أعلم من بقي بالسنّة .

وقال مسروق : انتهى علم أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى عمر ، وعليّ ، وابن مسعود ، وعبد الله رضي الله عنهم! .

وقال عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة : كان لعلّي ما شئت من حرس قاطع في العلم ، وكان له البسط في العشرة ، والقدم في الإسلام والعهد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والفقه في السنّة ، والنجدة في الحرب ، والجود في المال .

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن جابر بن عبد الله قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : «التس من شجر شتى ، وأنا وعليّ من شجرة واحدة» .

وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : ما أنزل الله ﴿ها أيها الذين آمنوا﴾ إلا وعلى أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر عليًا إلا بخير .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي .

وأخرج الطبراني، والحاكم وصححه، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلمه إلا علي .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال : كانت لعلي ثمان عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة .

وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة قال : قال عمر بن الخطاب : لقد أعطى علي ثلاث خصال لأن تكون لى خصلة منها أحب إلى من أن أعطى حمر النعم، فقتل وما هن ؟ قال : تزوجه ابنة فاطمة، وسكناه المسجد لا يحل لى فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر . وروى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه .

وأخرج أحمد وأبو يعلى بسند صحيح عن علي قال : ما رمدت ولا صدعت منذ مسح رسول الله عليه الصلاة والسلام وجهي، وتفل في عيني، يوم غيبر حين أعطيت الراية .

وأخرج أبو يعلى واليزار عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : «من أذى عليًا أفتى» .

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أم سلمة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : «من أحب عليًا فقد أحبنى، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض عليًا فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله» .

وأخرج أحمد، والحاكم وصححه، عن أم سلمة سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول : «من سب عليًا فقد سبني» .

وأخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لعلي: «إِنَّكَ تَقَاتِلُ عَلَى الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتَ عَلَى تَنْزِيلِهِ».

وأخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لعلي: «أَشَقَى النَّاسِ وَجَلَانُ: أَحْمَرُ ثُمُودَ الَّذِي عَقَرَ النُّقْلَةَ، وَالَّذِي يَهْرُكُ بِأَعْلَى عَلَى هَلْه - بِعَنَى قَرْنِهِ - حَتَّى تَبْتَطِلَ مِنْهُ هَلْه [مِنَ الدَّمِ] - بِعَنَى لَحْبَتِهِ، وَفَدَّ وَرَدَ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ، وَصُهَيْبٍ، وَجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، وَغَيْرِهِمْ».

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال: اشتكى الناس علياً فقام رسول الله ﷺ فبينا خطيباً فقال: «لَا تَشْكُوا عَلِيًّا، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَخْشَنُ فِي ذَاتِ اللَّهِ، أَوْ لَى سَبِيلِ اللَّهِ».

فصل في مبايعة علي عليه السلام بالخلافة وما نشأ من ذلك

قال ابن سعد: بويع علي بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة، فبايعه جميع من كان بها من الصحابة رضي الله عنهم، ويقال: إن طلحة والزبير بايعا كارهين غير طائعين، ثم خرجا إلى مكة وعائشة رضي الله عنها بها، فأخفاها وخرجا بها إلى البصرة يطلبون بدم عثمان، وبلغ ذلك علياً، فخرج إلى العراق فلقى بالبصرة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم، وهي وقعة الجمل، وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وقتل بها طلحة، والزبير، وغيرهما، وبلغت القتل ثلاثة عشر ألفاً، وأقام علي بالبصرة خمس عشرة ليلة، ثم انصرف إلى الكوفة، ثم خرج عليه معاوية بن أبي سفيان ومن معه بالشام، فبلغ علياً فسار إليه، فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين، ودام القتال بها أياماً، فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها مكيدة من عمرو بن العاص، فكره الناس الحرب، وتناصروا إلى الصلح، وحكموا الحكمين، فحكم علي أبو موسى الأشعري، وحكم معاوية عمرو بن العاص، وكتبوا بينهم كتاباً على أن يوافوا رأس الحول بأذخ فبظفروا في أمر الأمة، فافترق الناس، ورجع معاوية إلى الشام، وعلى إلى الكوفة، فخرجت عليه الخوارج من أصحابه، ومن كان معه، وقالوا: لا حكم إلا لله وعسكروا بحروراء، فبعث إليهم ابن عباس فخاصمهم

وحجهم فرجع منهم قوم كثير، وثبت قوم، وساروا إلى النهروان فعرهوا للسبيل، فسار إليهم على فقتلهم بالنهروان، وقتل منهم ما ألفين، وذلك سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس بأذرع في شعبان من هذه السنة، وحضرها سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة، فقدم عمرو أبو موسى الأشعري مكيدة منه، فتكلم فخلع علياً، وتكلم عمرو فأقر معلوية، وباع له، ففرق الناس على هذا، وحار على في خلاف من أصحابه حتى صار بعض على أصبهه ويقول: أحصى ويطاع معاوية؟

وانتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادي، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكير التميمي، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقبوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة: علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ويرجوا العباد منهم، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعلي، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكير: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، وتعاهدوا على أن ذلك يكون في ليلة واحدة ليلة حادي عشر أو ليلة سابع عشر رمضان، ثم توجه كل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه؛ فقدم ابن ملجم الكوفة، فلقى أصحابه من الخوارج فكاتفهم ما يرون إلى ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين، فاستبطن على سحراً، ودخل ابن الذبائح المؤذن على علي، فقال: الصلاة، فخرج علي من الباب ينادي: يا أيها الناس الصلاة الصلاة، فاعتزله ابن ملجم، فضربه بالسيف، فأصاب جبهته إلى قرنيه ووصل إلى دماغه فشده عليه الناس من كل جانب، فأمسك وأوتس، وأقام على الجمعة والسبت، وتوفي ليلة الأحد، وغسله الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلاً.

وفي المستدرک عن السدي قال: كان عبد الرحمن بن ملجم المرادي عشق امرأة من الخوارج يقال لها: قطام، فنكحها وأصدقها ثلاثة آلاف درهم، وقتل علي، وفي ذلك قال الفرزدق:

فلم أر مهراً ساقه ذو سباحة	كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعيد وقينة	وضرب على بالحسام المهضم
فلا مهر أغلى من علي وإن غلا	ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

قال أبو بكر بن عبيش: عسى قبر عليّ لثلاثين شه الخوارج، وقال شريك: نقله إلى الحسن إلى المدينة، وقال الميرد عن محمد بن حبيب: أول من حول من قبر إلى قبر عليّ رضي الله عنه.

وكان لعليّ حين قتل ثلاث وستون سنة وقيل: أربع وستون وقيل: خمس وستون، وقيل: سبع وخمسون، وقيل: ثمان وخمسون، وكان له تسع عشرة سيرة.

فصل في ذنب من أعهار على، وقضائهم، وكلماته رضي الله عنه

وأخرج عن زر بن حبیش قال: جلس رجلان يتفديان، مع أحدهما خمسة أرغفة، ومع الآخر ثلاثة أرغفة، فلما وضعوا الغداء بين أيديهما مر بهما رجل، فسلم، فقالا: اجلس وتغد، فجلس وأكل معهما واستوا في أكلهم الأرغفة الثمانية، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم، وقال: خذاها عوضاً عما أكلت لكما، وثنته من طعامكما، فتنازعا، فقال صاحب الخمسة الأرغفة: لي خمسة دراهم، ولك ثلاثة، وقال صاحب الأرغفة الثلاثة: لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين، فارتفعا إلى أمير المؤمنين عليّ، فقصا عليه قصتهما، قال لصاحب الثلاثة: قد عرض عليك صاحبك ما عرض، وخبره أكثر من خبزك، فارض بالثلاثة، فقال: والله لا رضيت عنه إلا بحر الحق، فقال عليّ: ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد، وله سبعة دراهم، فقال الرجل: سبحان الله! قال: هو ذلك، قال: فعرضني الوجه في مر الحق حتى أقبله، فقال عليّ: أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثاً؟ أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس، ولا يعلم الأكثر منكم أكلاً، ولا الأقل، فتحملون في أكلكم على السواء، قال: فأكلت أنت ثمانية أثلاث، وإنما لك تسعة أثلاث، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث، وله خمسة عشر ثلثاً، أكل منها ثمانية، وبقي له سبعة أكلها صاحب الدراهم، وأكل لك واحداً من تسعة، فلك واحد بواحدك، وله سبعة، فقال الرجل: رضيت الآن.

وأخرج ابن شعبة في المصنف عن عطاء، قال: أتى عليّ برجل، وشهد عليه رجلان

أنه سرق، فأخذ في شيء من أمور الناس، وتهدد شهود الزور، وقال: لا أوتى بشاهد زور إلا فعلت به كذا وكذا، ثم طلب الشاهدين، فلم يجدهما، فخلى سبيله.

وقال أبو القاسم الزجاجي في أماليه: حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبري، حدثنا أبو حاتم السجستاني، حدثني يعقوب بن إسحاق الحضرمي، حدثنا سعيد بن سلم البجلي، حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي الأسود الدؤلي - أو قال: عن جدي أبي الأسود، عن أبيه - قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فرأيت مطرقاً مفكراً، فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت يولدكم هذا لحناً فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية، فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا، وبقيت فينا هذه اللغة. ثم أتيت بعد ثلاث، فألقي إلى صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، الكلمة اسم، وفعل، وحرف؛ فالاسم: ما أتى عن المسمى، والفعل: ما أتى عن حركة المسمى، والحرف: ما أتى عن معنى ليس باسم ولا فعل، ثم قال: تتبعه وزد فيه ما وقع لك، وأعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر. قال أبو الأسود: فجمعت منه أشياء، وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها: إن، وأن، وليت، ولعل، وكان، ولم أذكر لكن، فقال لي: لم تركتها؟ فقلت: لم أحياها منها، فقال: بل هي منها، فزدها فيها.

وأخرج ابن عساكر عن ربيعة بن ناجد، قال: قال علي: كونوا في الناس كالنحلة في الطير، إنه ليس في الطير شيء إلا وهو يستضعفها، لو يعلم الطير ما في أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها، خالطوا الناس بالستكم وأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم، فإن للمرء ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب.

وأخرج عن علي: قال: كونوا بقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، فإنه لن يقل عمل مع التقوى، وكيف يقل عمل يتقيل؟

وأخرج عن يحيى بن جعدة قال: قال علي بن أبي طالب: يا حملة القرآن اعملوا، فإنما العالم من علم ثم عمل بما علم، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم،

يجلسون حلقًا فيباليهم بعضهم بعضًا، حتى إن الرجل يذهب على جلسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله.

وأخرج عن عليّ أنه أتاه رجل فأنشى عليه فأطراه، وكان قد بلغه عنه قبل ذلك، فقال له عليّ: إني لست كما تقول، وأنا فوق ما في نفسك.

وأخرج عن عليّ قال: جزاء المعصية الرهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة. قيل: وما النقص في اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاءه ما ينقصه إيلها.

الفصل

وأما كلامه في تفسير القرآن فكثير، وهو مستوفى في كتابنا التفسير المستند بأسانيده، وقد أخرج ابن سعد عن عليّ قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت قيم نزلت، وأمين نزلت، وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلبًا عقولاً، ولسانًا صادقًا ناطقًا.

وأخرج ابن سعد وغيره عن أبي الطفيل، قال: قال عليّ: سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليلى نزلت أم بنهار، وفي سهل أم في جبل.

(٢) الحسن بن علي

(٢-٥٠ هـ)

كان الإمام بعد علي بن أبي طالب ابنه الحسن، ابن سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله الطاهرين.

كنيته أبو محمد، ولد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وجاءت به فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم السابع من مولده، فسماه حسناً وعق عنه كيثاً.

وكان الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلقاً وسوداً وهدياً، روى ذلك جماعة منهم معمر عن الزهري عن أنس بن مالك قال: لم يكن أحداً أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي عليهما السلام - أخرجه البخاري.

وروى إبراهيم بن علي الرافعي، عن أبيه عن جدته زينب بنت أبي رافع قال: أتت فاطمة بابنهما الحسن والحسين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في شكواه التي توفي فيها فقال: **فلما الحسن فلان له هدي وسودي وأما الحسين فلان له جودي وشجاعتى**.

وأخرج الشيخان عن البراء قال: رأيت النبي ﷺ والحسن (ابن علي) على عاتقه وهو يقول **اللهم إني أحبه فأحبه**.

وأخرج البخاري عن أبي بكر قال: سمعت النبي ﷺ - علي المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة، ويقول: **«إني أبنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»**.

وأخرج البخاري عن ابن عمر قال قال النبي ﷺ -: **«هما ريحائتي من الدنيا، يعني الحسن والحسين»**.

وأخرج الترمذي عن أسامة بن زيد، قال: رأيت النبي ﷺ - والحسن والحسين على وركبه فقال: **«هلان ابنائي وابنائتي، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما»**.

وأخرج عن أنس قال : سئل النبي - ﷺ - : أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال
الحسن والحسين.

وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال : أقبل النبي - ﷺ - وقد حمل الحسن على
رقبته، فلقبه رجل فقال : نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي عليه الصلاة والسلام :
فونعم الراكب هو.

خلاته

كان الحسن بن علي وصي أبيه أمير المؤمنين، صلوات الله عليهما، على أهله وولده
وأصحابه، ووصاه بالنظر في وقوفه وصدقائه.

ولما قبض أمير المؤمنين ﷺ، خطب الناس الحسن ﷺ وذكر حقه، فبإيعاه
أصحاب أبيه على حرب من حارب وسلم من سالم :

خطب الحسن بن علي عليهما السلام صبيحة الليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين
ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال :

لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولا يلوكه الآخرون
بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله صلى الله
عليه وآله يواجهه برأيه فيكفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع
حتى يفتح الله على يديه، ولقد توفي ﷺ في الليلة التي خرج فيها بعيسى
ابن مريم ﷺ، وفيها قبض يوشع بن نون وصي موسى، وما خلف صفراء
ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فصلت من عطائه، أراد أن يشتاع بها خادماً
لأهله ثم خففته العبرة فيكي وبكى الناس معه.

ثم قال : أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن
السراج النير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أنا
من أهل بيت افترض الله حبهم في كتابه فقال عز وجل : ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجراً إِنْ أَمَوْتُمْ فِي الْفُرْقَيْنِ وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً تَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
شَكُورٌ﴾ [الشورى : ٣٦]. فالحسنة مودتنا أهل البيت.

ثم جلس، فقام عبد الله بن عباس رحمة الله عليهما بين يديه فقال :
معاشر الناس ، هذا ابن نبيكم ووصى إمامكم فبايعوه .

فاستجاب له الناس وقالوا : ما أحبه إلينا وأوجب حقه علينا . وتبادروا إلى
البيعة له بالخلافة ، وذلك في يوم الجمعة الحادى والعشرين من شهر رمضان
سنة أربعين من الهجرة . فرتب العمال وأمر الأمراء ، وأنفذ عبد الله بن
العباس رضي الله عنه إلى البصرة ، ونظر في الأمور .

ولما بلغ معاوية بن أبي سفيان وفاة أمير المؤمنين عليه السلام وبيعة الناس الحسن عليه السلام ، دس
رجلاً من حمير إلى الكوفة ، ورجلاً من بلقين إلى البصرة ، ليكتب إليه بالأخبار ويفسد
على الحسن عليه السلام الأمور . فعرف ذلك الحسن عليه السلام فكتب إلى معاوية :

أما بعد ، فإني قد سمعت الرجال للاحتيال والاعتيال ، وأرصدت العيون
كأنك تحب اللقاء وما أوشك ذلك فتوقعه إن شاء الله . ويلغنى أنك شمت بما
لا يشمت به ذوو الحجى [اعتيال على عليه السلام] ، وإنما مثلك في ذلك كما قال
الأول :

فقل للذي ينشى خلاف الذى مضى تجهز لأخرى مثلها فكان قد
فترنا ومن قد مات مثلاً لك الذى يروح فيمسى فى البيت ليقتدى
ولنقرأ معاً ما ذكره خالد محمد خالد^(١) :

يقول «الحسن البصرى» رضي الله عنه :

استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال ، فقال عمرو بن
العاص لمعاوية : إني لأرى كتائب ، لا تولى حتى تقتل أقرانها ، فقال
معاوية : إذا قتل هؤلاء أولئك ، فمن لى بأمر الناس ؟

ورغم ما كان بأهل الكوفة من نفسخ وتردد ، فقد كان تحت تصرف «الحسن»
حين أثار السلام أربعون ألف مقاتل ، يشكلون جبهة واحدة ، قوية
وصامدة . تحت إمرة رجل من أعظم رجال الإسلام وقواده - فلکم هو :
«قيس بن سعد بن عباد» . .

(١) لبناء الرسول في كربلاء .

ولقد كانوا مصممين على مواصلة الحرب ضد معاوية تصميمًا حمل بعضهم على مجابهة «الحسن» حين رآوه يعتزم الصلح وإقرار السلام مجابهة قاسية وعنيفة رغم حبهم له وتوقيرهم إياه .

هو إذن لم يؤثر السلام على ضعف ولا عن عجز .

ولم تكن الظروف العسيرة التي تسلم الخلافة فيها لتجاوز قدرها في كونها مجرد «موضوع» لتفكيره في السلام .

أما «مصدر» تفكيره في السلام فكان طبيعته وخصاله .

وهكذا قرر أن يعرض، بل أن يفرض السلام على معاوية .

كان «معاوية» قد تحرك بجيشه من الشام قاصداً الكوفة . عندما علم باستشهاد الإمام واستخلاف الحسن . .

وكان الحسن قد خرج على رأس جيشه للقائه .

وإذ هم في طريقهم إلى المدائن، نهض بين صفوف جيشه وقال :

إني قد أصبحت، لا أحمل لمسلم هزيمة :

وإني ناظر إليكم، نظري إلى نفسي، وقد رأيت رأيًا، فلا تردوا على رأيي :

إن الذي نكروه من الجماعة أفضل مما تحبون من الفرقة . .

وثار الجيش - كما ذكرنا من قبل - لكنه كان قد وسد عزمه على حق الدماء .

وكان معاوية من جانبته يتوق للسلام ترقى الفريق إلى زورق النجاة . .

فأرسل مبعوثين إلى المدائن للتفاوض مع «الحسن»، وكاتبا عبد الرحمن بن سمرة . . وعبد الله بن عامر . أبلغتهما «الحسن» شروطه التي لم يكد معاوية يسمعها، حتى تقلبها في غير تردد أو تساؤل .

وتركزت شروط «الحسن» للصلح في هذه البنود الأربعة :

أولاً: أن ترجع الخلافة بعد معاوية إلى المسلمين؛ حيث يختارون بمشيتهم الحرة من يروونه أصلح لقيادتهم وأجدر.

ثانياً: ألا يؤخذ الذين ناصروه وناصروا أباء الإمام من قبل بما صنعوا ضد معاوية، وألا يحرم أحد منهم حقه وعطاءه.

ثالثاً: أن يكف الأمويون عن حملة السباب واللعن التي يقترفونها ضد الإمام، ويشجعون عليها.

رابعاً: أن يكون عطاؤه وعطاء أخيه «الحسين» وافرًا وجزيلًا. ولقد حدد بنفسه مقدار هذا العطاء.

وإذا كان هناك من بين هذه الشروط ما قد يلتبس علينا أمره، ويحتاج إلى مناقشة وتفسير فذلكم الشرط الرابع والأخير.

لقد يبدو غريباً أن يفرط رجل مثل «الحسن» بن علي، وحفيد الرسول ﷺ في طلب عطاء كثير له ولأخيه.

ولكن، كما يقال: إذا عرف السبب، بطل العجب..

وحسبنا أن نعرف فيم كان يتفق «الحسنان» أموالهما لتدرك على الفور الحكمة في هذا الاشتراط.

وقبل هذا، علينا أن نذكر أن ميزانية الدولة الإسلامية، كانت أيامئذ قد بلغت مدى هائلاً من الكفاية والثراء.

وبدا ذلك النمو المطرد منذ فتح الإسلام في عهد «عمر».

وفي عهد معاوية، كانت أموال غزيرة تنفق وتبعثر في سبيل دعم حكمه وتركز الولاء له.

بينما كان «الإمام علي» وهو خليفة مستنول في العراق يعطى المسلمين حقوقهم من بيت المال بالسوية، ورفضاً لأي تمييز أو سرف..!! حقاً لقد أغضب بعض أنصاره، حين رفض أن يتألف الناس بالمال، ويختص بعض القبائل بأكثر من حقها، قائلاً عبارته المأثورة:

«أنا مروتنى أن أطلب النصر بالجور» ١٩

والآن، بعد أن يتصالح الحسن ومعاوية ويصبح أمر الخلافة كله لمعاوية، فلن يكون هناك سوى بيت مال واحد هو الذى يشرف عليه معاوية بحكم سلطته وسلطانه.

و«معاوية» يعطى الأموال وفق مقاييسه الخاصة . .

لا بد للحسن إذن أن يتحوط لهذا الاحتمال . .

وهنا يقضى بنا الحديث إلى حديث نعرف أين كان ينفق «الحسن والحسين» أموالهما . .

لقد كاتا يعودان بالكثير منها على نذر من الذين فقدوا ثرواتهم فى سبيل القضية التى ناصروا فيها الإمام.

وكانا ينفقان برهما ونداهما على أولى الأرحام، وعلى الفقراء والمساكين.

لقد انفرد «الحسن» بأنه الرجل الذى قاسم الله ماله ثلاث مرات . وخرج عنه كله مرتين . . ١١

ورجل هذه شيمته، لا يطلب المال ليشرف به، إنما يطلبه ليردى به حقوقاً كثيرة، أهونها كفالة الأرمال اللاتى استشهد أزواجهن والأتام الذين استشهد أبائهم وهم يقاتلون تحت راية الإمام . . !!

فمن أجل تلك الحقوق، ومن أجل شغفه بالخير والبر، اشترط لنفسه ولأخيه وفرة العطاء.

وحسبنا فى هذا المقام شهادة «معاوية» نفسه، فذات يوم أهد أحمال الهدايا التى كان يرسلها بين الحين والحين لصفوة الصحابة فى مكة والمدينة .

وبينما المقابلة تنهياً للسفر، نظر معاوية فىمن حوله وقال لهم : إن شئتم أخبركم بما يصنع القوم بهذه الهدايا . .

ثم راح يسمى بعض الأسماء، ويسوق الحديث عنها، حتى جاء ذكر «الحسن والحسين» فقال :

.. وأما الحسن، فقلعه بدع لزوجاته بعض الطبب، ثم يترك لمن حوله كل شيء...!!

وأما الحسين فيبدأ بأيتام الذين قتلوا مع أبيه في صفين، فلأن بقي بعد ذلك شيء تحر به الجزر، وسقى به اللين...!!

أجل... هذه شهادة معاوية... وفيها فصل الخطاب!!

ومن فصل الخطاب أيهاً، أن العطاء الجزيل الذي فرض لهما، لم يكن يكفيهما، مع أنهما لم يعرف عنهما قط عيش المترفين ولا حياة المسرفين!!

لقد تراكم على الحسين دين ثقل، وانتهاز معاوية الفرصة فعرض عليه قدر كبير من المال يقضى به ديونه، نظير بيعه حين ماء كانت للإمام على بالمدينة، كان الإمام قد أهدها [أهدى ماءها] فقراء المدينة وأهلها، يرتون منها بغير حساب... ورفض الحسين هذا العرض.

ففيما إذن كانت هذه الديون رغم وفرة العطاء لقوم لا يحبون في ترف ولا في سرف...!!

إنها كانت بسبب حقوق مذخورة، وعطايا مبرورة تعودها الكرام، أبناء الكرام...!!

قبل معاوية شروط الصلح من فوره، وتنزل له الحسن عن الخلافة وسارع معاوية إلى الكوفة ليتلقى بيعة أهل العراق...

وفي الجمع الحاشد من المسلمين، دعا الحسن لإلقاء كلمة، فوقف الحسن والأبصار شاخصة إليه، والأنفاس معلقة بشفتيه اللتين لا يدرى أحد عن أي نوع من القول متفرجان.

وجدت كلماته في تلك المناسبة على وفاق سعيد ومجيد مع صاحبها العظيم...!!

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أيها الناس...

إن الله هداكم بأولنا... وحقق دماءكم بأخرنا... ألا إن أكبس الكيس التقي،

وإن أعجز العجز الفجور . . وإن هذا الأمر الذى اختلفت فيه معاوية ،
أن يكون أحق به منى ، فقد تركته له .

وإما أن أكون أحق به منه فقد تركته لله عز وجل ، وخير أمة محمد ﷺ
وحقن دماؤها . .

ثم التفت بمعاوية وقال :

﴿وإن أفرى نعلهُ فتةٌ لكمُ وفتاعٌ إلى حين﴾ (١١١) [الأنبياء :

إن العظمة الإنسانية لتكشف عن أصالتها فى مثل هذه المواقف ويمثل هذه
الكلمات . . حيث يلتقى الصدق ، والقوة ، والترفع ، والحكمة ، أسعد
لقاء . . !!

ومضى كل إلى سبيله .

معاوية إلى الشام عاصمة ملكه العريض . . والحسن إلى المدينة ، قريبر العين
يماحقن من دماء ، عظيم الغنم بما بذل من فداء . . مردفاً كلماته المضيئة هذه :

لقد كانت جماعهم العرب يبدى فى العراق ، نسالم من سالت . . ومحارب
من حاربت . . ثم تركتها ابتغاء وجه الله . . !!

ولقد وفى بمعهده مع معاوية . . وفى بالمعهد معه أخوه الحسين الذى كان قبل
إبرام الصلح من أشد معارضيه .

ترى ، هل سيفى معاوية ؟ أم أن إغراء السلطة المطلقة سيجشمه مشقة
الوفاء . . !!

على أية حال ، فقد أدى الحسن ما اعتقده واجباً ، وأعطى من ذات نفسه ما
هو أهل له .

لقد ترك للأخرين ديناهم ، وعكف هو على الطاعة ، والعبادة والخير .

عاهداً ، بحب الله وبخشاه ، ويخرج إلى الحج من المدينة إلى مكة أعراماً كثيرة
ماشياً على قدميه والنجايب تقاد بين يديه ، حتى إذا سئل عن سبب هذا
الإجهد لنفسه أجاب :

إني أستحي أن ألقى ربي، ولم أمش على قدمي إلى بيته .
جواباً : لم يكن يقي من ماله شيئاً . لا يعرف مكروياً إلا فرج كربته ، ولا
غارماً إلا قضى دينه .
سيداً ، لا يعرف الدنيا ولا يقبلها ، ولا يعرف السوء طريقاً إلى لسانه
ومقاله .
يقول «محمد بن إسحاق» .

ما رأيت أحداً كان إذا تحدث تمثيت ألا يسكت ، مثل الحسن بن علي . وما
سمعت منه كلمة سوء قط . . وإن أشد كلمة سمعتها منه ، هي تلك التي
قالها حين وقعت خصومة بينه وبين عمرو بن عثمان ، فقال الحسن : ليس له
عندنا إلا ما رغم أنفه . . تلك أشد كلمة سمعته بقولها . !!

ولقد تحدث رحمه الله راسماً للنفس صورة المؤمن المثالي الرشيد ، فقال :

«إنه من تنصر في عبته الدنيا ويخرج على سلطان بطنه ، وفرجه ، وجهله .
لا يخطط ولا يتبرم . .

إذا جالس العلماء ، كان على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم . وإذا غلب على
الكلام ، لم يغلب على الصمت . .

لا يشارك في ادعاء ولا يدخل في مراء . .

لا يغفل عن إخوانه ، ولا يختص نفسه بخير دونهم .

وإذا تردد بين أمرين ، لا يدرى أيهما أقرب إلى الحق . نظر أيهما أقرب من هواه ،
فخالفه واتقاء . . !!

هذه خلاصة للمستور ومنهاج نفسه ، أفلا يكون قرير العين إن هذا السلام الذي
سيوفر له فرصة العكوف على فضائله ومزاياه ينميها ويكفيها . . أبلى . . ولقد استقر
وأخوه وآل بيتها بمدينة رسول الله ﷺ . .

ولم نكد تنزاح عن الناس في شتى الأقطار غمرات ما كانوا فيه من خلاف وصراع،
حتى راحت أرواحهم تهفو نحو المدينة، وخواطرهم تطوف من قريب ويعيد حول
ريحاتى رسول الله ﷺ

ومع مرور الأيام، كان تطلع المسلمين إلى المدينة بما فيها من هدى ونور، يفوق
تطلعهم إلى دمشق رغم ما فيها من دنيا وإغراء.

وراحت مجالسهم وتدوانهم في كل بلد ترد ما نقله الثقات من أصحاب الرسول
ﷺ عن جبه لابنيه الحسن، والحسين.

كان الناس يسمعون ويتناقلون أنباء هذا الحب العظيم الذى أهداه عليهما جنهما
النبي ﷺ، فتكاد أفتدتهم تطير شوقاً إليهما.. حتى بعض أولئك الذين ناصبوهما
من قبل العداة.

وراح المسلمون يرددون تلك الأحاديث التى تصور قدرهما، والى حياهما الرسول
بها كثيراً:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، بعد عيسى ويحى عليهما السلام».

«هذان ابناي.. وابنا ابنتي.. اللهم ائى اسمهما فأحهما، وأحب من يحهما».

«اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً».

«الحسن والحسين ريحائى من الدنيا».

«حسين منى، وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً».

وهكذا استولى على الناس ولع نبيل، بتبع أنباء حياهما.. مذ أهلا على الحياة.

كيف اختار الرسول ﷺ بنفسه اسميهما..؟ كيف كان يداهيهما..؟ كيف كان
يحزن أن يسمع بكاهما..؟

وراحت الوفود من كل مصر تشد رحالها إلى المدينة لتلقى بها ابنى رسول الله ﷺ
وأحب الناس إليه، ولترشف من حكمة الحسين الذى عكف على إلقاء الدروس
والعظات بمسجد الرسول ﷺ.

وكانت حلقات درسه غاية فى الجلال والمهابة..

وصفها معاوية نفسه ، فقال :

«إذا دخلت مسجد رسول الله ﷺ ، فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رؤوسهم الطير ، فتلك حلقة أبي عبد الله الحسين» . .

كذلك أخذ الشاكون من ظلم ولاية معاوية واستهتارهم ، يغنون السير إلى المدينة حاملين شكواهم إلى الحسن والحسين ، فيدعون الناس للصبر ، ويرسلان لمعاوية بالنصح .

تري ، هل سيصير بيت أبي سفيان على هذه المكاة المتصاعدة يوماً في قلوب الناس للحسن وأخيه وأهل بيته . . ؟؟

كلا . . .

وفات يوم ، دس للإمام الحسن السم في الطعام . .

ويمسك التاريخ في هذه الجريمة الدنيئة ، بإحدى زوجاته وهي - جمعة بنت الأشعث بن قيس - كما يمسك بأصبع الغدر الأموي . . ومن عجب أن الأشعث بن قيس ، والد جمعة - كان من أبرز أنصار الإمام علي . . ثم كانت له أثناء خدعة التحكيم وبعد ما موافق مشبهة ، ومحاولات مريبة . كانت سبباً في أكثر ما نزل بالإمام يومها من آلام وانقطار . . !!

ومرض الحسن ﷺ مرض الموت .

وبقيت أمالة فطرته وإيمانه متألفة ، حتى تحت وطأة هذا الاغتيال الخفي ، والسقم الفاجع الأليم !!

ففي عشه هذه ، أخذ أخوه الحسين يلح عليه كي يسرح له بمن يعتقد أو يظن أنه صاحب هذه الجريمة النكراء .

لكن حفيد الرسول العظيم ﷺ لا ينسى ميلاده تحت سحن آلامه فيسأل أخاه :

«وأيمن سؤالك عن سقني السم . . ؟»

أتريد أن تقتلهم . . ؟

لا . . إني أكل أمرهم إلى الله . .

انظروا

إنه حتى في غمرة الموت لا تتخلف إرادته عن مبادته، ويبقى رجل الأناة والسلام فيه، متفوقاً على الأكمل، وعلى الكراهية. بل وعلى حقه العادل في القصاص المشروع.

وراح يملأ أيامه الباقية بالصلاة والدعاء، مردداً منها ذلك الدعاء الذي كان جده الرسول ﷺ قد علمه له منذ طفولته.

«اللهم اهني فئمن همت، وهاني فئمن هانت، وتولني فئمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإني تقضي ولا يقضي عليك، وإنه لا يذل من واليت ولا يهز من هانت، تباركت ربنا، وتعاليت فللك الحمد على ما قضيت، ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت. اللهم يا واصل المقطعين لوصلنا إليك، اللهم لا تخزننا في الدنيا ولا يوم العرض عليك، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وسلم»

لقد هدك الله - أبا محمد - وعافك، وتولاك، وبارك لك فيما أعطك.

وما تركت مقاديرك العظيمة جرعة السم تأخذ طريقها إليك إلا لاستكمل بالشهادة والفداء، شرف الانتماء إلى بيت المقربين والشهداء. !!!

وبعد. فقد أن لبطل السلام أن تزف إلى الجنة ووجه.

ولكن لا تزال أماننا وصية يريد أن يوصي بها، فقد كان شوقه عظيماً لأن يدفن مع جده الرسول ﷺ

وكان قد استأذن السيدة عائشة رضي الله عنها في ذلك، فأذنت له.

والآن، وشمس حياته تميل للغروب قال لأخيه الحسين:

«إذا مت فادفني مع النبي ﷺ، فإنني كنت قد طلبت ذلك من عائشة وأجابني.. وإذا عارضك بنو أمية، فلا تراجعهم وادفني في البقيع...».

ومن أسف أن الذي توقعه قد حدث . . فرفض مروان بن الحكم أمير المدينة من قبل معلومة أن تحقق رغبة الشهيد المسجى . وأنزل إلى الشارع حرسه المسلح في خسة ودناءة تليقان بمروان، وبمن على شاكلة مروان . . !!

ورأى الحسين رحمه الله، فالتفتى سلاحه، وصمم على إنفاذ وصية أخيه . .
لكن نفراً من الصحابة الأجلاء ذكروه بالفقرة الأخيرة من الوصية وحملوه عليها:
«فإن منعوك، فلا تراجمهم، وادفنى في البقيع».

وشرف ثرى البقيع بهذا الضيف المجيد . .
وأبت إلى وطنها في جنت الخلد روح السيد . . وروح الشهيد!!

وفي رواية أخرى، قال البغوي في تاريخه:

وظلة الحسن بن علي

وتوفي الحسن بن علي في شهر ربيع الأول سنة ٤٩ هـ، ولما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين: يا أباي إن هذه آخر ثلاث مرار سقيت فيها السم، ولم أسقه مثل مررتي هذه، وأنا ميت من يومي، فإذا أنا مت فادفني مع رسول الله، فما أحد أولى بقربه مني، إلا أن تمنع من ذلك فلا تسفك فيه محجمة دم.

ولما لف في أكفاته، قال محمد بن الحنفية: رحمك الله أبا محمد، فوالله لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك، ونعم الروح روح عمر به يفتك، ونعم البدن بدن ضمه كفتك، لم لا يكون كذلك، وأنت سليل الهدى، وحلف أهل التقوى، وخماس أصحاب الكساء، غفنتك كف الحق، وريت في حجر الإسلام، وأرضعتك ثديا الإيمان، فطب حياً وميتاً، فعليك السلام ورحمة الله، وإن كانت أنفسنا غير قالية حياتك، ولا شاكاة في الحبار لك.

ثم أخرج نعشه يراد به قبر رسول الله، فركب مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، فمتعا من ذلك، حتى كادت تقع فتنة.

واجتمع مع الحسين بن علي جماعة وخلق من الناس، فقالوا له: دعنا وآل مروان، فوالله ما هم عندنا كأكلة رأس. فقال: إن أئني أوصاني أن لا أريق فيه محجمة دم. فدفن الحسن في البقيع، وكانت سنة سبعاً وأربعين سنة، وتوفي الحسن بن علي وابن عباس عند معاوية، فدخل عليه لما أتاه نعي الحسن، فقال له: يا ابن عباس! إن حسناً مات. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، علي عظم الخطب وجليل المصائب، أما والله يا معاوية لئن كان الحسن مات، فما ينسج موته في أجلك، ولا يسد جسمه حفرتك، ولقد مضى إلى خير وبقيت علي شر. قال: لا أحبه قد خلف إلا صبية صغاراً. قال: كلنا كان صغيراً فكبر. قال: يخ بخ، يا ابن عباس، أصبحت سيد قومك. قال: أما ما أبهى الله أباه عبد الله الحسين بن رسول الله، فلا.

وكان الحسن بن علي جواداً كريماً وأشبه برسول الله خلقاً وخلقاً..

وحج الحسن خمس عشرة حجة ماشياً، وخرج من ماله مرتين، وقاسم الله عز وجل ثلاث مرات، حتى كان يعطي نعلًا ويمسك نعلًا، ويعطي خفًا ويمسك أخرى.

وقال معاوية للحسن: يا أبا محمد، ثلاث خلال ما وجدت من يخبرني عنهن. قال: وما هن؟ قال: المروءة، والكرم، والنجدة. قال: أما المروءة فإصلاح الرجل أمر دينه، وحسن قيامه على ماله، ولين الكف، وإنشاء السلام والتحبب إلى الناس. والكرم العطية قبل السؤال، والتبرع بالمعروف، والإطعام في المحل، ثم النجدة، الذب عن الجار وللحماة في الكربة والصبر عند الشغائد.

وقال جابر: سمعت الحسن يقول: مكارم الأخلاق عشر: صدق اللسان، وصدق اليأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، والتذم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء.

وقيل للحسن: من أحسن الناس عيشاً؟ قال: من أشرك الناس في عيشه.

وقيل: من شر الناس عيشاً؟ قال: من لا يعيش في عيشه أحد.

وقال الحسن: فزت الحاجة خيرا من طلبها إلى غير أهلها، وأشد من المصيبة سوء الخلق، والعبادة انتظار الفرج.

ودعا الحسن بن عليّ بنه وبني أخيه، فقال: يا بني وبني أخى! إنكم صغار قوم، وتوشكون أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه، فليكتبه وليجعله فى بيته.

وقال رجل للحسن: إني أخاف الموت! قال: ذلك أنك أخبرت مالك، ولو قدمت لسرك أن تلحق به.

وقال له معاوية يوماً: ما يجب لنا فى سلطاننا؟ قال: ما قال سليمان بن داود. قال معاوية: وما قال سليمان بن داود؟ قال: قال لبعض أصحابه: أتدري ما يجب على الملك فى ملكه، وما لا يضره؟ إذا أدى الذى عليه منه، وإذا خاف الله فى السر والعالية، وعدل فى الغضب والرضى، وقصد فى الفقر والغنى، ولم يأخذ الأموال غصباً، ولم يأكلها إسرافاً وبقاراً، لم يضره ما تمتع به من دنياه، إذا كان ذلك من خلقه.

وقال الحسن: كان رسول الله إذا سأله أحد حاجة لم يرد إلا بها وبمسور من القول.

وكان للحسن من الولد ثمانية ذكور، وهم: الحسن بن الحسن، وأمه خولة بنت منظور الفزارية، وزيد بن الحسن، وأمه أم بشر بنت أبى مسعود الأنصارى الخزرجى، وعمر والقاسم وأبو بكر وعبد الرحمن لأمهات أولاد شتى، وطلحة وعبيد الله.

ولما توفى الحسن وبلغ الشيعة ذلك، اجتمعوا بالكوفة فى دار سليمان بن صرد، وفيهم بنو جعدة بن هيرة، فكتبوا إلى الحسين بن عليّ يعزونه على مصابه بالحسن: بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن عليّ من شيعته وشجرة أبيه أمير المؤمنين. سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فقد بلغنا وفاة الحسن بن عليّ، سلام الله عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً، غفر الله ذنبه وتقبل حسناته، وضاعف لك الأجر فى المصاب به وجبر بك المصيبة من بعده، فعند الله نحسبه، وإننا لله وإننا إليه راجعون. ما أعظم ما أصيب به هذه الأمة عامة، وأنت وهذه الشيعة خاصة، بهلاك ابن الوصى وابن بنت النبی، علم الهدى، ونور البلاد، المرجو لإقامة الدين وإعادة سير الصالحين، فاصبر رحمك الله على ما أصابك، إن ذلك لمن

عزم الأمور، فإن فيك خلقاً من كان قبلك، وإن الله يؤتى رشده من يهدي بهديك، ونحن شيعتك المصلبة بمصيبتك، للحزونة يحزنك، للمسورة يسرورك، السكرة بسيرتك، المتظرة لأمرك، شرح الله صدرك، ورفع ذكرك، وأعظم أجرك، وغفر ذنبك، ورد عليك حقل.

ويبلغ معاوية لابنه يزيد بولاية العهد، بعد وفاة الحسن بن علي، ولم يتخلف عن البيعة إلا أربعة نفر: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير. وقال عبد الله بن عمر: نيلع من يلعب بالقروء والكلاب، ويشرب الخمر، ويظهر الفسوق! ما حجتنا عند الله! وقال عبد الله بن الزبير: لا طاعة لمخلوق في معصية الخلق، وقد أفسد علينا ديننا.

وقال السيوطي^(١):

«قال ابن عبد البر: وروينا من وجوه أنه لما احتضر قال لأخيه:

كنت قد طلبت من عائشة أن أدفن مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقالت: نعم، فإذا مت فاطلب ذلك إليها، وما أظن القوم إلا سيئتمونك، فإن فعلوا فلا تراجعهم. فلما مات أتى الحسين إلى أم المؤمنين عائشة فقالت: نعم وكرامة، فمنعهم مروان، فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى رده أبو هريرة، ثم دفن بالبقيع إلى جنب أمه رضي الله عنها».



(٢) الحسين بن علي

(٥-٦١ هـ)

تعرض أهل البيت عليهم السلام - وما زالوا يتعرضون - لحمولات التشويه من قبل أولئك الذين يريدون منع الناس من التأسي بسيرتهم العطرة، ولم يسلم من هذا التشويه أو الطمس أحد منهم، وحسبنا ما عرضناه من قيام معلوياً بن أبي سفيان بسب الإمام علي عليه السلام ولعنه على المنابر، وقتل كل من اعترض على ذلك في السر أو في العلن.

الإمام الحسين عليه السلام ثالث أئمة أهل البيت، كان واحداً ممن تعرضوا لهذا التزيف الإعلامي من قبل أولئك الذين باعوا دينهم لقاء دنياهم، فتراهم يحاولون إطفاء ضوء الشمس في رابعة النهار.

إنهم ما زالوا يرددون على مسامع الناس الكلمات نفسها، مثل لماذا خرج الإمام الحسين وقد نصحه فلان وعلان؟ ثم يقولون إن الإمام الحسين عليه السلام لم يحقق أي مصلحة من وراء خروجه، إلى آخر ذلك الكلام الفث.

التعرف على أسباب النهضة الحسينية أمر سهل وميسور للغاية، ويمكن لأي من هؤلاء أن يقرأ كتب التاريخ ليعرف حقيقة المأساة التي عاشتها الأمة كلها وليس أهل البيت بمفردهم، ويمكن للقارئ الكريم أن يسترجع السطور السابقة ليعرف حقيقة المناخ المسموم الذي سبق النهضة الحسينية، ومن أراد أن يستزيد فليقرأ كتابنا (على خطى الحسين) أما نحن فنلخص في هذا الكتاب ملامح رحلة الألام التي عاشها أهل بيت النبوة.

الإمام الحسين عليه السلام خرج إلى العراق، وتحديدًا إلى أرض كربلاء التي اختارها لتكون مكانًا لاستشهاده، ولم يخرج على بني أمية أو غيرهم، فهم من الأسس خارجون على القانون والشريعة الإسلامية، لكونهم غاصيين أمر المسلمين.

الإمام الحسين كان مقتولاً خرج أم لم يخرج، ولكنه اختار أن يخرج من مكة إلى المدينة، ومنها إلى أرض كربلاء ليستشهد ويدفن فيها، ويكون جسده الطاهر ودماءه

بذرة الحرية والكرامة التي غرست في تلك الأرض المباركة، ومعه تلك الكوكبة الطاهرة من أهل بيته وأصحابه .

خرج . . . وكان لا بد أن يخرج .

قتل وكان لا بد أن يقتل . . . وشتان ما بين موت الكرام العظام، وموت الخراف الثام .

الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام هو سيد الشهداء، والشهداء كما يقول الحق تبارك وتعالى ﴿أَشْهَاءٌ عَنْ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وهم أيضاً مصدر حياة لأمتهم ولمن يدينون بمبادئهم .

إن الاحتفاء بذكرى عاشوراء يوم استشهاد سيد الشهداء الحسين بن عليّ، هو إحياء لتلك القيم الأخلاقية العظيمة، ورفض لمنظومة الظلم والاستبداد .

الأمة العظيمة والشهداء هم من يجسد القيم والمبادئ التي أتى بها الإسلام إلى حياة وواقع، والمبادئ التي لا تجد من يطبقها ويعمل بها في أرض الواقع تصبح مبادئ خيالية ولا قيمة لها، وهذا هو سر عظمة أمة أهل البيت عليهم السلام، وهذا هو سر تخلف وانحطاط مناهجهم .

يقولون إن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن مضطراً للخروج، وكأنه كان بإمكانه أن يقول لا لبني أمية ثم يعيش معزولاً مكرماً، بينما يحكى لنا التاريخ أن بني أمية لم يكونوا ليرضوا بأقل من استعباد الجميع وسلب إرادتهم، وهم الذين اضطروه للخروج من المدينة إلى مكة ثم الخروج من مكة لنلّا يقتل بها، وهم الذين عقدوا العزم على الثأر من أهل المدينة عام ٦٣ للهجرة، واستباحوها في واقعة الحرة، ثم خرجوا منها ليهدموا الكعبة المشرفة .

ولقرأ معاً ما ذكره خالد محمد خالد^(١) عن خروج الحسين :

إن للسلطة ضراوة لا تقاوم، إذا هي بسطت إغرامها ونفوذها على الخاكم، يرى فيها غشماً لا تضحية . . وزهواً لا واجباً . .

(١) نبأ الرسول في كربلاء .

ونحن لا نريد الطعن في معاوية، فإن منتهجنا أن نحترم كل الاحترام من صاحب رسول الله ﷺ وصلى وراه. وجلس بين يديه. . . وقاتل تحت لوائه. . . مغرخين أمره فيما يكون له من خطأ إلى الله. . .

يبد أننا خلال قيامنا بواجبنا في تحرى الحقيقة في هذه القضية التي ندرسها، لا نملك إلا إبداء الأسف الشديد، والجزع الأشد، لهذا النهج الذى سار عليه مؤسس دولة الأمويين. لا سيما حين اتخذ أفذح قراراته، وأكثرها خسارة ويأساً. . . ذلك هو أخذ البيعة لولده - يزيد - وفرضه على الدولة المسلمة وعلى الأمة المسلمة، الأمر الذى يعنينا الآن بحثه، والذى كان السبب المباشر والأوحد في مأساة «كربلاء». وفيما تلا «كربلاء» من أهوال شهدتها مكة وشهدها المدينة على نحو الأليم وويل. . . هذه الأحداث التى كانت هي الأخرى سبباً مباشراً في هيباع الملك من بيت معاوية وذريته إلى الأبد بعد أربع سنوات من وفاته، ثم انتقل هذا الملك إلى بطن من بطون بنى أمية، أولئك هم بنو مروان.

لقد اهتزت أعطاف معاوية بالإمارة والملك، أربعين عاماً كاملة. . . عشرين عاماً، أميراً. وعشرين عاماً، ملكاً.

أما كان يحضيه ذلك؟ ثم يترك الأمر من بعده لاختيار المسلمين، ليكون في ذلك على الأقل وفاء بالمعهد الذى أبرمه مع الحسن رضي الله عنه، والذى كان أهم شروطه للتنازل له عن الخلافة. . . ٢٢

إن ذلك لم يحدث. . . ولقد قرر معاوية. . . بتدبير منه، أو بإيحاء من بعض مشيريه، أو بهما معاً، أن يستبقى السلطان في بيته وأسرته، واختار لذلك أبعد الناس عن الصلاحية للأمر، ولده يزيد.

فحين أحس خمود صحته، ودنو نهايته، شرع على عجل يفرض - يزيد - على الناس ويهيئ له مكانه. . .

ويداً بالمدينة، حيث كان بها نفر جليل من بقية الصحابة.

ولم يكد واليه عليها، وقرينه في الوقت نفسه - مروان بن الحكم - يهرض الأمر على المسلمين الذين احتشدوا في المسجد الكبير، حتى جابهته معارضة

رهبة، لقد وقف عبد الرحمن بن أبي بكر رحمته يقول لمروان :
«والله، ما الحيار أردتم لأمة محمد... ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية،
كلما مات هرقل قام هرقل».

وتلاه الحسين رحمته فرفض في كلمات قواطع هذا العبث بمصائر الإسلام
والمسلمين.

وتلاه عبد الله بن الزبير رحمته فدمدم على مروان وعلى معاوية بكلمات
كأسنة الذهب... ١١.

وأبلغ مروان المعارضة إلى معاوية، فلم يحمله فلك على إعادة النظر في
قراره، بل دفعه إلى الإيغال في سرعة إنجازها.

فأرسل إلى ولاته الآخرين على بقية الأمصار، أمراً إليهم أن يسوقوا الوفود
إلى الشام كي تباع ليزيد.

وشهدت الشام مهزلة البيعة ومأساتها على نطاق واسع، بعد أن أدى الذهب
والسيف دورهما في حمل الناس على البيعة.

ولكن موقف «المدينة» ظل يورقه، فقرر السفر بشخصه إليها.

وهناك حاول إقناع زعماء المعارضة - عبد الله بن الزبير، والحسين بن علي،
وعبد الله بن عمر - فلما أعبته الخيلة لجأ إلى القوة في مظاهرة مسلحة
عجبة... ١١.

لكن الزعماء الثلاثة صمدوا، ولم يتحرك منهم لسان بيعة. وأمام مناورة
الموت التي فاجأهم بها معاوية، لانوا بالصمت، فاستغل هو صمتهم وأذاع
في الناس أنهم مبايعون... ١١.

لقد برر معاوية أخذه البيعة ليزيد بحرصه على عدم نشوب الخلاف والصراع
من جديد بين المسلمين.

وإنه لتبرير يدينه أكثر مما يشفع له...

فلما قا خشي الصراع والفتنة إذا هو لم يظل الملك إلى يزيد . ولم يخشهما
إذا هو وسد الأمر لغير أهله وسلم قيادة الدولة المسلمة إلى أكثر العالمين بعداً
عن الصلاحية لها، وهو يزيد . . . ١١٢٢

تكشف - بوضوح - هذه النظرة عن أن معاوية كان ينظر إلى الأمر على أنه -
كما قلنا من قبل - سلطان بنى أمية أكثر مما هو سلطان الإسلام وسلطان
المسلمين . . . ١١

ووضع المسألة على هذا النحو - وهو وضع صحيح - يجعل المقاومة أمراً
محتوماً وقدرًا مقدوراً .

ولقد بدأت المقاومة بامتناع الحسين وابن الزبير، وابن عمر، وابن أبي بكر،
بالمدينة من البيعة .

وبدأت بالتلصص الذي ملأ صفوف الجماهير في كل مكان والذي ارتفع به
الصوت داخل الأمويين أنفسهم الذين كانوا يشتمون من يزيد، ويرون بين
رجالهم من هو أحق وأجدر . . . كذلك شاع على ألسنة الذين يليقوا من عامة
الناس مكرهين .

ذلك أن يزيد كان شاباً عابثاً لاهياً . . . والتاريخ يصوره دائماً بين بطاقته، وهي
بطاقة سوء، بلهون، وبشرية، ويعرندون .

وحتى حين أراد أن يصفى على سيرته بعض التصون والوقار، فأرسله إلى
مكة حاجباً، لم يفته ذلك شيئاً، فقد اصطحب يزيد معه لهوه وعيشه
وطاقته . . . ١١

وزيد، قبل هذا، وبعد هذا، تنقصه كل مقومات الرجل المناسب للمكان
المناسب . فهو مفلس إفلاساً تاماً من كل ما كان لأبيه من دهاء، وشخصية،
ودكاء، ومقدرة . . . !

فقيم استخلافه . . ؟ وبأي رشد وأي حسيب، يفرض واحد هذا شأنه على
الإسلام وعلى المسلمين ؟

ثم أين عهد مع الحسن ^{عليه السلام} على أن يترك الأمر بعده شورى، حيث يختار الناس من يرضونه . ١٩

لكن معاوية فعلها - غفر الله لمعاوية . .

وفي العلم الستين للهجرة مات، ليستقل الأمر من بعده إلى يزيد . وبدأ يزيد عهده بإفخاذ الوصية التي تركها له أبوه قبيل وفاته :

«إني لا أخاف عليك سوى أربعة رجال :

الحسين بن علي . . وعبد الله بن عمر . . وعبد الرحمن بن أبي بكر . . وعبد الله بن الزبير .

فأما الحسين بن علي، فإن أهل العراق لن يتركوه حتى يخرجه إليهم، فإن فعل فقطرت به فاصح عنه . .

وأما عبد الله بن عمر، فرجل قد وقفته العبادة، ولا يريد الخلافة إلا أن تأتيه عفوًا .

وأما عبد الرحمن بن أبي بكر، فليس له عند الناس ما يجعله يطمح إلى طلبها، أو يحول التماسها إلا أن تأتيه عفوًا .

وأما الذي سيجثم لك جنوم الأسد، ويراوغك روغان الثعلب، حتى إذا أمكنته فرصة وثب عليك، فذلك هو عبد الله بن الزبير . فإن فعل وظفرت به فقطعه إريبًا إريبًا، إلا أن يلتبس منك صلحًا . فإن فعل فاقبل منه، واحقق دعاء قومك بجهدك . . وكف عاديهم بنو لك . . وتسلمهم بحلمك . . .

تري، هل كان معاوية يعرف لابنه هذا جهده، أو نوالاً، أو حلاً بما لاج به الأمور . . ٢٠

على أية حال، فقد جلس يزيد حيث كان يجلس أبوه من قبل، وسبق الناس إليه يبايعونه ملكًا، بعد أن يبايعوه من قبل أميرًا . .

واهتز كيانه فزعًا، تحت ضغط مشاعره الوجلة لوجود الحسين وابن الزبير وابن أبي بكر وابن عمر بالمدينة، فكتب على الفور إلى عامله هناك - الوليد

ابن عتبة بن أبي سفيان - بهذا الأمر الحاسم :

« . . أما بعد ، فخذ حسينا ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر بالبصرة أخذا شديدا ، ليس فيه رخصة حتى يسيأوا ، والسلام » . .

واستجد الوليد بمشورة قريه مروان ، وكان مروان واليا على المدينة من قبل ، ثم سخط على قرار معلوبة أخذه البيعة ليزيد ، إذ كان يرى نفسه يحكم منه ومشيخته في بني أمية أحق بها وأولى . .

ولخص مروان مشورته للوليد في هذه الكلمات السوداء «أما ابن عمر ، وابن أبي بكر ، فلا أراهما يريان القتال . . ولكن عليك بالحسين وعبد الله بن الزبير ، فإن بايعا ، وإلا فاضرب أعناقهما قبل أن يذبح في الناس نيا موت معاوية ، فيشب كل واحد منهما في ناحية » . . !

هكذا ، وبكل يسر واستهتار يطيح مروان بالرقاب !!

اضرب أعناقهما .

هذا هو نهج الذين اغتصبوا حق المسلمين في خلافتهم ، وأرادوا أن يجعلوه وقفا على أنفسهم وعلى ذريتهم حتى آخر طفل فيهم وآخر رضيع . . !!

ومروان هذا ، الذي يشير بقطع الرقاب ، هو الذي سيتقل إليه الملك بعد أربعة أعوام من ملك يزيد . . وهو الذي سيظل الملك في عقبه حتى يجيء العباسيون بعد عشرات من السنين ، لا ترى فيها وفي كل أولئك الحاكمين من هو للقداسة أهل سوى «عمر بن عبد العزيز» ~~وغيره~~ وأرغاه . . هذا الخليفة العادل الذي سيخرج من مظالم قومه وعائلته ، ويرأى إلى الله منها . . !!

ونعود إلى الوليد بن عتبة وإلى المدينة ، فتراه يرسل في طلب الحسين ، وابن الزبير .

وفي طريقهما إليه يسأل ابن الزبير الحسين :

- ترى في أي أمر بعث إلينا هذه الساعة . ؟

ويجيبه الحسين :

- أحسب أن معلوية قد ماتت . . وقد بعث إلينا للبيعة .

ويعرفان أمراجهما دون أن يواصلا السير إلى الوليد .

فأما عبد الله بن الزبير فقد انتظر مجيء الليل ، ثم حمل متاعه ، وركب راحلته ، وسافر إلى مكة .

وأما الحسين ، فبأخذ نفرا من أتباعه ، وسير بهم إلى الوليد في دار الإمارة ، ويأمرهم أن ينتظروه خارج الدار ، فإن سمعوا حوارا غامضيا بينه وبين الأمير افتحموا الدار ليكونوا بجانب الحسين إذا أريد به سوء .

بيد أن الوليد في هذا الموقف كان غيرا من ألف من طراز مروان .

فلك أنه لم يكذب ينهى إلى الحسين نبأ وفاة معاوية ، داعيا إياه إلى بيعة يزيد ، حتى قال له الحسين **كلمة** :

«إن مثلى لا يعطى بيعته سرا» .

ولا نستبعد أن يكون الوليد ، قد أدرك ما في كلمات الحسين من متانة شريفة ، أثر أن يتغافل عنها ، حتى لا يلوث يديه بجريمة العدوان الذي أشار به مروان .

لذلك تراه ، حين أصبح في اليوم التالي ، جاءه الخبر بأن الحسين رحل إلى مكة . . ولامه مروان على نبذ مشورته ، تراه يقول يومها لمروان :

«أنشبر على بقتل الحسين بن فاطمة ، بنت رسول الله . ٢٢ . والله ، إن الذي يحاسب بدم الحسين يوم القيامة لحقيف الميزان عند الله . . ٢١ .»



رحل الحسين إلى مكة . . ذلك البلد الحرام الذي يلتمس الناس فيه الأمن والملاذ . .

واصطحب معه أخته السيدة زينب ، والسيدة أم كلثوم وإخوته أبا بكر ،

والعباس، وجعفر وأولاد أخيه الحسن وجميع من كان بالمدينة من أهل بيته،
عدا أخاه محمد بن الحنفية الذي أثر البقاء بالمدينة.

وكان قد سبقه إلى مكة كما ذكرنا، عبد الله بن الزبير.

كذلك كان قد سبقه إليها حبر الأمة عبد الله بن عباس.

وفي مكة، استقر الحسين وأله. وأقبل أهلها بل وأقبلت الوفود من خارجها
على ابن بنت رسول الله ﷺ تتلمس منه الحكمة والهدى والنور.

ولقد كانت مكة آنذاك أنسب مكان يدبر فيه الحسين خواطره وتفكيره حول
القضية الجلية التي تشغله، والوضع الخطير الذي حاق بالمسلمين.

وهنا يستطيع الحسين أن يمد بصره فيرى الدار التي عاش فيها ويزغ منها جده
العظيم «محمد رسول الله ﷺ» هاتفاً بكلمة الله، حاملاً معوله الرشيد في
وجه وثنية الحجر... ووثنية البشر...!!

ويستطيع أن يمد بصره، فيرى «زعم» التي حفرها جده عبد المطلب امتثالاً
لرؤيا صادقة، والتي كانت لقريش حياة وروياً، وصارت للمسلمين تراثاً
ومسكناً...

ويستطيع أن يمد بصره فيرى الدور التي خرج منها مهديون أبرار، آمنوا
بالرسول ﷺ وأزروه في دعوته ووحدته، وفي مقدمتها دار أبي بكر. ثم
يرى الدور التي خرج منها أولئك الذين سخرُوا من دعوته، واضطهدوا أهله
وصحبه، وفي مقدمتها دار أبي سفيان...!

وهنا... يستطيع أن يرى ويسمع الأصداء الصادقة الباهرة لصوت جده أبي
طالب وهو يقول للرسول:

«يا ابن أخي، ادع إلى سبيل ربك ما شئت، فوالله لا أسلمك إليهم أبداً.

ثم يلف إلى جواره كالطود مضجياً براحتة، وأمنه ومكاته بين قومه...»

كما يسمع الأصداء الصادقة الباهرة لصوت جدته «خديجة» وهي تقول
للرسول: «والله لا يخزيك الله أبداً»...

ثم تنهض إلى جواره في وجه قبرش واضعة كل ثرواتها وجاهها في خدمة الدين الحق الجديد .

وهنا . . يسمع الحسين بكل سمعه وقلبه كلمات جده الرسول الكريم ﷺ التي تركها للتاريخ الإنساني بأسره قدوة ونبراساً وهدى :

. والله ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يقضي به الله ، أو أهلك دونه . . !

أجل . . هنا سيمسح الحسين صداها . . ويتراءى له المشهد ، فيفجر في نفسه بأسها ، ونضالها ، وتقلعها . . !!

ولسوف يسأل نفسه : ما هذا الأمر الذي رفض جده النبي ﷺ أن يتخلى عنه ولو أوتى الشمس والقمر وما بينهما . . ؟؟
ويجيبه قلبه : إنه كلمة الله ودينه .

ويعود يسأل نفسه : وأين دين الله اليوم ، ومن الذي يحمل لواءه .
ويجيبه الواقع : إن دين الله اليوم في محنة ، إنه يتحول إلى ملك عرضي . .
وإن الذي يحمل لواءه اليوم طاغية عرييد اسمه ، يزيد . . !!
يعود يسأل نفسه : وما المصير . . ؟؟

ويجيبه وعيه ورشده : المصير عودة الجاهلية وسيادة الوثنية ، وفنو ساعة هذه الأمة حيث يرجع كل ما بنت وشادت تراباً في تراب . . !!
ألم يقل جلتك الرسول ﷺ :

«إذا وسد الأمر لغير أهله ، فانتظر الساعة» .
فها هو ذا قد وسد لغير أهله ، بل لشر أهله .
ويعود سائلاً نفسه وما واجبي الآن ؟

ويجيبه ضميره : المقاومة ، الآن ، وأبداً . . حتى يفوز الحق ، أو تهلك دونه . . !!

على هذا النحو لا بد أن يكون الحسين قد أدار غواطره وتفكيره .

وفى رأينا أن كل حوافز الثورة على هذا الضلال كانت كامنة فى وعيه ووجداته ، وكانت وليدة إيمانه السيد لحق الدين عليه واستعداده للتضحية فى سبيله .

ولست نتيجة لموقف أهل الكوفة الذين أرسلوا إليه كتبيهم ووفودهم يدعونه إليها ليأبىهم ، ولسيروا تحت لوائه إلى مقاومة يزيد .

أجل . . ما كان الحسين ليدع دين الله ودنيا الناس العموية فى يد يزيد .

بل كان سببشر بالمقاومة ، ويخلق ظروفاها المواتية ، ثم يضرب ضربتها العادلة .

وسواء دعاه أهل الكوفة أم لم يدعوه ، فلقد كان يهتدى إلى مسئولياته بنور إيمانه ويصوت ضميره . وليس بتحريض قوة خارجية .

ولقد عرفنا رأيه القديم فى صلح أخيه مع معاوية . . إذ كان يعارض هذا الصلح ، معلناً أن آل أبى سفيان لا عهد لهم ولا أمان .

فإذا كان هذا رأيه والخليفة بالأمس معاوية ، فكيف يكون إذن والمستخلف اليوم يزيد . . ١٩

ثم إن خروجه من المدينة إلى مكة ، ورفضه البيعة ليزيد يشكلان إعلاناً لبدأ المقاومة .

فهو يعلم أن يزيد لن يتركه حتى يسامح . . وهو لن يسامح أبداً . وإذا ستكون المجلبة بينهما أمراً محتملاً .

ثم إن للحسين طبيعة جباشة نائرة ، يربطها بالحق ولاء وثيق وعجيب ، وتستمد من فضائل الدين العالية ، ومن تراث حسبه العريق زاداً لا يفتى من الصمود والمثابرة !!

ولن يجد فى كينته ذرة نصير على رؤية يزيد بن معاوية يجلس حيث جلس من قبل - أبو بكر - وعمر - وعثمان - وعلى . ١١

إن ذلك يعنى ضياع مقدسات عزيزة وهائلة . .
وإذا كانت الطبول تدق فى دمشق، معلنة قيام خلافة كاذبة لحفيد أبى سفيان .
فلا بد أن يجد الإسلام من يدفع عنه الكارثة .
ولا بد أن يجد المسلمون من يدرأ عنهم الطوفان . .



تلك هى القضية . .
وهذه حقيقتها التى تحملت أمام الحسين كفلق الصباح . . فهى ليست لغزاً،
يحتاج إلى مناقشات تبحث له عن حلول .
ولا صفة، ترتبط اهتماماتها بمغرم أو مغرم .
كما أنها ليست طموحاً شخصياً، يحتاج إلى موازنة بين فرص النجاح
واحتمالات الإخفاق .
إنها قضية الحق وحده .

حق دين، وحق أمة، وحق دولة، وحق مصير . . فإما أن يتصهر هذا الحق،
أو فليمت الأبرار دونه . .

ومن لقبادة الأبرار فى هذا المجال، كأمى عبد الله الحسين . خير ابن خير
أبيه . وأكرم وارث لبيت التضحية والبلذ والفداء . . ؟!

إن ملايين المسلمين فى كل العصور والأزمان، يصلون عليه فى صلواتهم أثناء
الليل وأطراف النهار .

أليس كل مسلم كان أو سيكون، يختم صلاته قائلاً:

«التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله .

السلام عليك أيها النبى، ورحمة الله وبركاته .

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله . .

اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد... .

واليس الحسين من أولئك الأئمة؟

أليس هو درتهم الفريدة والمجيدة .

إنذ، فإن لهؤلاء الذين يصلون عليه عبر الزمان والأجيال حقاً عظيماً
سيقتضيه تصحيحات عظيمة .!!

ومتى تكون التضحية، إذا لم تكن اليوم، ودين المسلمين يتحول إلى «مزرعة
أموية» . . . وأسيادهم العظيمة يستولى عليها مخلوق عاث . . . ومصايرهم
الكبرى تمسك بها أيدي وصوليين جباة، وجلادين طغاة . . .!

هكذا لم يكن للحسين يد من أن يقاوم، حتى لو لم يده من العراق فاع،
ولم يأت من الكوفة كتاب . . . كل ما صنعتته وفرد الكوفة وكتبها له، أنها
عجلت خروجه .

وهنا، لا بد أن نفى عن تفكيرنا وهماً رده كثيرون، هو أن «الحسين» ^ص
ذهب ضحية خدعة لم يحسن تدبرها . . . أو ضحية أنصار لم يحسن تقدير
إخلاصهم وثباتهم . . .!

كلا، إن «الحسين» إنما ذهب شهيد إيمان قرر مختاراً ومشتاقاً أن يكون شهيداً
وقريته . . .!!

يروى ابن الجوزي^(١١):

لما مات معاوية، كان ابنه يزيد غائباً، فلما سمع بموته قدم وقد دفن فبويع له،
فأقر عبيد الله بن زياد على البصرة والنعمان بن بشير على الكوفة، وكان أمير
مكة عمرو بن سعيد بن العاص وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان،
ولم يكن ليزيد هم حين ولى إلا بيعة النفر الذين أبوا على أبيه الإجابة إلى بيعة
يزيد، فكتب إلى الوليد بن عتبة: أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد
الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يباهوا، والسلام .

(١١) المتكلم في تاريخ الملوك والأمم .

فبعث الوليد إلى مروان فاستشاره وقال : كيف ترى أن أصنع ؟ قال : إني أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة ، فإن فعلوا قبلت وإن أبوا هربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية ، فزتهم إن علموا بموته وثب كل واحد منهم في جتبه فأظهر الخلاف والمناظرة ، إلا أن ابن عمر لا أراه يرى القتال ولا يحب الولاية إلا أن تدفع إليه عفوًا . وأرسل عبدالله بن عمرو بن عثمان وهو غلام حدث إلى الحسين وابن الزبير يدعوهمما فوجدهما في المجلس جالسين فقال : أجبيا الأمير .

فقالا له : انصرف فالآن نأتيه . ثم أقبل ابن الزبير على الحسين فقال له : ما نظن فيما بعث إلينا؟ فقال الحسين : أظن طاعتهم قد هلك ، وقد بعث هذا إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو الخير . قال : وأنا ما أظن غيره ، فما تريد أن تصنع ؟ قال : أجمع فتبقي الساعة ثم أسير إليه فإذا بلغت الباب احتبستهم .

فجمع الحسين ^{عليه السلام} مواليه وأهل بيته ، ثم مشى حتى انتهى إلى باب الوليد ، وقال لأصحابه : إني داخل فإن دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا ، فاتجمعوا عليّ يا جمعكم وإلا فلا تيرحوا حتى أخرج .

فدخل وعنده مروان فسلم عليه بالإمرة وجلس ، فأقرأه الوليد الكتاب ونمى إليه معاوية ودعاه إلى البيعة . قال الحسين «إنا لله وإنا إليه راجعون» رحم الله معاوية وعظم لك الأجر ، أما ما سألتني من البيعة فإن مثلي لا يعطى بيعته سرًا ، فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمرًا واحدًا . فقال له الوليد وكان يحب العافية : فتصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس .

فقال له مروان بن الحكم والله إن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدًا حتى تكثر القتل بينك وبينه ! أحبس الرجل ولا يخرج من عنك حتى يبايع أو تضرب عنقه . فوثب الحسين عند ذلك فقال : يا ابن الزرقاء ، أنت تقتلني أو هو ؟ كذبت والله وأنت ، ثم خرج . فقال مروان : والله لا يمكنك من مثلها من نفسه . فقال الوليد والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت وإني قتلت حسيتًا .

إنما فقد رفض الحسين بن علي عليه السلام وهو إمام الأمة وقودتها البيعة ليزيد لأسباب كثيرة، أنقلها شهادة الإمام أحمد بن حنبل التي نقلها عنه ابن الجوزي حيث قال (وقد أسند يزيد بن معاوية الحديث فروى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإسنادنا إليه متصل غير أن الإمام أحمد سئل: أيرى عن يزيد الحديث؟ فقال: لا ولا كرامة. فلذلك امتنعنا أن نسنده عنه (١)).

الذي رفض العلماء أن يرووا عنه حديث رسول الله، كيف يكون إماماً للمسلمين؟
كما أن هذه الرواية تكشف عن الطريقة التي اعتمدها بنو أمية كوسيلة ومنهج في التسلط على رقاب المسلمين، وهي تخيير الناس بين الدخول في طاعتهم أو القتل (١).

روى الطبري^(١) أن يزيد استقبل وفدًا من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي والمنذر بن الزبير فقدموا عليه فأكرمهم وأحسن وفادتهم وأعظم جوائزهم، فلما قدموا على المدينة، قاموا فأظهروا شتم يزيد وقالوا إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطناير ويضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخراب والفتيان، وإنا نشهدكم أنا خلعتنا فتابعهم الناس.

القول بأن الإمام الحسين بن علي عليه السلام كان مخيراً بين البقاء في المدينة مؤثراً للسلامة محافظاً على دينه ودين الأمة أو الخروج على ولي النعم الأموي مما سيضطر طائفة بنو أمية لاتخاذ إجراء لم يكن يرغب في اتخاذه (١٩) هو كلام لا يصد أمام أي محيص، فلم يكن أمام الإمام سوى القتل أو البيعة لهذا الفاسق، وإذا لم يكن من الموت بد فمن العيب أن تعيش جيباً (١).

يرضى القتل وليس يرضى القاتل (١).

لا شك أن تفریط المسلمين في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان سبباً رئيساً في وصولهم إلى حالهم المزرى الذي هم عليه الآن.

ولا شك أن انتقال النظام السياسي من الشورى إلى أبشع أنواع التسلط والاستبداد لم يكن قفلاً إلهياً لا مرد له، بل كان اختياراً إنسانياً رضى به البعض حرصاً على دنيا

(١) تاريخ الرسل والملوك بتاريخ الطبري، ج ٥ ص ١٨٠.

بصبيونها ونعيم زائل يناله البعض، وبينما يحرم منه جمهور المسلمين، الذين علمنا من يومها كل أنواع الظلم والأثرة والحرمان.

وإذا كان البعض ما زال يطرح السؤال نفسه عن سبب خروج الحسين بدلاً من بقائه نائماً على فراشه، فتحت نطرح سؤالاً مقابلاً عن الدافع الأخلاقي الذي ساق البعض للسير في ركاب السلطة الأموية الفاشية، متجاهلين أبسط قواعد الدين والأخلاق القاضية بنصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم !!!

أيضاً فإن موقف الرفض الحسيني لم ينشأ فجأة عشية موت طاغية بنى أمية معاوية بن أبي سفيان، فقد كان للإمام الحسين مواقف كثيرة من تجاوزات هذا الطاغية. والخطبة التي بين أيدينا واحدة من تلك الكلمات التنويرية التي حاول من خلالها وضع الأمور في نصابها، حيث يقول سلام الله عليه:

﴿فَمَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ عَنْ مَكْرٍ فَلَمَّا نُفِيسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧٩)﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩]. وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك، رغبة فيما كانوا يتألمون منهم ورهبة مما يحذرون، والله يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ لَا تَشْعِرُوا بِأَنَّهُمْ قُلُوبًا﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لتعلمه بأنها إذا أدبت وأقيمت استظلمت القرائض كلها هيتها وصعبيها، وذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفىء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها.

ثم أنتم، أيها العصابة، بالعلم مشهورة وبالحير مذكورة وبالنصيحة معروفة وبالله في أنفس الناس مهابة، يهابكم الشريف ويكرمكم الضعيف ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلبها، وتحشون في الطريق بهيئة الملوك وكرامة الأكابر أليس كل ذلك إما

نلتصوه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله؟ وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون فاستخففتكم بحق الأئمة، فأما حق الضعفاء فضيغتم وأما حقكم بزعمتكم طلبتم فلا مالا بملتصوه ولا نفساً خاطرتكم بها للذى خلقها ولا عشيبة عاديتموها في ذات الله، أنتم تمنون على الله جته ومجاورة رسله وأماناً من عذابه، لقد خشيت عليكم أيها المشنون على الله أن نحل بكم نقمة من نعماته لأنكم بلغتكم من كرامة الله منزلة فضلتكم بها، ومن يعرف بالله لا تكرهون، وأنتم في عباده تكرمون، وقد ترون عهد الله متفوضة فلا تفزعون وأنتم لبعض ذم أهلككم تفزعون وذمة رسول الله محفورة والعسى والبكم والزمن في المأين مهجلة لا ترحمون، ولا في منزلتكم تعملون ولا من عمل فيها تعتبون وبالإدعان والمصانعة عند الظلمة تأمنون. كل ذلك بما أمركم الله به من النهي والتناهي أنتم عنه غافلون، وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تسعون، ذلك بأن مجارى الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمانة على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المترلة، وما سلبتم ذلك إلا لتفترقكم عن الحق واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة، ولو صبرتم على الأذى وتحملتكم المؤونة في ذات الله كانت أمور عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم وأسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات ويسبرون في الشهوات، سلطهم على ذلك فراركم من الموت، وإعجابكم بالحيلة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فما بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشته مغلوب، يتقبلون في الملك بأرائهم ويستشعرون الخزي باقتدائهم اقتداء بالأشرار وجرة على الجبيل، في كل بلد منهم على منيرة خطيب يصقع فالأرض لهم شاغرة وأيديهم فيها مبسطة، والناس لهم خول لا يدفعون يد لاس، فمن بين جبار عنيد وذئ سطة على الضعيف شديد مطاع لا يعرف الميدي المعيد، فيا عجبا وما لي لا أعجب والأرض من غلش غشوم ومتصدق ظلوم وعامل على المؤمنين غير رحيم، فإله الحاكم فيما فيه تنازعنا والمقاضى بحكمه فيما شجر بيننا.

اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا اتساعاً من فضول الخطام ولكن لنرى المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلاطك ويأمن

المظلوم من عبادك ويعمل بفرائضك وسنتك في بلادك، فإنكم إن لم تنصرونا وتنصفونا، قرى الظلمة عليكم وعملوا في إطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير).

(أنت قاتل حجر وأصحابه العابدين للخبيثين الذين كانوا يستظعمون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة، جراً على الله واستخفافاً بعهده، أو لست بقاتل عمرو بن الحمق؟ الذي أخلفت وأبليت وجهه العبادة فنحلت جسمه وصفرت لونه بعد ما أمته وأعطيت من عهد الله وميثاقه فقتلته من بعد ما أعطيت من العهود ما لو أعطيت طائراً لنزل إليك من رأس الجبال ثم قتلته جراً على الله واستخفافاً بذلك العهد!! أو لست المدعي زيلجاً في الإسلام، فزعمت أنه ابن أبي سفيان، وقد قضى رسول الله ﷺ أن الولد للفراش وللماهر الحجر، ثم سلطته على أهل الإسلام بقتلهم وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويصلبهم في جذوع النخل. سبحان الله! يا معاوية، لكأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك؟ أو لست قاتل الحضرمي؟ الذي كتب إليك فيه زياد أنه على دين علي صلوات الله عليه فكتبت إليه أن اقتل كل من كان على دين علي ودين علي هو دين ابن عمه ﷺ الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك نجشهم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا مئة عليكم).

يروى المؤرخون العديد من مواقف أبي عبد الله الحسين الرافضة لانتزاع هذه البيعة المغشوشة لهذا الفاسق صاحب السيرة غير العطرة التي لم تكن خافية على أحد من المسلمين آنذا، ولكن من كان يجرؤ على الرفض وإعلان كلمة الحق غير أبي الأحرار الإمام الحسين؟

للا يمكننا القول أن الإمام الحسين كان قد أعد العدة لاتخاذ مثل هذا الموقف والتصدي الحازم لبيعة الضلالة التي فرهت على المسلمين فرهاً، فكان ذلك التحرك

من المدينة أولاً إلى مكة للمصرة والحج، ثم إلى الكوفة لإعلان الموقف الصحيح في المكان الملائم وفي الوقت الملائم، وليس بعد فوات الأوان.

خروج الحسين

يروى أبو مخنف^(١):

أن عبد الله بن الزبير قال له وهما في مكة: إلى أين فاطمة، فأصغى إليه فسلره. قال ثم التفت إلينا الحسين فقال: أتدرون ما يقول ابن الزبير؟ قلنا: لا ندري جعلنا الله فداك. فقال: قال أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس، ثم قال الحسين: والله لأن أقتل خارجاً منها بشير أحب إليّ من أن أقتل داخلًا منها بشير، وإيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقهروا في حاجتهم، والله ليعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في السبت.

دعك إذا من ذلك السؤال المريب (لماذا خرج الحسين؟) واقرا معنى ما فعله بنو أمية في ربيعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيد شباب أهل الجنة:

كرهلاء

خرج الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة، وقد سبقه إلى هناك رسله بقيادة مسلم بن عقيل بن أبي طالب، فتلقاهم سيوف القوم وقتلوه، ولكن الإمام الحسين كان عازماً على مواصلة المسير لإعلاء كلمة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبدأ الأمويون في إرسال جيوشهم لمحاصرة الحسين أولاً في منطقة بعيدة عن العمران والماء ثم قتله هو وأهل بيته.

عندما وصل الحسين عليه السلام إلى ذي حسم، قام فيمن معه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إنه قد نزل من الأمر ما ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتكرت وأهبر معروفها، واستمرت جفاً فلم يبق منها إلا صلبة كصلبة الإناء، وخسب عيش

كالمرضى الويل، ألا ترون وأن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المومن في لقاء الله محققاً فاني لا أرى الموت إلا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً.

ثم أرسل عبيد الله بن زياد - ولى زياد من أيام معاوية على الكوفة - كتاباً إلى قائد جيشه عمر بن سعد بن أبي وقاص يأمره بالحيلولة بين الحسين وأصحابه وبين الماء ولا ينفقوا منه قطرة.

فبعث عمر بن سعد خمسمائة فارس فترلوا على الشريعة [الماء]، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام، ثم جاء أحد جلاوزة بني أمية فقال: يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء؟ والله لا تنفق منه قطرة حتى تموت عطشاً.

فلما اشتد على الحسين وأصحابه العطش، دعا أخاه العباس بن علي بن أبي طالب، فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً وبعث معهم بعشرين قرية، فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً، يتقدمهم نافع بن هلال الجملی، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي: من الرجل وما جاء بك؟ قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذي خالاً نمونا عنه [منعتمونا عنه]، قال: فاشرب شيئاً. قال: لا، والله لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان ومن ترى من أصحابه، فقال لا سبيل إلى سقى هؤلاء، إنما وضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء.

ثم إن عبيد الله بن زياد دعا شمر بن ذي الجوشن فقال له:

أخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد، فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا فليبعث بهم إلى سلماء، وإن هم أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع، وإن هو أبى فقاتلهم، فانت أمير الناس، واضرب عنقه وابعث إلى برأسه. ثم كتب ابن زياد إلى عمر بن سعد: أما بعد فاني لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنية السلامة والبقاء، ولا لتعده له عندى شافعاً، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعث بهم إلى سلماء، وإن أبوا فزحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل حسين فأوطأ الخيل

صدره وظهروه، فإنه حلق مشاق قاطع ظلوم، إن أنت مضيت لأمرنا فيه
جزيتك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا، وخل بين
شمر بن ذى الجوشن وبين المسكر، فإنا قد أمرناه بأمرنا، والسلام.

فأقبل شمر بن ذى الجوشن بكتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد، فلما
قدم به عليه فقراه، قال له عمر أمسدت علينا أمراً كنا رجونا أن يصلح! لا
يستسلم والله حسين، إن نفساً أبيه لبين جنبيه، فقال له شمر: أمضى لأمر
أسيرك وتقتل عدوه؟ وإلا فخل بيني وبين الجند والمسكر، قال: لا ولا
كرامة لك وأنا أنولى ذلك. فنهض عمر بن سعد إليه عشية الخميس لتسع
مضين من المحرم.

ثم إن عمر بن سعد نادى يا خيل الله اركبى وأيسرى! فركب فى الناس ثم
زحف نحوهم بعد صلاة العصر، وحسين جالس أمام يته محتبياً بسيفه، إذ
خفق برأسه على ركبتيه، وسمعت أخته زينب الصيحة فندت من أخيها
فقالت: يا أحنى أما تسمع الأصوات قد اقتريت؟ فرفع الحسين رأسه فقال:
إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فى المنام فقال لى: إنك تروح إلينا،
فلطمت أخته وجهها وقالت: يا ويلتى! فقال ليس لك الويل يا أختي،
اسكتى رحمتك الرحمان، وقال العباس بن على: يا أحنى أتاك القوم، قال:
فنهض ثم قال: يا عباس اركب حتى تلقاهم فتقول لهم: ما لكم وما بدا
لكم؟ وتسألهم عما جاء بهم؟. فأتاهم العباس فاستقبلهم فى نحو من
عشرين فارساً، فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العباس:
ما بدا لكم وما تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا
على حكمه أو تنازل لكم، قال: فلا تعجلون حتى أرجع إلى أبى عبد الله
فأعرض عليه ما ذكرتم، فوقفوا ثم قالوا: الله فأعلمه ذلك ثم القنا بما يقول،
فاتصرف العباس راجعاً يركض إلى الحسين يخبره بالخبر ووقف أصحابه
بخاطبون القوم، فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين: كلم القوم إن شئت
وإن شئت كلمتهم، فقال له زهير أنت بدأت بهذا فكأن أنت تكلمهم، فقال
لهم حبيب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه

قتلوا ذرية نبيه وعترته وأهل بيته صلى الله عليه وآله، وعباد أهل هذا المصر
للمجاهدين بالأسلحة والذكاكين الله كثيراً

وأقبل العباس بن علي يركض حتى انتهى إليهم فقال: يا هؤلاء إن أبا عبد الله
يسألكم أن تنصرفوا هذه العشي حتى ينظر في هذا الأمر، فإن هذا أمر لم
يجر بينكم وبينه فيه متطق، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله، فإما رضيته فأتينا
بالأمر الذي تسألونه وتسومونه، أو كرهنا فرددناه. وإنما أراد [الحسين]
بذلك أن يردعهم عنه تلك العشي حتى يأمر بأمره ويوصي أهله.

قال علي بن الحسين: فجمع الحسين أصحابه قرب المساء، فدنوت منه وأنا
مرضى فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه:

أثنى على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء وأحمد على السراء والضراء،
اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن وفقهنا في الدين
وجعلت لنا أسماحاً وأبصاراً وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين.

أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر
ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنى جميعاً غيراً، ألا وإني أظن يومنا
من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإني قد رأيت لكم فتطلقوا جميعاً في حل ليس
عليكم منى ضمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جمللاً ثم تفرقوا في
سوادكم ومداذك حتى يخرج الله، فإن القوم إنما يطلبوني ولو قد أصابوني
لهواً عن طلب غيري.

فقال له إخوته وأبناءه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: لم نفعل؟ لنبقى
بمعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً.

فقال الحسين: يا بني عليل حسيكم من القتل بمسلم، اذهبوا قد أذنت لكم.
قالوا لا والله لا نفعل ولكن نفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا، ونقاتل معك
حتى نرد مورديك، فقيح الله العيش بمعدك.

وقال علي بن الحسين: إني جالس في تلك العشي التي قتل أبي صيحتها،
وعنتي زينب عندي ثم رضى، إذا اعتزل أبي بأصحابه في شجاء له وهو يقول:

يا دهر أف لك من غلبـل كم لك بالإشراف والأصيل
من صاحب أو طالب قبـل والدر لا يفتح باليدـيل
ولما الأمر إلى الجلبـل و كل حى سالك السيل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً ، فعرفت ما أراد فختقتى عبرتى فرددت دعى
ولزمت السكون ، فعلمت أن البلاء قد نزل ، أما عمتى زينب فلم تملك نفسها
أن وثبت نحر ثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه فقالت : واكلاء ليت الموت
أعدمنى الحياة . . اليوم ماتت فاطمة أمى وعلى أبى وحسن أختى ، يا خليفة
المخلصين وثمال الباقيـن .

فقال لها الحسين : يا أختية لا يذهبن حلمك الشيطان ، يا أختية اتقى الله
وتعزى بعزاء الله ، واعلمى أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا
ييقون ، وأن كل شىء هالك إلا وجه الله الذى خلق الأرض بقدرته ويبعث
الخلق فيعمدون وهو فرد وحده ، أبى خير منى ، وأمى خير منى وأختى خير
منى ، ولى ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة . قال فعزها بهذا ونحوه ،
وقال لها : يا أختية إنى أقسم عليك فأبىرى قسمى ولا تشقى علىّ جيباً ولا
تخمشى علىّ وجهاً إنا أنا هلكـت . قال : ثم جاء بها حتى أجلسها عندى
وخرج إلى أصحابه .

فلما أمسى حسين وأصحابه ، قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون
ويتضرعون .

وفى اليوم التالى ، وكان ذلك يوم عاشوراء ، صلى عمر بن سعد الغداة ، ثم
خرج فبين معه من الناس ، بينما عبأ الحسين أصحابه وصلى بهم صلاة
الغداة ، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً ، فجعل زهير بن
القين فى ميمة أصحابه وحبيب بن مظاهر فى مبرة أصحابه ، وأعطى رايته
العباس بن على أخاه ، وجعلوا البيوت فى ظهورهم .

فلما صحبت الحبل الحسين رفع يديه فقال :

اللهم أنت تقضى فى كل كرب ورجائى فى كل شدة ، وأنت لى فى كل أمر

نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك وحية مني إليك عمن سواك، ففرجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة.

فلما دنا القوم من الحسين، عاد فركب فرسه ثم نادى بأعلى صوته يسمع جل الناس:

أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظمكم وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي أعطيتموني النصف، كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم علي سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم، ﴿فاجمعوا أئمتكم وشركاكم ثم لا يكن أئمتكم عليكم غمّة ثم اتفقوا إلي ولا تعظروني﴾ [يونس: ٧١]، ﴿إِنَّ إِلَهِي اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]. ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر الله بما هو أهله وصلى على محمد صلى الله عليه وآله وعلى آليته.

ثم قال: أما بعد، فانسوني فانظروا من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعائيتوها فانظروا، هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ أئست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله، وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عنده؟ أوكيس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوكيس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟ أوكم ييلتكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لي ولاخى فعلمنا سينا شباب أهل الجنة؟ فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدت كذباً مذ علمت أن الله يمتت عليه أهله ويضر به من اختلقه، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتهم عن ذلك أخبركم. سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وأبا سعيد الخدري أو سهل بن سعد الساعدي أو زيد بن أرقم أو أنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله ولاخى، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟

ثم قال لهم الحسين :

فإن كنتم في شك من هذا القول، أفتشكون أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة . أخبروني أطلبوني يقتل منكم قتله؟ أو مال لكم استهلكته؟ أو بقصاص من جراحه؟ فأخذوا لا يكلمونه .

فنادى يا شيت بن ريمي ويا حجار بن أبيجر ويا قيس بن الأشعث ويا يزيد ابن الحارث، ألم تكتبوا إلى أن قد أمنت الثمار واخضر الجنبات وطمت الجمام، وإنما تقدم على جند لك مجند فأقبل؟

قالوا له : لم فعل . فقال : سبحان الله بلى والله لقد فعلتم، ثم قال : أيها الناس إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى ما أمني من الأرض .

فقال له قيس بن الأشعث : أو لا تنزل على حكم بني عمك؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب ولن يصل إليك منهم مكروه .

فقال له الحسين : أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد . عباد الله إنني عذت بربي وربيكم أن ترجسوا، أهوذا بربي وربيكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب .

الحسين يزيدهم الرضا

ثم إن الحر بن يزيد لما زحف عمر بن سعد قال له : أصلحك الله، أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال إي والله قتلاً أيسره أن تسقط الرءوس وتطيح الأيدي، قال أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضى؟ قال عمر بن سعد : أما والله لو كان الأمر إلى لفعلت، ولكن أميرك قد أبى ذلك . قال فأقبل الحر حتى وقف من الناس موقفاً ومعه رجل من قومه يقال له قره بن قيس، فقال : يا قره هل سبقت فرسك اليوم؟ قال لا قال : أما تريد أن

نسقيه؟ قال قرة: فظننت والله أنه يريد أن يتحى فلا يشهد القتال، وكره أن أراه حين يصنع ذلك فيخاف أن أرفعه عليه، فقلت له: لم أسقه وأنا متطلق فساقه، قال: فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه، قال: فوالله لو أنه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين، فأخذ يدنو من حسين قليلاً قليلاً، فقال له رجل من قومه: ما تريد يا بن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذته رعدة، ثم قال إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت، ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين، فقال له: جعلني الله فداك يا بن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسأبرئك في الطريق وجميعتك بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يلفنون منك هذه المنزلة، وإني قد جئتكم تلقياً مما كان مني إلى ربي ومواسياً لك بنفسي، حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟ قال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك، ما أسسك؟ قال أنا الحر بن يزيد، قال: أنت الحر كما سمنتك أمك، أنت الحر إن شاء الله في الدنيا والآخرة، انزل. قال أنا لك فارساً خبير منى واجلاً، أقتلهم على فرسي ساعة وإلى التزول يصير آخر أمرى، قال الحسين فاصنع برحمتك الله ما بدا لك.

فتقدم الحر أمام أصحابه، ثم قال لعمر بن سعد: ألا تقبلون من حسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم فيها فيكم الله من حربه وقتاله؟ قال عمر: لو وجدت إلى ذلك سبيلاً فعلت. فقال:

يا أهل الكوفة لا تمك الهيل والعر، إذ دعوهم حتى إذا أناكم أسلمتموه بعد أن زعمتم أنكم قتلوا أنفسكم دونه، ثم عدوهم عليه لتقتلوه! أسكنتمهم بنفسه وأخفتم بكتفهم وأحطتم به من كل جانب، فمنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع ضرراً، ومنعتموه ونساء وأهل بيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني، ولمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، وهامهم قد صرعهم العطش! بتسما خلفتم محمداً

فى فريته، لا سقاكم الله يوم الظما إن لم تشربوا وتزرعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا فى ساعتكم هذه .

فحملت عليه رجالة لهم ترميه بالنبل ، فأقبل حتى وقف أمام الحسين .

وزحف عمر بن سعد نحوهم ، ثم وضع سهمه فى كبد قومه ثم رمى فقال : اشهدوا أنى أول من رمى .

وحمل شمر بن ذى الجوشن حتى طعن فسطاط الحسين برمحه ، ونادى على بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله ، قال فصاح النساء وخرجن من الفسطاط . قال وصاح به الحسين يا بن ذى الجوشن أنت تدهو بالنار لتحرق بيتى على أهلى حرقك الله بالنار ، فقال له رجل سبحانه الله إن هذا لا يصلح لك ، أتريد أن تعذب بهذا الله وتقتل الولدان والنساء ؟ والله إن فى قتلك الرجال لما ترضى به أميرك ، فجاءه شيث بن رعى فقال : ما رأيت مثلاً أسوأ من قولك ولا موقفاً أقبح من موقفك ، أمر عبياً للنساء صرت ؟ فاستحيا وانصرف .

وكان أول من قتل بالطف (اسم مكان المعركة) من بنى هاشم على بن الحسين .

فشد الحسين عليه حتى وقف عليه وهو مقطع ، فقال قتل الله قوماً قتلوك ، يا بنى ما أجراهم على الرحمان وعلى انتهاك حرمة الرسول ، على الدنيا بعنك العفا ، ثم خرجت امرأة مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادى : يا أغيابه ويا بن أخاه ، فقيل هذه زينب ابنة فاطمة ابنة رسول الله ﷺ فجاءت حتى أگبت عليه ، فجاءها الحسين فأخذ بيدها فردها إلى الفسطاط ، وأقبل الحسين إلى ابنه وأقبل فتبيته إليه فقال : احملوا أخاكم . فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدى الفسطاط الذى كانوا يقاتلون أمامه .

ولما ينس الحسين من نفسه ، ذهب إلى فسطاطه فطلب طفلاً له ليردعه ، فجاءته به أخته زينب فتناولته من يدها ووضعته فى حجره ، فبينما هو ينظر إليه

إذ أتاه سهم فوقه في نحره فذبحه، فأخذ الحسين عليه السلام دمه بكفه ورمى به إلى السماء وقال :

اللهم لا يكن أهون عليك من دم فصيل ناقة صالح، اللهم إن حبست عنا النصر من السماء، فاجعل ذلك لما هو خير لنا، وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين فلقد هون ما يبى أنه بعينك يا أرحم الراحمين .

استشهاد الحسين

ثم قال الحسين :

اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بآبن بنت نبيك .

ثم إن شمر بن ذى الجوشن أقبل في نفر من الرجالة قبل منزل الحسين الذى فيه ثقله ومياله، فمشى نحوه فحالوا بينه وبين رحله .

فقال الحسين :

ويلكم إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد، فكونوا في أمر دنياكم أحراراً ذوى أحساب، امتعوا رحلى وأهلى من طغماكم وجهالكم، فقال ابن ذى الجوشن : ذلك لك يا بن فاطمة . وأقدم عليه بالرجالة منهم : عبد الرحمن الجعفي والقشعم بن عمرو بن يزيد الجعفي وصالح بن وهب اليزنى وسنان بن أنس النخعي وخولى بن يزيد الأصبحي، فجعل شمر بن ذى الجوشن يحرضهم، فمر بأبي الجنوب وهو شك في السلاح فقال له : أقدم عليه، قال : وما يمنعك أن تقدم عليه أنت؟ فقال له شمر ألى تقول ذا؟ قال وأنت لى تقول ذا؟ فاستبأ فقال له أبو الجنوب والله لهممت أن أخضخص السنان في عينك، فاتصرف عنه شمر وقال والله لئن قدرت على أن أهرك لأهرتك .

ثم إن شمر أقبل في الرجالة نحو الحسين، فأخذ الحسين يشد عليهم فبتكشفون عنه، ثم إنهم أحاطوا به، فضر به مالك بن النسر الكندي بسيفه على رأسه بعد أن شتمه، ثم ألقى الحسين عليه السلام قلنسوته ودعا بخارقة

وقلنسوة، فشد رأسه بالحرقرة ولبس القلنسوة واعتم عليها، فرجع عنه شمر
ومن معه إلى مواضعهم، فحكث هنيهة ثم عاد وعادوا إليه وأحاطوا به،
فخرج عبد الله بن الحسن، من عند النساء وهو غلام لم يراهن، فشد حتى
وقب إلى جنب عمه الحسين عليه السلام، فلحقت زينب لتحبسه فأبى، فقال لها
الحسين: احببيه يا أخية، فامتنع امتناعاً شديداً وقال: والله لا أفترق عسى،
وأهوى بحر بن كعب إلى الحسين بالسيف، فقال له الغلام: وملك يا بن
الحيثية أتقتل عسى؟ فضر به بحر بالسيف، فاتفق الغلام بيده فأطنها إلى الجلد،
فإذا هي معلقة، فأخذ الحسين عليه السلام وضمه إليه وقال يا بن أخى اصبر على ما
نزل بك واحتسب في ذلك الخير، فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين.

وأصاب الرماح ضلوع ابن النبی وأثنى بالجراح، فقال شمر ما وقوفكم وما
تنتظرون بالرجل وقد أثخت السهام؟ أحملوا عليه نكلتكم أمهاتكم،
فحملوا عليه من كل جانب، فرماه أبو الجنوب الجعفى فى جبينه، والحسين
ابن نمير فى فيه، وأبو أيوب الغنوى بهم مسموم فى حلقه، فقال عليه السلام:
بسم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وهذا قتيل فى رضى الله.

وكانت ضربة زروعة بن شريك التميمى على كتفه الأيسر، وضربة عمر بن
الحليفة الجعفى على حبل عاتقه، وطعنه صالح بن وهب المزجى على جنبه،
ورماه سنان بن أنس التخمى فى صدره، فوقع على الأرض، فدنا منه عمر
ابن سعد وقال: جزوا رأسه.

وعن جعفر بن محمد بن على قال: وجد بالحسين عليه السلام حين قتل ثلاث
وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة، وجعل سنان بن أنس لا يدينو أحد من
الحسين إلا شد عليه مخافة أن يغلب على رأسه، حتى أخذ رأس الحسين
ومال الناس على الورس والحلل والإبل فنهروها، قال ومال الناس على نساء
الحسين وثقله ومتاعه، فإن كانت المرأة تتنزع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب
عليه فيذهب به منها^(١)



انتهى ذلك النقل لفاجعة مقتل الحسين بن على عليهما السلام من كتاب (مقتل
الحسين) لأبى مخنف، وما ورد فيه لا يختلف فى شيء. وما ورد فى بقية كتب التاريخ

(١) لمؤ مخنف مقتل الحسين.

مثل تاريخ الطبري والإمامة والسياسة لابن قتيبة والبداية والنهاية لابن كثير ومن أراد المزيد فليرجع لكتب التاريخ .

هذه هي القصة الحقيقية لمقتل أبي الأحرار ، أبي عبد الله الحسين ابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، وأهله لعل الورع والتقوى ، بيت النبي الأمين ، الذين اعتنقوهم سيوف بني أمية يوم عاشوراء ، ثم قامت خيولهم يوطأ أجسادهم وقتلت جحافلهم بسلب نسايتهم وجز رموس الشهداء والاحتفال بقتلهم جيش (أمير المؤمنين) يزيد بن معاوية على (الكذاب بن الكذاب الحسين بن علي وشيعته) !!!

ثم هاهو عمر بن سعد بن أبي وقاص يطلب من أصحابه أن يمثلوا بالجسد الطاهر لأبي عبد الله الحسين ريحانة رسول الله ، وأن يوطأ بسنابك الحليل ، فانتدب عشرة منهم للقيام بذلك (المهمة المقدسة) فأنوا فدلسوا الحسين بخيولهم حتى رخصوا ظهره وصدروه .

ثم سبقت نساء بيت النبوة سبلها لیسروا على الجثث الطاهرة ، وما إن مرت زينب عليها السلام بأعبيها الحسين صريعاً حتى صرخت وقالت :

يا محمداه يا محمداه ، صلى عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالعراء مرملاً بالدماء مقطوع الأعضاء ، يا محمداه وبناتك سبلها وفريتك مقتلة نسف عليها الصبا .

ثم قطعت رموس البلقين ، اثنين وسبعين رأساً حملها شمر بن ذي الجوشن وقيس ابن الأشعث وعمر بن الحجاج وعزرة بن قيس ، فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد ، ودخل الناس ، ثم نودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس في المسجد فصعد المنبر فقال :

الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه ، وقتل الكذاب بن الكذاب الحسين بن علي وشيعته .

فلم يفرغ ابن زياد من مقالته ، حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ، وكان من شيعة علي كرم الله وجهه ، وكانت عينه اليسرى ذهبية يوم الجمل مع علي ، فلما كان يوم صفين ضرب علي رأسه ضربة وأخرى على حاجبيه فذهبت عينه الأخرى ، فكان لا يكاد يفرق المسجد الأعظم ، يصلى فيه إلى الليل ثم يتصرف . فلما سمع مقالة ابن زياد قال : يا بن مرجانة ، إن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه . يا بن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتكلمون بكلام الصديقين ؟ فقال ابن زياد : علي به . قال : فوثبت عليه الجلاوزة فأخذوه فقتل وأمر بصلبه في السبخة فصلب هنالك .

ويقتل ابن كثير^(١):

وأرسل عمر بن سعد بحرمه وعياله إلى ابن زياد، ولم يكن بقي من آل الحسين إلا غلام (علي بن الحسين) وكان مريضاً مع النساء، فأمر به ابن زياد ليقتل، فطرح زينب نفسها عليه وقالت: والله لا يقتل حتى تقتلوني، فرق لها وكف عنه.

فأرسلهم إلى يزيد، فجمع يزيد من كان بحضرته من أهل الشام، ثم دخلوا عليه فهزؤوه بالفتح، فقام رجل منهم أحمر أزرق - ونظر إلى وصيفة من بناته - فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه - فقالت زينب: لا ولا كرامة لك ولا له، إلا أن تخرجنا من دين الله. قال: فأعادها الأزرق، فقال له يزيد: كف عن هذا.

فلما رجع الحريم إلى المدينة، خرجت امرأة من بني عبد المطلب ناشرة شعرها وأخضعة كمها على رأسها تلقاهم وهي تكي وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم

يعترنسى ويأهلى بعد مفتقدى

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم

أن تخلفوني بسوء في ذوى رحم

ولك أن تلاحظ أنه لم يجرو أحد من الشعراء على الجهر علناً برثائه للإمام الحسين عليه السلام، حتى أن المؤرخين كانوا يلقون بمسئولية المراثي التي سمعوها على الجن، فيقولون سمعنا صائحاً أو سمعنا الجن يقول، ويا للعجب حيث يقول أبو الفرج: وقد رثى الحسين بن علي - صلوات الله عليه - جماعة من متأخري الشعراء استغنى عن ذكرهم في هذا الموضع كراهية الإطالة، وأما من تقدم فما وقع إلينا شيء رثى به وكان الشعراء لا يقدمون على ذلك مخافة من بنى أمية وخشية منهم^{!!!}.

ثم ذكر شاعراً واحداً قام برثائه من المتقدمين هو سليمان بن قفة حيث قال:

مررت على أبيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلت

ألم تر أن الشمس أضحت مريضة لفقد حسين والبلاد اقشعرت

وكانوا رجلاً ثم صاروا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

أتألتنا قيس فنعطى فقيرها وتقتلنا قيس إذا النمل زلت
وعند غنى قطرة من دمائنا سئطلبها يوماً بها حيث حلت
فلا يعد الله الدهر وأهلها وإن أصبحت منهم برغى تخلت
فإن قتييل العطف من آل هاشم أقل ر^١ المسلمين فذلست
وقبل أن تنتقل إلى الإمام الرابع، على بن الحسين السجاد، زين العابدين، نقبس
من البعقوبي^(١) ما جاء تحت عنوان:

أيام معاوية بن يزيد بن معاوية

ثم ملك معاوية بن يزيد بن معاوية، وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن هشبة بن
ربيعة، أربعين يوماً، وقيل: بل أربعة أشهر، وكان له مذهب جميل، فخطب الناس،
فقال: أما بعد حمد الله والثناء عليه، أيها الناس فإنا بلينا بكم ويلينم بنا، فما لجهل
كراحتكم لنا وطعنكم علينا، ألا وإن جدى معاوية بن أبى سفيان نازع الأمر من كان
أولى به منه فى القرابة برسول الله، وأحق فى الإسلام، سلبق المسلمين، وأول
المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين، وأبا بقية خاتم المرسلين، فركب منكم ما
تعلمون، وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أنه منته وصار رهنًا بعمله، ثم قلد أبى وكان
غير خليف للخير، فركب هواه، واستحسن خطأه، وعظم رجاءه، فأخلفه الأمل،
وقصر عنه الأجل، فقلت منعه، وانقطعت منته، وصار فى حفرته رهنًا بغيره، وأسيرا
بجرمه، ثم بكى، وقال: إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح مقلبه، وقد
قتل عشرة الرسول، وأباح الحرمه، وحرق الكعبة، وما أنا المتقلد أسورك، ولا المتحمل
تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله لئن كانت الدنيا منمنًا لدد نلنا منها حظًا، وإن تكن شركا
فحسب آل أبى سفيان ما أصلبوا منها.

فقال له مروان بن الحكم: سنها فينا عمرة! قال: ما كنت أتقلدكم حيا وميتا، ومتى
صار معاوية بن يزيد بن معاوية مثل عمر، ومن لى برجل مثل رجال عمر. وتوفى وهو
ابن ثلاث وعشرين سنة، وصلى عليه خالد بن يزيد بن معاوية، وقيل بل عثمان بن
محمد بن أبى سفيان، ودفن بدمشق، وكان بها ينزل.

٤- علي بن الحسين السجاد (زين العابدين) (٢٨- ٩٥هـ)

وكان الإمام بعد الحسين بن علي^(١) ابنه أبو محمد علي بن الحسين زين العابدين، وكان مولده بالمدينة سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، أي أنه بقي مع جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سنتين ومع عمه الحسن عشر سنين ومع أبيه الحسين عليه السلام إحدى عشرة سنة وكانت إمامته أربعاً وثلاثين سنة، وتوفي بالمدينة سنة خمس وتسعين للهجرة وله يومئذ سبع وخمسون سنة. ودفن بالبقيع مع عمه الحسن بن علي عليهما السلام.

كان يكنى بأبي محمد، وسيد العابدين، وزين العابدين، والسجاد.

روى أبو القاسم الزمخشري^(٢):

أنه لما جيء إلى المدينة بسبي فارس في خلافة عمر بن الخطاب (١٣- ٢٣هـ/ ٦٣٤- ٦٤٤م) كان في هذا السبي ثلاث بنات ليزدجر، فأمر عمر عليه السلام ببيع البنات الثلاث، فقال الإمام علي، كرم الله وجهه في الجنة: إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من السوق، فسأله أمير المؤمنين عمر: كيف الطريق إلى العمل معهن يا أبا الحسن؟ فقال، كرم الله وجهه: يقومن يا أمير المؤمنين، ومهما بلغ ثمنهن فقم به من يختارهن.

وقد أخذ عمر يرى الإمام، فأخذهن علي، عليه السلام ثم دفع بواحدة لعبد الله ابن عمر، ودفع بالثانية إلى محمد بن أبي بكر، ودفع بالثالثة إلى الحسين، على أن تكون البنات الثلاث زوجات لأحفادهن من العرب. وقد ولدت زوجة الحسين علياً زين العابدين الذي يتسبب إليه كل شريف حسيني على وجه الأرض، فيكون له بذلك من العرب أشرف الأصحاب، إلى جانب أن له في الفرس أكرم الأرحام^(٣)

(١) ربيع الأبرار.

(٢) ابن كثير البداية والنهاية ٩/ ١١٦، ابن خلكان وفیات الأعيان ٣/ ٢٦٧ (بيروت ١٩٦٥م)، أحمد حسن البقورى: علي إمام الأئمة - فللمع ١٩٨٥م ص ١٨٠، عبد الرزاق الموسوي، المجمع السليق ص ١٢، باقر القرشي المجمع السليق ص ٢٢، التنبيه للرجع السابق ص ١٣٩، الصدوق: عيون أخبار الرضا ص ٢٧، البحار ١١/ ٤، العصاد الخليلي سفراء الذهب ١/ ١٠٤، نزعة للجليل ٢/ ١٩٢، زهرة للقول ص ٦.

وروى الصبان القصة على الوجه التالي :

جاء في السيرة الحلبية، لما جرى بينات كسرى، وكن ثلاثاً، مع أسواله
وذخاثره إلى عمر، وقفن بين يديه، وأمر المنادى أن ينادى عليهن، وأن يزيل
تقابين عن وجوههن، فلمتنعن عن كشف تقابين ووكزن المنادى في صدره،
فغضب عمر، ^{رحمته} وأراد أن يعلوهن بالدرة، وهن يبكين، فقال له علي،
كرم الله وجهه : مهلاً يا أمير المؤمنين، فإني سمعت رسول الله ^{صلى الله عليه وسلم} يقول
«ارحموا عزيز قوم ذل، وغنى قوم افتقر» فسكن غضبه، فقال له علي : إن
بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن، فقال له عمر : كيف الطريق إلى
العمل معهن ؟ فقال : يقوّمن، ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن،
فقوّمن وأخذهن علي، رضي الله تعالى عنه، فدفع واحدة لعبد الله بن عمر،
فجاء منها بولده سالم، وأخرى لمحمد بن أبي بكر، فجاء منها بولده
الفضل، والثالثة لولده الحسين، فجاء منها بولده علي زين العابدين،
وهؤلاء الثلاثة فاقوا أهل المدينة علماً^(١)

وقال الراغب الأصفهاني : إن أمير المؤمنين قال لولده الحسين : خذها فستلد
لك سيّداً في العرب، سيّداً في المعجم، سيّداً في الدنيا والآخرة^(٢)



علي بن الحسين في أسرى يزيد

ذكرنا من قبل أن علي بن الحسين ^{عليه السلام} كان الوحيد الذي أفلت من الذبح يوم
عاشوراء من رجالات أهل البيت، وكان أن أسر وسبق إلى طغاة بني أمية؛ حيث يروى
أبو مخنف^(٣) عن حميد بن مسلم قال :

إني لقائم عند ابن زياد حين عرّض عليه علي بن الحسين، فقال له ما اسمك ؟
قال : أنا علي بن الحسين، قال أو لم يقتل الله علي بن الحسين ؟ فسكت .
فقال له ابن زياد : مالك لا تتكلم ؟ قال قد كان لي أخ يقال له أيضاً علي فقتله
الناس . قال إن الله قد قتله . قال : فسكت علي، فقال له مالك لا تتكلم ؟

(١) محمد الصاب إسماعيل الرازي في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين ص ٢١٧

(٢) الراغب الأصفهاني معاصرات الأئمة ١/ ٣٤٧، محمد جواد مغنبة فضائل الإمام علي ص ٢١٨ .

(٣) مقتل الحسين .

«الله يتولى الأنفس حين موتها» [الزمر: ٤٢]. «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله» [آل عمران: ١٤٥]. فقال [زيد الحارسة] اقتله. فقال علي بن الحسين من توكل بهؤلاء النسوة؟ وتعلقت به زينب عمته، فقالت يا ابن زید حسیک منا، أما رويت من دعائنا؟ وهل أبقيت منا أحدا؟ قال فاعتقته فقالت أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لما قتلتني معه. قال وناداه علي فقال: يا بن زید إن كانت بينك وبينهم قرابة فأبعث معهم رجلاً نقياً بصحيحهم بصحبة الإسلام. قال: فنظر إليها ساعة ثم نظر إلى القوم فقال: عجباً للرحم! والله إنى لأظنها ودت لو أنى قتلته أنى قتلتها معه. دعوا الغلام... انطلق مع نسائك.

وفي تلك الفترة التي أمضاها علي بن الحسين في الأسر الأموي، خرج يوماً يمشي في أسواق دمشق، فظليه المنهال بن عمرو، فقال كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ قال أمسينا كمثل بنى إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم. يا منهال أمست العرب تفتخر على المعجم بأن محمداً منها، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها، وأمسينا معشر أهل بيته ونحن مقتولون مشردون، فإنا لله وإنا إليه راجعون مما أمسينا فيه يا منهال.

وروى ابن سعد في طبقاته قريباً من هذا.

أهل البيت

الكاظمين الفیظ والعالمین عن الناس

حدثني محمد بن جعفر وغيره قالوا: وقف علي بن الحسين عليهما السلام رجلاً فشنه فلم يكلمه الإمام، فلما انصرف قال لجلسائه قد سمعتم ما قال هذا الرجل وأنا أحب أن تأتوا معي إليه حتى تسمعوا ردّي عليه، قالوا له نفعل ولقد كنا نحب أن نقول له ونقول، فأخذ نعليه ومشى وهو يقول «والكاظمين الفیظ والعالمین عن الناس والله يحب المحسنين» [آل عمران: ١٣٤]. فعلمنا أنه لا يقول له شيئاً، فخرج حتى أتى منزل الرجل قاتلاً قولوا له هذا علي بن الحسين، فخرج إلينا متوئلاً للشر وهو لا يشك أنه إنما جاءه مكافئاً له علي بعض ما كان منه، فقال له علي بن الحسين عليهما

السَّلام : يا أخى إنك كنت قد وقفت على أنفأ فقلت وقلت ، فإن كنت قلت ما فى فاستغفر الله منه ، وإن كنت قلت ما ليس فى فغفر الله لك ، فقَبِلَ الرَّجُل ما بين عينيهِ وقال بل قلت فىك ما ليس فىك وأنا أحق به .

السجاد نهر المصطاء

وروى المفيد عن ابن إسحاق قال : كان بالمدينة العديد من الأسر التى يأتىهم رزقهم وما يحتاجون إليه لا يدرون من أين يأتىهم ، فلما مات على بن الحسين عليهما السَّلام فقدوا ذلك .

السجاد بفتح السين بين الناس

حج هشام بن عبد الملك فى خلافة أبيه ، فطاف بالبيت فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه ، وقام أهل الشام حوله ، فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن الحسين ، فلما دنا من الحجر ليستلمه تنحى عنه الناس إجلالاً له وهيبة واحتراماً ، وهو فى بزة حسنة ، وشكل مليح ، فقال أهل الشام لهشام من هذا ؟ فقال : لا أعرفه . استقصاه له واحتقاراً لتلايرغب فيه أهل الشام . فقال : الفرزدق :
وكان حاضراً - أنا أعرفه ، فقالوا : ومن هو ؟ فأشار الفرزدق يقول :

هذا الذى نعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خببر عباد الله كلهم	هذا السقى السقى الطاهر العلم
إذا رآته قريش قال قائلها	إلى مكالم هذا ينتهى الكرم
ينسى إلى ذروة العز التى قصرت	عن نيلها حرب الإسلام والعجم
يكاد يمسه عرفان راحته	ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
ينفض حياءً وينفض من مهابته	فما يكلم إلا حين يبتسم
بكفه خبز زان ويحشا عبق	من كف أروع فى عرنيته شم
مشتقة من رسول الله نبعته	طلبت عناصرها والحميم الشيم
ينجاب نور الهدى من نور غمرته	كالشمس بنجاب عن إشراقها النيم

حمال أثقال أقوام إذا فدحوا
 هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
 من جده دان ففهل الأنبياء له
 عم البرية بالإحسان فانتفعت
 كلتا يديه غياث عم نعمهما
 سهل الخليفة لا تخشى بواده
 لا يخلف الوعد ميمون بغيبته
 من معشر حبيب دين ويغضهم
 يستدفع السوء والبلوى بحبيبهم
 مقدم بعد ذكر الله ذكرهم
 إن عد أهل التقى كثرا أئمتهم
 لا يستطيع جواد بعد غايتهم
 هم الغيوث إذا ما أزمة أزمتم
 بأي لهم أن يحل الذم ساحتهم
 لا ينقص العدم بطلا من أكفهم
 أي الخلائق ليست في رقابهم
 فليس قولك من هذا بهائره
 من يعرف الله يعرف أولية ذا

حلو السمائل تحلو عنده نعم
 بجده أنبياء الله قد ختموا
 وفهل أمته دانت لها الأمم
 عنها الغواية والإملاق والظلم
 يستوكفان ولا يعرفهما العدم
 يزينه انتسلان الحلم والكرم
 رحب الفتاة أريب حين يعتمزم
 كفر وقربهم منجى ومعتصم
 ويستزاد به الإحسان والنعم
 في كل حكم ومختوم به الكلم
 أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
 ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
 والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
 خيم كرام وأيد بالندى هضم
 سبآن ذلك إن أثروا وإن عدموا
 لأولية هذا أوله نعم
 العرب تعرف من أنكرت والعجم
 فالدين من بيت هذا ناله الأم

فغضب هشام منه لما عرف بذلك ، وأمر بحبس الفرزدق بعصفان بين مكة والمدينة ،
 فلما بلغ ذلك على بن الحسين ، بعث إلى الفرزدق بئس عشر ألف درهم ، فلم يقبلها ،
 وقال إنما قلت ما قلت له عز وجل ونصرة للحق ، وقياماً بحق رسول الله ﷺ في
 فريته ، ولست أعتاض عن ذلك بشئ . فأرسل إليه على بن الحسين يقول : قد علم الله
 صدق نيتك في ذلك ، وأقسمت عليك بالله لتقبلها ، فتقبلها منه .

الصحيفة السجادية

ترك لنا الإمام على بن الحسين الملقب بـ (زين العابدين) و(السجاد) كنزاً هو مجموع
 أدعيته المسمى بالصحيفة السجادية ، وتقتبس من هذا الكنز دعاء (مكارم الأخلاق) .

اللهم صلّ على محمد وآله، وبلغ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل
اليقين، واثق بنيتي إلى أحسن النيات، ويعملني إلى أحسن الأعمال.
اللهم وقرّ بلفظك نبتي، وصحّح بما عندك يقيني، واستصلح بقدرتك ما فسد
منّي.

اللهم صلّ على محمد وآله، واغثنّي ما يشغلني الإهتمام به، واستعملني بما تسألني
عندك عنه واستغفر لي فيما خلقتني له، واغثنّي وأوسع عليّ في رزقك، ولا تغثنّي
بالنظر، وأعزني، ولا تبتليني بالكبر، وعبدني لك ولا تقصد عبادتي بالمعجب، وأجر
للناس على يدى الحجير، ولا تحفه بالمن، وهب لي معالي الأخلاق، واغصني من
الفخر.

اللهم صلّ على محمد وآله، ولا ترفقني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي
مثلها، ولا تحدث لي عزا ظاهرا إلا أخذت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد، ومتعتني بهدي صالح لا أستبدل به، وطريقة
حق لا أزيغ عنها، ونية رشد لا أشك فيها، وعمرتني ما كان عمري بذلك في طاعتك،
فإذا كان عمري مرتعا للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق مفتك إليّ، أو يستحكم
غصبك عليّ.

اللهم لا تدع خصلة تعاب منّي إلا أصلحتها، ولا عاية أؤنب بها إلا حشتها، ولا
أكرومة في ناقصة إلا أتممتها.

اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وأبدلني من بغضة أهل الشنآن للحية ومن حسد
أهل البغى المودة، ومن غنة أهل الصلاح الثقة، ومن عداوة الأتنيين الولاية، ومن
عقوق ذوي الأرحام الميرة، ومن خذلان الأقربين النصرة، ومن حب المدارين تصحيح
الحق، ومن ردة الملبسين كرم العشرة، ومن مرارة خوف الظالمين حلالة الأمانة.

اللهم صلّ على محمد وآله، واجعل لي يدا على من ظلمني ولسانا على من
خاصمني وظفرا بمن هادنني، وهب لي مكررا على من كابدني وقنوة على من
اضطهمني وتكديما لمن قصبنى وسلامة ممن توعدني، ووقفني لطاعة من سددني
ومتابعة من أرشدني.

اللهم صل على محمد وآله، وسدّني لأن أعارض من غشني بالنصح وأجزى من هجرني بالبر وأثيب من حرمني بالبدل وأكافئ من قطعني بالصلة وأخالف من اغتابني إلى حسن الذّكر، وإن أشكر الحسنة وأغضى عن السيئة.

اللهم صل على محمد وآله، وحلّني بحلّية الصّالحين، والبسني زينة المتقين في بسط العذل وكظم الغيظ وأطفاء النّافرة وحسم أهل الفرقة وإصلاح ذات البين وإفشاء العارفة، وسرّ العالمة، ولين المريكة، وخفض الجناح، وحسن السيرة، وسكون الرّيح، وطيب الخالقة، والسّبق إلى الفضيلة، وإشمار التّفنّن، وترك التّعجّير والإفهام على غير المستحقّ، والقول بالحقّ وإن عزّ واستقلال الخير وإن كثر من قولني وفعلني، واستنكار الشر وإن قلّ من قولني وفعلني، وأكملّ ذلك لي بدوام الطّاعة ولزوم الجماعة ورفض أهل البدع ومستعمل الرأى للختار.

اللهم صل على محمد وآله، واجعل أوسع رزقك عليّ إذا كبرت، وأقوى قوتك فيّ إذا نصبت، ولا تبليّني بالكسل عن عبادتك ولا العنى عن سبيلك ولا بالتعريض لخلاف محبتك، ولا مجامعة من تفرّق عنك، ولا مفارقة من اجتمع إليك.

اللهم اجعلني أصول بك عند الضرورة وأسألك عند الحاجة، وانصّر إليك عند المسكنة، ولا تفتني بالاستعانة بغيرك إذا اضطررت، ولا بالخصوع لسؤال غيرك إذا افتقرت، ولا بالتضرّع إلى من دونك إذا رهبت فأستحقّ بذلك خذلانك ومنعك وإعراضك يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل ما يلقي الشيطان في روعي من التّسني والتّظني والحسد ذكراً لعظمتك، وتفكراً في قدرتك، وتدبيراً على عدوك، وما أجرى على لساني من لفظه فحش أو هجر أو شتم عرض أو شهادة باطل أو اغتياب مؤمن غائب أو سب حاضر، وما أشبه ذلك نطقاً بالحمد لك وإعترافاً في الثّناء عليك، وفعلاتاً في تحميدك وشكركم لتنعمتك واعتزافاً بإحسانك وإحصاء لمنتك.

اللهم صل على محمد وآله، ولا اظلمن وأنت مطيق للدفع عني، ولا اظلمن وأنت القادر على القبض مني، ولا أضلن وقد أمكنتك هدايتي، ولا أفتقرن ومن عنك وسعني، ولا أظنن ومن عنك وجدي.

اللهم إلى مغفرتك وفدت، وإلى عفوك قصدت، وإلى تمهلوك اشتقت،
وفضلك وثقت، وليس عندي ما يوجب لي مغفرتك، ولا في عملي ما أستحق به
عفوك، وما لي بعد أن حكمت على نفسي إلا فضلك، فصل على محمد وآله وتفهل
على اللهم وأنطقني بالهدى، وألهمني التقوى ووقفني للتي هي أركي واستعملني بما
هو أَرْضَى.

اللهم اسلك بي الطريقة الخلى، واجعلني على ملكك أموت وأحيا.

اللهم صل على محمد وآله، ومتعني بالاقتصاد، واجعلني من أهل السداد ومن
أدلة الرشاد، ومن صالحى العباد، وارزقني فوز المعاد وسلامة المرصاد.

اللهم خذ لنفسك من نفسي ما يخلصها، وأبق لنفسى من نفسي ما يصلحها، فإن
نفسى هالكة أو نعضها.

اللهم أنت عدتي إن حزنيت، وأنت متجعي إن حرمت، وبك استغاثي إن كرت،
وعنتك مما فات خلفي، ولما فسد صلاحي، وفيما أنكرت تغيير. فامنن علي قبل البلاء
بالعافية، وقبل الطلب بالجدة، وقبل الهلال بالرشاد، وأقضي مؤونة معرفة العباد،
وهب لي أمن يوم المعاد، وامنني حسن الإرشاد.

اللهم صل على محمد وآله، وادعني بلطفك، واغنني بنعمتك، وأصلحني
بكرمك، وداوني بصنعك، وأظلي في ذوك، وجللني رحك، ووقفني إذا
اشتكت على الأمور لأهدأها، وإذا تشابهت الأعمال لأزكها، وإذا تناقضت الملل
لأرضاها.

اللهم صل على محمد وآله، وتوطني بالكفاية، وامنني حسن الولاية، وهب لي
صدق الهداية، ولا تفتني بالسعة، وامنني حسن الدعة، ولا تجعل عيشي كذا كذا،
ولا ترد دعائي على رد فإني لا أجعل لك هدأ ولا أذعر معك ندأ.

اللهم صل على محمد وآله، وامنني من السرف وحسن رزقي من التلف،
ملكتي بالبركة فيه، وأصب بي سبيل الهداية للبر فيما أنفق منه.

اللهم صل على محمد وآله وأقضي مؤونة الاكتساب، وارزقني من غير احتساب،
فلا أشتغل عن عبادتك بالطلب ولا أحتمل إصر تبعات المكسب.

اللهم صلّ على محمد وآله، وصنّ وجهي بالبسار، ولا تبذلْ جاهي بالإقتار
فأسترزقْ أهلَ رزقك، واستغنى شرار خلقك، فأفنتن بحمد من أعطاني، وأبتلى بذي
من منعتني وأنت من دونهم وليّ الإعطاء والمنع.

اللهم صلّ على محمد وآله وارزقني صحّة في عبادة، وفراغاً في زهادة، وعلماً في
استعمال، وورعاً في إجمال.

اللهم اختمْ بضمك أجلى، وحققْ في رجاء رحمتك أملِي، وسهّلْ إلى بلوغ رحك
سبلي، وحسنْ في جميع أحوالي عملي.

اللهم صلّ على محمد وآله، ونهني لذكرك في أوقات الغفلة، واستعملني
بطاعتك في أيام المهلة، وانهجْ لي إلى محبتك سبلاً سهلاً أكملْ لي بها خير الدنيا
والآخرة.

اللهم صلّ على محمد وآله كأفضل ما صلّيت على أحد من خلقك قبّله، وأنت
مصلّ على أحد بعده، وأتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وفقني برحمتك عذاب
النار.

الإمام السجاد ورسالة الحقوق

قال زين العابدين السجاد:

اعلم أن الله عز وجل أوجب عليك حقوقاً محيطية بك في كل حركة تحرّكتها أو سكتة
سكتتها، أو حال حلتها أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها أو آلة تصرفت فيها. فأكبر
حقوق الله تعالى عليك ما أوجب عليك لنفسه من حقه الذي هو أصل الحقوق، ثم ما
أوجب الله عز وجل عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك، على اختلاف جوارحك،
فجعل عز وجل للمساك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، ولبصرك عليك حقاً،
وليذكرك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفركك عليك حقاً،
فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال. ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقاً:
فجعل لصلواتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك

عليك حقاً، ولأنمالك عليك حقوقاً. ثم يخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوى الحقوق عليك، فأوجبها عليك حقوق أئمتك، ثم حقوق وعييتك، ثم حقوق رحمتك. فهذه حقوق ينشعب منها حقوق^(١)



(١) وقد قامت دار الأصواء للنشر بيروت - لبنان - بطباعة شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين كاملة في جزئين.

(٥) محمد بن علي بن الحسين

(محمد الباقر)

(٥٧-١١٤هـ)

وكان الإمام بعد علي بن الحسين هو محمد بن علي، ولقبه الباقر، أي الذي خاض غمار بحار العلم وسبر أغواره وبقر أعماقه.

ولد عليه السلام بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة، وقبض فيها سنة أربع عشرة ومائة وستة يومئذ سبع وخمسون سنة، وقبره بالقيع من مدينة الرسول عليه وآله السلام.

يصفه ابن كثير^(١) فيقول: وسمى الباقر لبقرة العلوم واستنباطه الحكم، كان ذا كرامات عايشاً صائراً وكان من سلالة النبوة، رفيع النسب عالى الحساب، وكان عارفاً بالخطرات، كثير البكاء والعبرات معرضاً عن الجدال والخصومات. وقال أبو زهرة^(٢):

لقب بالباقر لأنه بقّر العلم بقرًا، أي أظهر مخبائنه وأسراره، وورث علم النبوة عن أبيه وأجداده، وكان مقصد العلماء من كل البلاد الإسلامية، سواء منهم الشيعة والسنة، وكان ممن يقصده سفبان الثورى، وسفبان بن عينة، محدث مكة، وأبو حنيفة.

وعن جابر الجعفي: قال لى محمد بن علي: يا جابر إني لمحزون، وإني لمشتغل القلب. قلت: وما حزنك وشغل قلبك؟ قال: يا جابر، إنه من دخل قلبه صافي دين الله عز وجل شغله عما سواه، يا جابر ما الدنيا؟ ما عسى أن تكون؟ هل هي إلا مركباً ركبته؟ أو ثوباً ليست؟ أو امرأة أحسبها؟ يا جابر، إن المؤمنين لم يطمثوا إلى الدنيا لبقائه فيها، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ولم يصممهم عن ذكر الله ما سمعوا بأفانهم من الفتنة، ولم يصممهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة، ففلزوا بشوائب الأبرار، إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة، وأكثرهم لك معونة، إن نسيت ذكرك وإن ذكرت أعانوك، قوالين بحق الله، قوامين بأمر الله، قطعوا المحبة بهم عز وجل، ونظروا إلى الله وإلى محبته بقلوبهم، وتوحشوا من الدنيا لطاعة محبوبهم، وعلموا أن ذلك من أمر

(١) البداية والنهاية.

(٢) الإمام الصادق.

خالقهم، فأنزلوا الدنيا حيث أنزلها عليهم، كمنزل نزلوه ثم ارتحلوا عنه وتركوه، وكما أصبته في منامك فلما استيقظت إذا ليس في يدك منه شيء، فاحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته.

وعن خلف بن حوشب: قال أبو جعفر (الإمام الباقر): الإيمان ثابت في القلب، واليقين خطرات، فيمر اليقين بالقلب فيصير كأنه زبر الحديد ويخرج منه فيصير كأنه خرقه بالية، وما دخل قلب عبد شيء من الكبر إلا نقص من عقله بقدره أو أكثر منه.

وقال بشر بن الحارث الحافي^(١) سمعت سفيان الثوري يقول: سمعت منصوراً يقول: سمعت محمد بن علي يقول: الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن، فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل استوطناه.

وقال الباقر: إياكم والخصومة، فإنها تغسد القلب، وتورث التفاق.

ويروى الشيخ المفيد^(٢) عن ميمون القداح عن جعفر (الصادق) بن محمد عن أبيه (الباقر) قال دخلت على جابر بن عبد الله رحمة الله عليه بعد أن كف بصره فسلمت عليه فرد السلام ثم قال لي من أنت؟ فقلت: محمد بن علي بن الحسين؟ فقال: إن رسول الله ﷺ وآله بقرئك السلام، فقلت: وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته، وكيف ذلك يا جابر؟ فقال: كنت معه ذات يوم فقال لي: يا جابر لعنك أن تبقى حتى تلقى رجلاً من ولدي فقال له محمد بن علي بن الحسين يهب الله له النور والحكمة، فأقرته مني السلام.

وقد روى أبو جعفر ﷺ أخبار الأنبياء وكتب عنه الناس المغازي والسنن، واعتمدوا عليه في مناسك الحج التي رواها عن رسول الله ﷺ وآله وكتبوا عنه تفسير القرآن، ورووا عنه الخاصة والعامة الأخبر، وناظر من كان يرد عليه من أهل الآراء وحفظ عنه الناس كثيراً من علم الكلام.

بين الخوارج التكفيريين والإمام الباقر

جاء نافع بن الأزرق إلى محمد بن علي فجلس بين يديه فسأله عن مسائل في الحلال والحرام، فقال له أبو جعفر ﷺ في عرض كلامه: «قل لهذه المارقة بم استحلتتم فراق

(١) من أعلام الصوفية.

(٢) الإرشاد.

أمير المؤمنين عليه السلام وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته والقرية إلى الله بتصرته؟! فسبقولون لك إنه حكّم في دين الله، فقلّ لهم قد حكّم الله تعالى في شريعة نبيه عليه السلام رجلين من خلقه فقال تعالى: ﴿فَايْطَوْا حُكْمًا مِّنَ اللَّهِ وَحُكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]. وحكّم رسول الله صلى الله عليه وآله وأله سعد بن معاذ في بنى قريظة، فحكم فيهم بما أمضاه الله، أو ما علمتم أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدياه؟ واشتروط رد ما خالف القرآن من أحكام الرجال، وقال حين قالوا له: حكمت على نفسك من حكم عليك، فقال: ما حكمت مخلوقاً وإنما حكمت كتاب الله، فأين تجد المارقة تضليل من أمر بالحكم بالقرآن واشتروط رد ما خالفه؟! قال نافع بن الأزرق: هذا كلام ما مرّ بسمي قط ولا خطر مني ببال، وهو الحق إن شاء الله.

جوده وكرمه عليه السلام

وكان عليه السلام ظاهر الجود في الخاصة والعامة، معروفًا بالفضل والإحسان مع كثرة عياله وتوسط حاله.

روى الشيخ المفيد عن الحسن بن كثير قال شكوت إلى أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام الحاجة وجفاء الإخوان، فقال: بشّر الأخ أخ يرعك غنياً ويقطعك فقيراً. ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعة دراهم وقال: أخفق هذه، فإذا غدت فأعلمني.

وروى سليمان بن قرق قال: كان أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام يجيزنا بالخمسة دراهم إلى السّماة إلى الألف درهم، وكان لا يملّ من صلة إخوانه وقاصديه ومؤلفيه وراجه.

وروى عنه عن أبياته عليهم السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول «أشدّ الأعمال ثلاثة: مواساة الإخوان في المال، وإتصاف الناس من نفسك، وذكر الله على كل حال».

حديثي حديث أبي

وسئل عليه السلام عن الحديث يرسله ولا يسنده، فقال إذا حدثت الحديث فلم أسنده،

فَسَدَى فِيهِ أَمِي عَنْ جَدِّي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ جَبْرِائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وكان يقول : ما ينقش الناس مثا ١٩٩ نحن أهل بيت الرّحمة وشجرة النّوة ، ومعدن الحكمة ، وموضع الملاكمة ومهبط الوحى .

وكانت مدّة إمامته وقيامه مقام أبيه قبل وفاته تسع عشرة سنّة .



الإمام الباقر والأوضاع السياسية

بحلو أحياناً لبعض المؤرخين أن يقدموا للناس صورة مغايرة للواقع عن حياة أئمة أهل البيت ، ومن بينهم الإمامان الجليلان السجاد والباقر عليهما السلام ، ثم جاء من بعدهما الإمام الصادق جعفر بن محمد الذى عاصر نهاية الحقبة الأموية وبداية الحقبة العباسية .

مدرسة المؤرخين (الحريين) لا ترى من حركة التاريخ إلا الحروب والمعارك وإحصاء عدد الجماجم التى حملت على الرماح من بلد إلى بلد ، ويتجاهلون الأهمية البالغة للعلماء والمفكرين ، ومن باب أولى لأئمة أهل البيت عليهم السلام ، فى إرشاد الأمة وتوجيهها نحو جادة الطريق وفى صناعة حاضرها ومستقبلها .

ولو تأملنا فى رسالة الحقوق التى كتبها الإمام السجاد وأرسلها إلى شيعته وأنصاره نرى أنها تجمع علوم السياسة والأخلاق والاجتماع فى مكان واحد ، إذ لا فارق بين هذه المجالات ، وهذا هو الشمول الحقيقى للإسلام .

كما أن نمو الكيان الشيعى وتطوره ورسوخ أقدامه داخل المجتمع المسلم ، سمح له أن يودى دوره فى مقارعة الظلم الأموى مثلاً فى تلك الثورات المناهضة للحكم الأموى ، التى عجلت بسقوط هذا النظام ، مثل ثورة التوابين ، وثورة المختار ، وثورة الشهيد العظيم زيد بن على بن الحسين وهو ان الله عليه .

وإذا كانت السياسة عند البعض لا تعدو كونها حمل السيف والمطالبة بالسلطة فهى فى مدرسة أهل البيت مفهوم شامل تبدأ من العبادة وتمر بالأخلاق والاجتماع والعلم

والثقافة، وفي النهاية تأتي السلطة لتتوج التطور الاجتماعي نحو الأفضل، لا لتصادر عليه، كما أن السلطة لا يمكنها أن تصنع مجتمعاً صالحاً من العدم.



أهل البيت في العصر العباسي

تجاوز العباسيون في عداوتهم لأهل البيت عليهم السلام كل ما فعله الأمويون، بل زادوا عليهم، وسقط هنا بعض النماذج ليطلع القارئ الكريم على حجم المظالم التي تعرض لها أهل البيت وشيعتهم على مر العصور.

يحكي المؤرخون أن العباسيين تحالفوا في مبدأ أمرهم مع الجناح الحسن لأهل البيت الذي كان يرغب في الثورة على بني أمية والإطاحة بهم، وعقدت عدة اجتماعات من بينها اجتماع الأبناء الذي بايع فيه أبو جعفر المنصور - الذي صار ثاني الخلفاء العباسيين - محمد بن عبد الله بن الحسن الذي كان يظن أنه مهدى لأهل البيت، وقد بايع أبو جعفر لمحمد بن عبد الله مرتين، والعصبة على ابن جرير الطبري^(١) وأبو الفرج الأصفهاني^(٢)، والذي روى عن عبد الله بن سعد الجهنى، قال: بايع أبو جعفر محمداً مرتين، أنا حاضر أحدهما بمكة في المسجد الحرام، فلما خرج أسك له بالركاب ثم قال أما إنه لو أنقض الأمر نسب لي هذا الموقف؟.

ثم قال ابن جرير الطبري^(٣):

لما استخلف أبو جعفر (المنصور، الخليفة العباسي الثاني)، لم يكن له همة إلا طلب محمد والمساءلة عنه وما يريد، فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً كلهم يخليه فيسأله عنه، فيقولون يا أمير المؤمنين قد علم أنك عرفته بطلب هذا الشأن قبل اليوم، فهو يخافك على نفسه وهو لا يريد لك خلافاً ولا يحب لك معصية.

ثم أرسل أبو جعفر للخبرين للتفتيش عنه (اشتري أبو جعفر رقيقاً من رقيق الأعراب ثم أعطى الرجل منهم البعير والبميرين وفرقهم في طلب محمد في ظهر المدينة فكان الرجل منهم يرد الماء كاللؤلؤ والفضة فيفرون عنه).

(١) تاريخ الرسل والملوك والتاريخ الطبري، ج ٧ ص ٥١٧.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٢٠٩.

(٣) تاريخ الرسل والملوك والتاريخ الطبري، ج ٧ ص ٥١٩.

ويعتد أن أعبته الحبل والوسائل في الإسلام بهم، أمر بالقبض على بقية أبناء الحسن ابن علي عليه السلام، وهم الحسن وإبراهيم ابنا الحسن بن الحسن، والحسن بن جعفر بن الحسن ابن الحسن، وسليمان وعبد الله ابنا فاود بن الحسن بن الحسن، ومحمد وإسماعيل وإسحاق أبناء إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وعباس بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسن بن الحسن العلوي، وأمر الخوارج بوضعهم في الأخلال، فهؤلاء أحد عشر من أبناء الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم جميعاً سلام الله ورحمته ورضوانه. وتوفي علي بن الحسن وهو ساجد في حبس أبي جعفر، فقال عبد الله: أبغظوا ابن أخي فإنني أراه قد نام في سجوده، قال فحركوه فإذا هو قد فارق الدنيا.

حبسهم أبو جعفر ستين ليلة ما يدرون ليلاً ولا نهاراً، ولا يعرفون وقت الصلاة إلا بتسبيح علي بن الحسن الذي قال، إن لنا في الجنة درجة لم تكن لنبلغها إلا بهذه البلية أو بما هو أعظم منها، وإن لأبي جعفر في النار موضعاً لم يكن ليبلغه حتى يبلغ منا مثل هذه البلية أو أعظم منها.

وأني بهم أبو جعفر فنظر إلى محمد بن إبراهيم بن الحسن فقال أنت ديساج الأصفر^(١) قال نعم، قال: أما والله لأقتلك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك، ثم أمر بأسطوانة مبنية ففرقت ثم أدخل فيها قبينة عليه وهو حي.

وكان محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أخلصهم لأهمهم، وكان به هوى لهم وكان عبد الله بن الحسن يحبه محبة شديدة وأمه فاطمة بنت الحسين؟ حيث روى أبو الفرج وابن جرير الطبري نقلاً عن محمد بن هاشم بن البريد مولى معاوية، قال: كنت بالريذة فأتني بني الحسن مغلولين معهم العثماني كأنه خلق من قضة، فأقعدوا فلم يلبثوا أن خرج رجل من عند أبي جعفر المنصور فقال أين محمد بن عبد الله العثماني؟ فقام فدخل، فلم نلبث أن سمعنا وقع السياط، قال فأخرج كأنه زنجي قد غيرت السياط لونه وأسالت دمه وأصاب سوط منها إحدى عينيه فسالت، وأقعد إلى جنب أخيه عبد الله بن الحسن فعضش فاستسقى، فقال عبد الله بن الحسن من يسقى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماء؟ فتحاماه الناس وجاءه خراساني بماء فسلمه إليه فشرب.

قال ابن جرير^(٢): فضر به أبو جعفر مائة وخمسين سوطاً، فبلغت منه كل مبلغ وأبو جعفر ينفذ عرضه وعرض ابنته الطاهرة سبيلة بيت العصمة والنبوة، فأصاب سوط

(١) من شفة حسنة.

(٢) تريح الرسل والملك «تريح الطير» ج ٧ ص ٥١٢.

منها وجهه، فقال له ويحك اكفف عن وجهي فإن له حرمة من رسول الله ﷺ، قال فأخبرني أبو جعفر، فقال للجلاء الرأس الرئس، فضر به على رأسه نحواً من ثلاثين سوطاً، ثم دعا بساجور من خشب شبيه به في طوله - وكان طويلاً - فشد في عنقه وشدت به يده ثم أخرج به مفيداً، فلما طلع به من حجرة أبي جعفر وثب إليه مولى له فقال: بأبي أنت وأمي ألا ألوثك برذائي؟ قال بلى جزيت خيراً فوالله لشفوف إزارى أشد على من الضرب الذي نالني، ألقى عليه المولى الثوب ومضى به إلى أصحابه المحبوسين.

كنز المنصور العباسي

هلك المنصور الدوانيقي^(١) الذي تحكى الحكايات شحه وحيه لجمع المال عام مائة وثمان وخمسين وعمره خمس وستون سنة، أي بعد الإمام الصادق عليه السلام بعشرة أعوام، وقال لأبيه المهدي قبل موته (يا بني إني قد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلي، وجمعت لك من الموالى ما لم يجمعه خليفة قبلي)، وترك له إلى جانب هذه الأموال كنزاً من نوع أغرب من الخيال، كنزاً من الأجساد الطاهرة لشهداء الطالبين، وكما يروى ابن جرير الطبري^(٢) أيضاً:

(لما عزم المنصور على الحج، دعا ريطة بنت أبي العباس زوجة المهدي، وكان المهدي بالرى قبل شخص أبي جعفر، فأوصاها بما أراد وعهد إليها ودفع إليها مفتاح الخزان وأحلفها وأكد الأيمان ألا تفتح بعض تلك الخزائن ولا تطلع عليها أحداً إلا المهدي، ولا هي، إلا أن يصح عندها موته، فإذا صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما ثالث حتى يفتح الخزانة، فلما قدم

(١) جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي: كان فعل بن العباس هبة وشجاعة وحزماً وورعاً وجبروتاً، جساماً للعلم، تاركاً للهو واللعب، كامل العقل، جيد للمشاركة في العلم والأدب، فقه النفس، قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه، وهو الذي ضرب أبا حنيفة على القضاة، ثم سجنه فمات بعد أيام، وقيل إنه قتله بالسهم لكونه أفتى بالخروج عليه، وكان فصيحاً بليغاً مفوهاً، خليفة للإمام، وكان غلبه في الحرص والفيل. فلقب «أبا الدوايق» لحاسنه العمل والصناعة على الدوايق والحيات. طبعة دار الجبل، ١٩٩٨ م ٣١٥

(٢) تاريخ الطبري ج ٨ ص ١٠٦.

المهدى من الرى إلى مدينة السلام، دفعت إليه المفتاح وأخبرته بعهد المنصور، فلما مات وولى المهدي الخلافة، فتح الباب ومعه ربطة فإذا أزج^(١) كبير فيه جماعة من قتلى الطالبين، وفي أفانهم رفاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة، فلما رأى ذلك المهدي ارتعاش لما رأى، وأمر فحطرت لهم حفرة فدفنوا فيها وعمل عليهم دكان^(٢)

المتوكل العباسي، ٢٢٢-٢٤٧ هجرية
وقدمه لضمير الإمام الحسين عليه السلام

إنه جعفر بن هارون الرشيد، وكان كما يقول أبو الفرج الأصمغني^(٣):

«شديد الرطة على آل أبي طالب، غليظاً على جماعتهم، مهتماً بأمورهم، شديد الغيظ والحقد عليهم وسوء الظن والتهمة لهم، وافق له أن عبيد الله بن يحيى بن خلفان^(٤) يسئ الرأي فيهم، فحسن له القبيح في معاملتهم، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس قبله، وكان من ذلك أن كرب^(٥) قبر الحسين، وعفى آثاره ووضع على سائر الطرق مسال^(٦) له لا يجدون أحداً زاره إلا أثم به فقتله أو أنهكه عقوبة.

(١) ضرب من الأنية.

(٢) نزه الطبرى ج ٨ ص ١٠٤.

(٣) مقتل الطالبين، وفتاوى الطبرى ج ٩ ص ١٨٥.

(٤) وزيد.

(٥) قام بهدمه وحرقه.

(٦) قاط حرفة مسلحة.

(٦) جعفر بن محمد (الصادق)

(٨٢-١٤٨هـ)

وكان مولده عليه السلام بالمدينة سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة، وتوفي في شوال من سنة ثمان وأربعين ومائة وله خمس وستون سنة، ودفن بالبيع مع أبيه وجده وعمه الحسن عليهم السلام، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وجد أمه عبد الرحمن ابن أبي بكر، فعلى هذا ولده أبو بكر عليه السلام مرتين، وكانت إمامته عليه السلام أربعاً وثلاثين سنة، ووصى إليه أبوه أبو جعفر عليه السلام وصية ظاهرة، ونص عليه بالإمامة نصاً جلياً.

روى محمد بن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام قال: «لما حضرت أبي الوفاة قال: يا جعفر، أوصيك بأصحابي خيراً؟ قلت: جعلت فداك، والله لأدعنهم والرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحداً».

الشيخ أبو زهرة والإمام الصادق عليه السلام

يقول الشيخ أبو زهرة^(١):

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد عام ٨٠ هـ ومات سنة ١٤٨ هـ وكان مولده ووفاته بالمدينة المنورة، حيث تلقى علوم الحديث والقرآن والتفسير والمنطق، ولم تقف علومه عند دراسة الفقه والحديث والقرآن، فقد شغل عقله أيضاً بعلم الكون وما اشتمل عليه إجابة لقوله تعالى ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]. وكان تلميذه جابر بن حيان الطرطوسي قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق، وهي خمسمائة رسالة، ومهما كان الخلاف حول صحة نسبتها، فإننا نستطيع أن نقرر مطمئنين أن الإمام جعفر كان له علم بالكونيات وعنى بدراستها.

(١) الإمام الصادق.

ثم يقول الشيخ أبو زهرة^(١):

ما أجمع علماء الإسلام على اختلاف طوائفهم كما أجمعوا على فضل الإمام الصادق وعلمه، فأئمة السنة الذين عاصروه تلقوا عنه وأخذوا، وأخذ عنه مالك وبقية طبقة كسفيان بن عيينة وسفيان الثوري وغيرهم كثير، كما أخذ عنه أبو حنيفة واعتبره أعلم الناس وأعلمهم باختلاف الناس، وقد تلقى عنه الحديث رواية طائفة كبيرة من التابعين منهم يحيى بن سعيد الأنصاري وأبواب السختياني وغيرهما، ولم يكن علمه مقصوراً على الحديث وفقهه، بل كان يدرس علم الكلام والأخلاق. والمعتزلة - ومن نهج منهاجهم - يعتبرونه من أئمتهم في فهم العقائد على ضوء العقل. كما أشرنا إلى دراسته لعلم الكون.

ويتحدث الشيخ أبو زهرة عن الإلهام والكسب في علم الإمام الصادق، فيقرر أن الإشراف النفسي هو سبيل للحكمة وطريق للمعرفة الصادقة، وأن الإلهام المجرد من غير دراسة وتعمق هو من قبيل الخوارق وليس من قبيل السنن الكونية الدارجة، ثم ينقل آراء الفرقاء حول علم الإمام الصادق الذي يرى الإمامية أنه علم إلهامي وليس بكسبي بينما يرى أبو زهرة أنه علم كسبي فيه إشراف.

الإمام الصادق وتلاميذه الأئمة

يقول المستشار عبد الحليم الجندي^(٢)، بعد أن عدد أسماء تلاميذ الإمام من العلماء: سفيان الثوري وعمرو بن عبيد مؤسس مدرسة الاعتزال وأبو حنيفة وابن أبي ليلى ومالك بن أنس إمام المدينة ويحيى بن سعيد وابن عيينة، ولتدع لهذه الأئمة وصف مكانتهم من الإمام:

● يقول مالك بن أنس: «كنت أرى جمعهم بن محمد، وكان كثير الدعابة والتبسم، إذا ذكر عنده النسي اخضر واصفر، ولقد اختلقت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على طهارة ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد والزهاد الذين يخشون الله». ولقد حججت معه سنة، فكلما استوت به راحلته عند الإحرام وهم بالتلبية، انقطع صوته وكاد أن يخر عن راحلته،

(١) الإمام الصادق.

(٢) الإمام الصادق.

فقلت يا بن رسول الله ألا بد أن تقول ؟ قال كيف أجرو أن أقول لبيك
وأخشي أن يقول الله عز وجل لا ليك ولا سمعك .

• ويدخل الإمام المسجد فيأتي إليه تلميذ من تلاميذه ، ابن أبي ليلى قاضي
الكوفة يقول له الإمام : أنت ابن أبي ليلى القاضي ؟ ويجب نعم ، فينبه
الإمام إلى جلال خطر القضاء بقوله لا تأخذ مال هذا وتعطيه هذا ، وتفرق
بين المرء وزوجه ، لا تخاف في ذلك أحداً . . فما تقول إذا جرى بأرض من
قضة وسماه من قضة ثم أخذ رسول الله يديك فأوقفك بين يدي ربك فقال يا
ربي هذا قضى بغير ما قضيت !! .

• لما سئل ابن أبي ليلى أكنت تتركنا قولاً أو قضة لرأى أحد؟ أجاب : لا إلا
لرجل واحد هو جعفر بن محمد الصادق . . وابن أبي ليلى قاضي بني أمية
وبني العباس وهم أعداء الإمام .

• ولما استفتى أبو حنيفة في رجل أوصى للإمام ، بإطلاق الوصف ، وقال
هي جعفر بن محمد ، فهذا إعلان لتفرد بالإمامة في عصره .

• ولئن كان مجداً لمالك أن يكون أكبر أسياف الشافعي أو مجداً للشافعي أن
يكون أكبر أساتذة ابن حنبل ، فإن التلمذة للإمام الصادق قد سريبت بللجد
فقه المذاهب الأربعة لأهل السنة ، أما الإمام الصادق فمجده لا يقبل الزيادة
ولا نقصان ، والإمام يبلغ للناس كافة علم جده رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم ، والإمامة مرتبة ، وتلمذة أئمة السنة له تشرف منهم لمقاربة
صاحب المرتبة .

• انقطع أبو حنيفة إلى مجالس الإمام طوال عامين فضاعها بالمدينة ، وفيها
يقول «لولا العمان لهلك النعمان» وكان لا يخاطب صاحب المجلس إلا
بقوله «جعلت فداك يا بن رسول الله» .

ويقول المستشار الجندي^(١) أيضاً :

ومناظرات الإمام ليست قاصرة على الفقهاء والمحدثين ، بل هي أيضاً مع
الزنادقة والملاحدين ، مثل الديصاني وابن أبي العوجاء الذي رآه الإمام بالحرم

فقال له : ما جاء بك ؟؟ فقال عادة الجسد وسنة البلد ولن يصر ما فيه الناس من الجنون والخسوف ورمي الحجارة ، فقال له الإمام : أنت بعد على عتوك وصلائك يا عبد الكريم ؟؟ فذهب يتكلم ، فقال الإمام لا جدال في الحج ونقض رفاة من يده وقال : «إن يكن الأمر كما تقول وليس كما تقول ، نجونا ونجوت ، وإن يكن الأمر كما تقول وليس كما تقول نجونا وهلكنا»^(١) وأى صبر في حرية الفكر كمثل هذا الصبر من الإمام الصادق وحيث تؤدى المتأسك .

كما يقول المستشار الجندى^(٢) :

ولم يصطدم مذهب الفقهي بمذهب فقهي للسلطان ، فبنو أمية وبنو العباس حتى عهده لم يكن لهم مذهب فقهي ، فلم تظهر المذاهب رسمياً إلا في أخريات القرن الثاني للهجرة ، عندما صبر أبو يوسف مذهب أبي حنيفة مذهب السلطان ، واستعصمت المدينة بفقهها ، ثم ظهر الشافعي في أواخر القرن الثاني ، كما أن الاعتزال لم يظهر إلا في عصر المأمون في فاتحة القرن الثالث ، وبهذا أتيح للإمام في مجلسه العلمي واقتداره الذي يسلم به الجميع أن يرسى في أمة وأطمئنان قواعد منهج علمي ما يزال يعبر القرون باعتباره فتحاً من الفتح التي فتحها الله على البشر ، وفحوى المنهج أن العلم مشاهدة ونزاهة فكرية في استخلاص النتائج ، لا يقبل الله سواها من عالم أو متعلم .

ثم يورد المستشار الجندى بعض خصائص المنهج العلمي للإمام الصادق^(٣) :

ومن أدوات التعمق والتخصص ، فالعلم لا يعطيك بعضه إلا أن تعطيه كلك ، فأبان بن تغلب ووزارة بن أعين متخصصان في الفقه ، يفتيان الناس في مسجد الرسول ، وحمزان بن أعين حجة في علوم القرآن ، ومومن الطاق للكلام ، أي علم التوحيد ، وهشام بن الحكم للكلام في العقائد ، والإمام وأبان بن عثمان للكلام في الاستطاعة وما إليها .

(١) وهذا هو المثل الذي اتبعه ديكرت في جملته حول الإيمان بالله في بداية عصر التنوير .

(٢) الإمام الصادق ص ٢٥٦

(٣) للرجع عنه ص ٢٤٧ .

لم يكن منهج الإمام الصادق عليه السلام قاصراً بحال على علوم الفقه والشريعة، بل كان منهجاً علمياً جامعاً، قدم للأمة الإسلامية وللعالم أجمع عدداً لا يستهان به من النوابع، ومن بينهم جابر بن حيان مؤسس علم الكيمياء، حيث يقول المستشار الجندی^(١):

وربما كان الكلام المقول عن جابر بن حيان أوضح كلام في الدلالة على المنهج التجريبي الذي تعلمه في مجلس الإمام أو من كتب الإمام . يخاطب جابر الإمام في مقدمة كتابه الأحجار بقوله «وحق سيدي لولا أن هذه الكتب باسم سيدي صلوات الله عليه لما وصلت إلى حرف من ذلك إلى الأبد...» ويقول جابر في كتابه الخواص «اتعب أولاً تعباً واحداً، واعلم ثم اعمل، فإنك لا تصل أولاً ثم تصل إلى ما تريد»، ويقول في كتابه السبعين «من كان درياً مجرباً كان عالماً حقاً، ومن لم يكن درياً لم يكن عالماً، وحسبك بالدربة في جميع الصنائع أن الصانع الدرب يحلق وغير الدرب يعطل...» ويحصل جابر طريقته في عبارته المأثورة «عملته يدي ويعقل ويحسنته حتى صح وامتحنته فما كذب»، وفي هذا المقام يقول أستاذ الفلسفة الإسلامية المعاصر الدكتور زكي نجيب محمود «فلو شئت تلخصاً للمنهج الديكارتي كله، لم نجد خيراً من هذا النص الذي أسلفناه عن جابر» .

● وعندما توضع أقوال جابر في القرن الثاني من الهجرة، إلى جوار أقوال الحسن بن الهيثم (٣٥٤-٤٣٠ هـ) بعد أكثر من قرنين - وقد عمل في خدمة الدولة الفاطمية، وهي من دول الشيعة - تتأكد لنا طريقة التجربة والاستخلاص التي سلكها الإمام الصادق وأتقن العمل بها ووصفها جابر والحسن بن الهيثم، ويشهد بها من أهل أوروبا وداير^(٢) فيقول:

«كان الأسلوب الذي توخاه المسلمون سبب تفوقهم في العلم، فإنهم تحققوا أن الأسلوب النظري لا يؤدي إلى التقدم، وأن الأمل في معرفة الحقيقة معقود بمشاهدة الحوادث فانها، ومن هنا كان شعارهم في أبحاثهم هو

(١) الإمام الصادق عليه السلام ص ٢٧٠ .

(٢) المتراخ بين العلم والدين .

(الأسلوب التجريبي)، وهذا الأسلوب هو الذي أرشدتهم إلى اكتشاف علم الجبر وغيره من علوم الرياضة والحياة، وإننا نتلهش حينما نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من ثمرات العلم في هذا العصر.

ثم يذكر المستشار الجندی^(١):

أن جابراً يقرر إذ يقسم بحق الإمام، أنه استرشد في طريقته هذه به، وأن علمه هو سبب توفيقه، وأن ممارسة جابر لطريقته مع إقرار الإمام له قد هبطتها مدرسة أبي حنيفة للإمام، إذ نهبت القياسيين على وجوب ضبط القياس بوضع حدود له واستبعاد ما ليس منه.

قبض أبو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام وهو ابن خمس وستين سنة في عام ثمان وأربعين ومائة ١٤٨هـ، وعاش بعد أبي جعفر (محمد بن علي الباقر) عليه السلام أربعاً وثلاثين سنة.



(٧) موسى بن جعفر (الكاظم)

(١٢٨ - ١٨٣ هـ)

سابع أئمة أهل البيت، ذلك الإمام المتحن المصطهد، المحتول شهيداً غريباً على يد طغاة بني العباس.

وكان مولده عليه السلام بالأبواء سنة ثمان وعشرين ومائة، وقبض عليه ببغداد في حبس السندی بن شاهك لست خلون من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وله يومئذ خمس وخمسون سنة. وكانت مدة إمامته بعد أبيه خمساً وثلاثين سنة.

وكان يكنى أبا إبراهيم وأبا الحسن وأبا علي، ويعرف بالعبد الصالح وينعت أيضاً بالكاظم

مات أبو جعفر المنصور عام مائة وثمان وخمسين، أي بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام بعشرة أعوام، أي أن الإمام الكاظم أمضى عشرة أعوام من إمامته في ذلك العهد حيث كان المنصور يرسل الجواسيس لتأنيه بأخبار الإمام الكاظم عليه السلام عنه يتمكن من قتله.

ثم جاء من بعد المنصور ابنه المهدي الذي مكث في الخلافة عشر سنين، قام باعتقال الإمام الكاظم أنماها ثم أطلقه، ثم خلفه ابنه الهادي الذي مكث سنة وشهرين قبل أن يموت مسموماً على يد أمه - وفقاً للروايات التاريخية - وجاء من بعده أخوه هارون الملقب بالرشيد عام ١٧٠ هـ فأعاد اعتقال الإمام الكاظم سلام الله عليه، وكان ينقله من سجن إلى سجن، فسجنه أولاً في البصرة عند عيسى بن جعفر، ثم سجنه عند الفضل ابن الربيع، ثم عند الفضل بن يحيى، وأرسل الإمام إلى الرشيد من سجنه يرسله فيها: يا هارون، ما من يوم هراء اتقضى عنى، إلا اتقضى عنك من السراء مثله، حتى يجتمع أنا وأنت في دار يخسر فيها الميطلون.

وكان الذي تولى قتله عليه السلام في سجون العباسيين السندی بن شاهك الذي وضع له سماً في طعام قدمه إليه، ويقال إنه جعله في رطب أكل منه فمات في اليوم الثالث.

وللإمام الكاظم مع هارون الرشيد أخيل كثيرة، ذكرها الشيخ الصدوق^(١)، منها أن الرشيد قال له: كيف جوزتم للناس أن ينسبواكم إلى رسول الله ﷺ ويقولوا لكم يا أبناء رسول الله وأنتم أبناء علي؟ فالمرء ينسب لأبيه وليس لأمه!

فأجابه الإمام: لو أن النبی نشر، وخطب إليك كريمتك، هل كنت تحببه؟

قال الرشيد: سبحان الله، وكيف لا أحبيه؟

قال الإمام: ولكنه لا يخطب إلي ولا أحبيه، لأنه ولدني ولم يلدك.

ولما مات موسى عليه السلام أدخل السندی بن شاهك عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد، وفيهم الهيثم بن عدي وغيره، فنظروا إليه لا أثر به من جراح ولا خفق، وأشهدهم على أنه مات حتف أنفه، فشهدوا على ذلك، ثم أخرج ووضعه على الجسر ببغداد وتودى هذا موسى بن جعفر قد مات فانتظروا إليه، فجعل الناس يتفرسون في وجهه وهو ميت، ثم حمل فدفن في مقابر قريش في باب التين، وكانت هذه المقبرة لبني هاشم والأشراف من النسل قديماً.



(٨) الإمام علي بن موسى (الرضا)

(١٤٨ - ٢٠٢ هـ)

وكان الإمام بعد أبي الحسن موسى بن جعفر ابنه أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام، وكان مولده بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة، وقبض بطوس من أرض خراسان [مشهد، إيران الآن] في صفر من سنة ثلاث ومائتين وله يومئذ خمس وخمسون سنة وكانت مدة إمامته وقيامه بعد أبيه في خلافته عشرين سنة.

كان أعلم أهل زمانه، ما سئل عن شيء إلا أجاب عنه.

قالوا له: يا بن رسول الله، الناس يروون عن جديك أنه قال: خلق الله آدم على صورته، فما رأيك؟

قال الإمام: مر رسول الله ﷺ برجلين يتساiban، يقول أحدهما للآخر قبح الله وجهك ووجهها بشبهك، فقال النبي ﷺ للساب: «لا تقل هذا، فإن الله خلق آدم على صورته».

وسأله سائل عن قول جعفر الصادق: لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين. فقال الإمام: من يزعم أن الله يخلق أفعالنا لم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر. ومن زعم أن الله فوض أمر الخلق والرزق إلى حجاج، فقد قال بالتفويض، والقتال بالجبر كافر، والقتال بالتفويض مشرك، أما الأمر بين الأمرين فهو وجود السبيل إلى إثبات ما أمره الله به، وترك ما نهى عنه، أي أن الله أقدره على فعل الشر وتركه، وفعل الخير وتركه، وأمر بهذا ونهاه عن ذلك.

الرضا ﷺ وولاية عهد المأمون

قال ابن جرير الطبري^(١):

وفي هذه السنة ٢٠١ هـ للهجرة، جعل المأمون علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب ولي عهد المسلمين والخليفة

(١) تزيح الرسل والملوك «تزيح الطبري» ج ٨ ص ٥٦٨.

من بعده، وسماء الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأمر جنده بطرح السواد وليس ثياب الخضر، وكتب بذلك إلى الأفاق.

ثم ذكر:

أن عيسى بن محمد بن أبي خالد بعد انصرافه من عسكره إلى بغداد، إذ ورد عليه كتاب من الحسن بن سهل «وزير المأمون» يعلمه أن أمير المؤمنين قد جعل على بن موسى بن جعفر بن محمد ولي عهده من بعده، وذلك أنه نظر في بني العباس وبني علي فلم يجد أحداً هو أفضل ولا أروع ولا أعلم منه، وأنه سملها الرضا من آل محمد، وأمره بطرح لبس السود ولبس ثياب الخضر وذلك يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، ويأمره أن يأمر من قبله من أصحابه والجند والقواد بالبيعة له، وأن يأخذهم بلبس الخضر في أتبيتهم وقتلتهم وأعلامهم، ويأخذ أهل بغداد جميعاً بذلك، فلما أتى عيسى الخبر، دعا أهل بغداد إلى ذلك على أن يجعل لهم رزق شهر واليقي إذا أدركت الغلة، فقال بعضهم نبيع ونلبس الخضر، وقال بعضهم لا نبيع ولا نلبس الخضر ولا نخرج هذا الأمر من ولد العباس وإنما هذا مسبب من الفضل بن سهل، فمكتوا بذلك أياماً، وغضب ولد العباس من ذلك واجتمع بعضهم إلى بعض وتكلموا فيه وقالوا نولي بعضنا ونخلع المأمون، وكان المتكلم في هذا والمختلف والمتقلد له إبراهيم ومنصور ابنا المهدي، فأظهر العباسيون ببغداد أنهم يابعدوا إبراهيم بن المهدي بالخلافة ومن بعده ابن أخيه إسحاق بن موسى المهدي، ثم اختطفوا ونهاروا حتى إنهم لم يصلوا الجمعة يوماً.

ثم ذكر الطبري^(١) في أحداث عام ٢٠٣ هـ خبر موت علي بن موسى الرضا:

وكان ذلك في آخر صفر، فأمر به المأمون فدفن عند قبر الرشيد، وكتب المأمون في شهر ربيع الأول بموت (الإمام) الرضا بما دخل عليه من الغم بمحبته، وكتب إلى بني العباس والموالي وأهل بغداد يعلمهم موت علي بن موسى، وأنهم إنما ظنوا بيعته له من بعده ويسألهم الدخول في الطاعة، فكتبوا إليه بأعظم ما يكتب به إلى أحد

(١) تاريخ الرسل والملوك «تاريخ طبري» ج ٨ ص ٥٦٨.

لماذا استعلن المأمون بالإمام الرضا عليه السلام ولما للعهد؟

التابع للأحداث يرى أن ولادة خلافة المأمون كانت ولادة عسرة، جاءت عن طريق حرب ضروس دارت رحاها بينه وبين أخيه محمد الملقب بالأمين، تلك الحرب التي استمرت من عام ١٩٣ حتى عام ١٩٨ للهجرة، وما إن استلم المأمون الخلافة حتى انتهت ثورة محمد بن إبراهيم بن طباطبغا بقيادة أبي السرايا، وهي ثورة موالية لأهل البيت، تلك الثورة التي طال أمدها على غير المعهود واتسع مداها وهددت الدولة العباسية بالانهيار^(١)

وهكذا وجد المأمون العباسي نفسه أمام حالة انشقاق وتفسخ للدولة العباسية، وكان الصراع يشتمل بين الإخوة في كل مرحلة من مراحل انتقال السلطة، سواء بين الرشيد وأخيه المهدي، أو بين الأمين والمأمون، بينما يعيش المسلمون البسطاء أنعم أيامهم. فهل كانت استعانة المأمون بالإمام الرضا مناوره سياسية أم بسبب تشيحه؟

مشهد

الآن تعد مدينة مشهد من أهم مدن إيران، والسبب في ذلك احتضنها للجثمان الطاهر للإمام الرضا عليه السلام، بينما اندثر موضع قبر هارون الرشيد ولا أحد يكرت بإحياء ذكره أو زيارته، وهذا هو حال ملوك الدنيا من أصحاب البطش والقوة والجبروت، الذين نذل لهم أعتاق الرجال ما بقيت لهم السلطة والجاه والمال، ثم يذهب ذكرهم أدراج الريح يوم أن تذهب عنهم تلك السلطة، وصلى الله على العظيم «ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولقناكم ورزاه طهوركم»

[الأنعام: ٩٤].



(٩) محمد بن علي بن موسى (الجواد)

(١٩٥ - ٢٢٠هـ)

وكان الإمام بعد الرضا علي بن موسى عليهما السلام، ابنه محمد بن علي المرتضى بالنصر عليه والإشارة من أبيه إليه وتكامل الفضل فيه، وكان مولده عليه السلام في شهر رمضان سنة خمس وتسعين ومائة، وقبض ببغداد في ذى القعدة سنة عشرين ومائتين وله يومئذ خمس وعشرون سنة، وكانت مدة خلافته لأبيه وإمامته من بعده سبع عشرة سنة.

وكان المأمون قد شغف بأبي جعفر (محمد بن علي المرتضى) عليه السلام لما رأى من فضله مع صغر سنه وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يسلموه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان، فزوجه ابنته أم الفضل وحملها معه إلى المدينة وكان متوقفاً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره.

ولما أراد المأمون أن يزوجه ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام، بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم واستكبروه وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام، فخاصوا في ذلك واجتمع منهم أهل بيته فقالوا له ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن نقيم على هذا الأمر الذي قد عزمنا عليه من تزويج ابن الرضا، فلأننا نخاف أن يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله ونترع منا عز قد ألبسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت، حتى كفانا الله المهم من ذلك، فإله الله أن تردنا إلى غم قد انحسر عنا، وأصرف رأيك عن ابن الرضا وأعدل إلى من نراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره. فقال لهم المأمون: أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتهم القوم لكان أولى بكم، وأما ما كان يفعله من كان قبلي بهم، فقد كان قاطعاً للرحم أعوذ بالله من ذلك، ووالله ما نعت على ما كان مني من استخلاف الرضا، ولقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه عن نفسه

قأبي، وكان أمر الله قدرا مقدورا، وأما أبو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنه والأعجوبة فيه بذلك، وأما أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلموا أن الرأي ما رأيت فيه.

ثم أقبل على أبي جعفر عليه السلام فقال له: أخطب يا أبا جعفر؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال له المأمون: أخطب جعلت فداك لعنك، فقد رخصت لنفسي وأنا مزوجك أم الفضل ابنتي وإن رغم قومك لذلك.

فقال أبو جعفر عليه السلام: الحمد لله إقراراً بنعمته ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحدانيته، وصلى الله على محمد سيد برئته والأصفياء من عترته. أما بعد: فقد كان من فضل الله على الأنام أن أعانهم بالحلل من الحرام، فقال سبحانه: ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيَّامِي مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ بَيْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٢). ثم إن محمد بن علي بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد عليهما السلام، وهو خمسمائة درهم جيافاً، فهل زوجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟ قال المأمون: نعم قد زوجتك أبا جعفر أم الفضل ابنتي على هذا الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟ قال أبو جعفر عليه السلام قد قبلت ذلك ورضيت به.

فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم في الخاصة والعامة.

قال الريان: ولم نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه أصوات الملاحين في محاوراتهم فإذا الحدم يجرون سفينة مصنوعة من قضة مشدودة بالحبال من الإبريسم على عجل مملوءة من الغالية، فأمر المأمون أن تخطب لحي الخاصة من تلك الغالية^(١) ثم مدت إلى دار العامة فطُيِّبوا منها ووضعت الموالد فأكل الناس وخرجت الجواز إلى كل قوم على قدرهم.

ثم نهض القوم وودعوه ومضى عليه السلام من وقته إلى المدينة، فلم يزل بها إلى أن أشخصه المعتصم - الخليفة العباسي بعد المأمون - في أول سنة عشرين ومائتين إلى بغداد، فأقلم بها حتى توفي في آخر ذي القعدة من هذه السنة، فدفن في ظهر جدته أبي

(١) نوع من المطر الشمين.

الحسن موسى عليه السلام في مقابر فريش (الكاظمية الآن في بغداد)، وكان له يوم قبض خمس وعشرون سنة وأشهر. وكان منعوتاً بالمتجيب والمرئسي، وخلف بعده من الولد علياً الإمام من بعده وموسى وفاطمة وأمامة ابنتيه، ولم يخلف ذكراً غير من سمّيناه.

وقال محمد جواد مغنّية^(١):

قد تجتمع النبوة مع صغر السن بدليل قوله تعالى ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبًّاً﴾ [مريم: ١٢]. وقوله تعالى ﴿فَأُحْضِرَتْ لَهُنَّ آيَاتُهُ فَأَتَيْنَهُنَّ آيَاتُهُنَّ فَكَفَّ عَنْهُنَّ لِئَلَّا يُكَلِّمُنَّ كَلِمَةً مِنْهَا وَلَهُنَّ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٨].
عبدُ الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً ﴿٣٥﴾ [مريم: ٢٩ - ٣٠].



(١٠) علي بن محمد بن علي الرضا (الإمام الهادي)

(٢١٢ - ٢٥٤هـ)

وكان الإمام بعد أبي جعفر عليه السلام ابنه أبا الحسن علي بن محمد ثبوت النص عليه بالإمامة والإشارة إليه من أبيه بالخلافة.

وكان مولده بصرياً بالقرب من المدينة للنصف من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومائتين وتوفي بسر من رأى - سامراء - في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين وله يومئذ إحدى وأربعون سنة وأشهر.

وكان المتوكل قد أشخصه مع يحيى بن هرثمة بن أعين من المدينة إلى سر من رأى فأقام بها حتى مضى لسبيله وكانت مدة إمامته ثلاثاً وثلاثين سنة.



(١١) الحسن العسكري

(٢٢٢ - ٢٦٠ هـ)

وكان الإمام بعد أبي الحسن بن محمد عليهما السلام ابنه أبا محمد الحسن بن علي وقد اجتمعت صفات الفضل والعلم فيه من العلم والزهّد وكمال العقل والعصمة والشجاعة والكرم وكثرة الأعمال القربة إلى الله، وقد نص عليه أبوه الإمام الهدي وأشار بالإمامة له.

وكان مولده بالمدينة في شهر ربيع الآخر من سنة اثنين وثلاثين ومائتين.

كنيته أبو محمد ولقبه العسكري لأنه كان يسكن في سامراء بمحلة تعرف بمحلة العسكر. وقبض يوم الجمعة لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين وله يومئذ ثمان وعشرون سنة، ودفن في داره بسر من رأى في البيت الذي دفن فيه أبوه عليه السلام. وكانت مدة إمامته ست سنين.

يروى الشيخ المفيد ^(١): كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان على الضياع والخراج - (قم)، فجرى في مجلسه يوماً ذكر العلوية ومذاهبهم، وكان شديد الكره لهم والانحراف عنهم فقال: ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكبره عند أهل بيته وبني هاشم كافة، وتقديمهم إياه على ذوى السن منهم والخطر، وكذلك كنت حاله عند القواد والوزراء وعامة الناس، فأذكر أنني كنت يوماً على رأس أبي (عبيد الله بن خاقان) وهو يوم مجلسه للناس، إذ دخل حجابهم فقالوا: أبو محمد ابن الرضا بالباب، فقال بصوت عال: اتفئوا له، فتعجبت مما سمعت منهم ومن جساتهم أن يكتوا رجلاً بحضرة أبي، ولم يكن يكتى عنده إلا خليفة أو ولي عهد أو من أمر السلطان أن يكتى فدخل رجل أسمر حسن القامة جميل الوجه جيد البدن حديث السن له جلالة وهيبة حسنة، فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطى، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقواد، فلما دنأ منه عاتقه وقيل وجهه وصدّره، وأخذ يده وأجلسه على مصلاه الذي

كان عليه، وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه، وجعل يكلمه ويقديه بنفسه وأنا متعجب مما أرى منه، إذ دخل حجاباً وخاصة قواده، فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين إلى أن يدخل ويخرج. فلم يزل أبي مقبلاً على أبي محمد يحدثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة فقال حينئذ له: إذا شئت جمعني الله فذاك، ثم قال لحجابه: خذوا به خلف السماطين لا يراه، هذا يعني الموفق، فقام وأبى فعاتقه ومضى، فقلت لحجابه أبي وغلماته: ويلكم من هذا الذي كنتموه بحضرة أبي وفعل به أبي هنا الفعل؟ فقالوا: هنا علوي يقال له: الحسن بن علي يعرف بـ «ابن الرضا»، فازدت تعجباً، ولم أزل يومئذ ذلك قلقاً مفكراً في أمره وأمر أبي وما رأيته منه، حتى كان الليل وكانت عادته أن يصلي العتمة ثم يجلس فينظر فيما يحتاج إليه من المؤامرات وما يرفعه إلى السلطان. فلما صلى وجلس جئت فجلست بين يديه وليس عنده أحد فقال لي: يا أحمد، ألك حاجة؟ فقلت: نعم يا أبتى فإن أفتت سألتك عنها؟ فقال: قد أفتت، قلت: يا أبتى من الرجل الذي رأيته بالغداة به ما فعلت من الإجلال والكرامة والتجبل، وفديته بفلسك وأبريك؟

فقال: يا بني ذاك إمام الرافضة الحسن بن علي المعروف بـ «ابن الرضا»، ثم سكت ساعة وأنا ساكت، ثم قال: يا بني لو زالت الإمامة عن خلفائنا بنى العباس ما استحلها أحد من بني هاشم غيره لفضله وعفافه وهدية وصيافته وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه رأيت رجلاً جزلاً نبيلاً فاضلاً فازدت قلقاً وتفكيراً وغبطاً على أبي وما سمعت منه فيه ورأيت من فعله به، فلم يكن لي هم بعد ذلك إلا السؤال عن غيره والبحث عن أمره. فما سألت أحداً من بني هاشم والقواد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس، إلا وجدته عنده في غاية الإجلال والإعظام وللحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه، فعظم قدره عندي إذ لم أر له ولياً ولا عدواً إلا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه.

ولما اعتل بُعث إلى أبي أن ابن الرضا قد اعتل، فركب من ساعته إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته فيهم تحرير، وأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من الخطبيين فأمرهم بالاختلاف إليه وتفقد صباح مساء، فلما كان بعد ذلك يومين أو ثلاثة أخبر

أنه قد ضعف، فأمر المختبئين بلزوم داره، وبعث إلى قاضى القضاة والقضاة فأحضرهم مجلسه وأمره [قاضى القضاة] أن يختار عشرة ممن يوثق به فى دينه وورعه وأمانته فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً، فلم يزالوا هناك حتى توفى عليه السلام فلما ذاع خبر وفاته صارت سر من رأى ضجة واحدة وعطلت الأسواق وركب بنو هاشم والقواد وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سر من رأى يومئذ شبيهةً بيوم القيامة، فلما فرغوا من تهيشته بعث السلطان إلى أبى عيسى بن المتوكل بأمره بالصلاة عليه، فلما وضعت الجنازة للصلاة عليه، دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه فعرضه على بنى هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتاب والقضاة والمعدلين وقال: هذا الحسن بن على بن محمد بن الرضا، مات حتف أنفه على فراشه، وحضره من خدم أسير المؤمنين وثقاته فلان وفلان وفلان ومن القضاة فلان وفلان، ومن المختبئين فلان وفلان، ثم غطى وجهه وصلى عليه، وأمر بحمله، وخرجنا وهو على تلك الحال والسلطان يطلب أثراً لولد الحسن بن على إلى اليوم وهو لا يجد إلى ذلك سيلاً، وشيعته مقبضون على أنه مات وخلف ولداً يقوم مقامه فى الإمامة.

ومرضى أبو محمد عليه السلام فى أول شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين، ومات فى يوم الجمعة لثمان ليال خلون من هذا الشهر فى السنة المذكورة، وله يوم وفاته ثمان وعشرون سنة، ودفن حيث دفن أبوه من دارهما بسر من رأى^(١)

والآن يوجد ضريح الإمامين الهادى والعسكرى فى مدينة سامراء بالعراق، والنى كانت تعرف بمحلة العسكر.



(١٢) محمد بن الحسن العسكري (المهدي المنتظر)

(٢٥٥ - ٣٢٨ هـ)

وخلف الإمام الحسن العسكري ابنه الإمام المهدي المنتظر، وكان أبوه قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت وشدة طلب سلطان الزمان له واجتهاده في البحث عن أمره، ولما شاع من مذهب الشيعة الإمامية فيه، وعرف من انتظارهم له، فلم يظهر ولده عليه السلام في حياته ولا عرفه الجمهور بعد وفاته. وجرى على أهل الإمام الحسن العسكري أبي محمد عليه السلام بسبب ذلك كل عظيمة من اعتقال وحبس وتهديد وتصغير واستخفاف وذل، ولم يظهر السلطان منهم بطلان.

يعتقد الإمامية أن الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، هو المهدي المنتظر الذي اختفى عن الأنظار بعد مولده سلام الله عليه، ولا يعرف أحد مكانه على وجه التحديد، أما ما يقوله البعض من أنه دخل في كهف أو في سرداب فكلام لا أصل له ولا سند، وللمهدي سلام الله عليه غيتان، غيبة صغرى وغيبة كبرى.

ابتدأت الغيبة الصغرى في السنة التي توفي فيها والده الإمام العسكري عليه السلام عام ٢٦٠ هـ، وانتهت عام ٣٢٩ هـ، وكان له فيها سفراء أربعة هم:

عثمان بن سعيد العمري الأسدي، وقد كان وكيلاً للإمام الهادي، ثم للإمام العسكري، ثم للإمام محمد المهدي عليهم السلام.

ثم محمد بن عثمان بن سعيد العمري الأسدي، حيث قام بأمر السفارة بعد وفاة أبيه مدة تقارب الأربعين عاماً حتى وفاته عام ٣٠٥ هـ.

ثم الحسين بن روح، الذي قام بأمر السفارة منذ وفاة محمد بن عثمان العمري حتى وفاته عام ٣٢٦ هـ.

وأخيراً علي بن محمد السمرى وقد قام بسفارته لمدة ثلاث سنوات انتهت بوفاته في ١٥ شعبان ٣٢٩ هـ.

والمعروف أن هؤلاء السفراء الأربعة دفنوا بعد وفاتهم في مدينة بغداد، ومشاهدتهم معلومة مشهورة إلى يومنا الحاضر.

ثم ابتدأت الغيبة الكبرى بتاريخ ١٥ شعبان ٣٢٩ هـ بعد وفاة السفير الرابع ، الذي قال عندما سئل عمن يخلفه بهذا الأمر : (الله أمر هو بالغه) وفيه بيان لما أعلمه به الإمام المنتظر - عجل الله تعالى فرجه - ببداية الغيبة الكبرى المستمرة إلى يومنا هذا .

الغيبة والعقل

من الناحية العقلية لا نرى ثمة دليلاً على استحالة أن يستند عمر إنسان خلقه الله تبارك وتعالى طوال هذه الفترة الزمنية ، وقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً قبل أن يأخذهم الطوفان وهم ظالمون .

أما ما يدعيه البعض من أن انتظار الغائب حتى يرجع يعوقنا عن العمل والإصلاح فهو أيضاً كلام لا ينهض على ساقين ؛ إذ إن العائق عن العمل من أجل الإصلاح يتمثل في انحراف المسلمين عن جوهر دينهم ، وعدم استخدام المسلمين لعقولهم ، وانشغالهم بحروبهم ومؤامراتهم الداخلية التي تنفق فيها المليارات من أموال المسلمين بينما يتضور الملايين من المسلمين جوعاً وجهداً ومرحاً .

المسلمون أنفقوا المليارات في حرب العرب ضد إيران ، ثم غزو العراق للكويت ، وبخلوا بها على إصلاح التعليم في بلدانهم ، بينما ينتظر اليهود مسيحهم ، وينتظر النصارى عودة المسيح إلى الأرض ، ولم يكن هذا حائلاً بينهم وبين السيطرة على العالم .

الاعتقاد بنية المهدي وبالسعي لتوحيد الأرض من أجل ظهوره ولحمل الأرض عدلاً بعدما ملكت ظلماً وجوراً هي عقيدة إيجابية تحفز النفس على العمل وتملؤها بالأمل وتقول للمؤمنين الصابرين ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [الفصحى: ٣] وهو سبحانه قادر على نصرهم ﴿ وَيَوْمَذِي نَفِخُ فِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [نصر الله] [الروم: ٤-٥] .

الفصل الخامس

نشأة المذاهب الإسلامية والاجتهاد عند الشيعة

وقبل أن ننقل إلى الجدل الدائر حول بعض التفاصيل الفقهية، نود أن نلفت انتباه القارئ الكريم إلى الطريقة التي نشأت بها المذاهب الفقهية والتي أفضت بنا الآن إلى وجود أربعة مذاهب، يمتدّد البعض أنها قديمة قدم التاريخ الإسلامي، بينما تقودنا قراءة التاريخ إلى نتيجة مختلفة من تلك الصورة السائدة في الوجدان الإسلامي العام.

لقد شكّل العصر العباسي، وتحديدًا فترة خلافة أبي جعفر المنصور، نقطة التحول التي أدت إلى إبراز هذه المذاهب عن طريق دفعها إلى الواجهة - طوعًا أو كرهًا - ونتيجة غيرها من خلال الوسائل نفسها والأساليب التقليدية التي اعتاد عليها النظام السياسي آنذاك.

لقد شكّلت ثورة الخس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، والانتصاف الواسع حول هذه الثورة، والدور الذي لعبه الفقهاء في دعمها، نقطة تحول، دفعت أبا جعفر المنصور إلى اتباع سياسة وضع اليد على المؤسسة الفقهية وإدماجها في النظام السياسي عن طريق وسائل الترغيب والترهيب.

فقد وقف الكثير من فقهاء ذلك العصر موقف التأييد، بل والمشاركة الفعلية في هذه الثورة وقد ذكرهم صاحب مقاتل الطالبين:

الفتحية ابن هرمز الذي خرج محمولاً في محفة وقال ما في قتال [لا أستطيع القتال]، ولكن أحب أن يتأسي بي الناس.

وقال مالك بن أنس كنت آتي ابن هرمز فيأمر الجارية فتغلق الباب وترخي الستر ثم يذكر أول هذه الأمة ويذكر العدل، ثم يبكي حتى تخضل لحبته. قال ثم خرج مع محمد بن عبد الله ليقنتدي به الناس.

كما خرج ابن عجلان مع محمد بن عبد الله بن الحسن، فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة [من قبل أبي جعفر المنصور] قبله، فدخلت عليه فقلت له: كيف ترى رأي أهل

البصرة في رجل قبيد الحسن البصري؟ قال: شر والله. قال فقلت إن ابن عجلان بهذه -
يعني المدينة - كالحسن بتلك، فتركه.

أما مالك بن أنس فقد أتى بالخروج مع محمد بن عبد الله، فلما قيل له إن في أعناقنا
بيعة لأبي جعفر، قال إنما بایعتهم مكرهين وليس على مكره بين.

وخرج معه مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وابنه عبد الله بن مصعب وكان
شاعراً وكان يقول الشعر في محمد ويحرض الناس بذلك.

وخرج أبو بكر بن أبي سبرة الفقيه الذي يروي عنه الواقدي مع محمد بن عبد الله
ومعه راية له.

وكان ممن خرج مع محمد بن عبد الله يزيد بن هرمز وعبد الواحد بن أبي هرون مولى
الأزد وعبد الله بن عامر الأسلمي، وذكر أن محمداً خطب الناس فذكر شيئاً فقال وهذا
فارتكم عبد الله بن عامر الأسلمي يشهد على ذلك، فقام فشهد على ما قال.

ولما قتل محمد، تغيب عبد الله بن عطاء فمات متوارياً، فلما خرج نعشه، بلغ خبره
جعفر بن سليمان، فأنزله من نعشه فصلبه ثم كلم فيه فأنزله بعد ثلاثة أيام وأذن في
دفنه.

وخرج معه عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير الذي يروي عنه عبد الله بن مصعب
والضحاك بن عثمان وكان امراً صادق، فأتى به أبو جعفر فقال له أين المال الذي كان
عندك؟ قال دفعته إلى أمير المؤمنين. قال ومن أمير المؤمنين؟ قال محمد بن عبد الله بن
الحسن رحمة الله وصلواته عليه. قال أو بایعته؟ قال إي والله كما بایعته أنت وأخوك
وأهلك هؤلاء الفسرة. قال يا بن اللخنة، قال ابن اللخنة من قعنت عنه مثل أمك
سلامة. قال اضربوا عنقه، فضربت عنقه.

كما خرج عبد الله بن عمر بن العمرى مع محمد بن عبد الله هو وأخوه أبو بكر بن
عمر فلم يزل معه حتى انقضى أمره وقتل، فاستخفى عبد الله بن عمر، ثم طلب فوجد
فأتى به أبو جعفر فأمر بحبسه فحبس في الحطيق سنين.

أما سفهان الثوري الفقيه الشهير فقال: إن يرد الله بهذه الأمة خيراً يجمع أمرها على
هذا الرجل. قال قلت: ما علمتك إلا قد سررتني قال سبحانه الله! وهل أدركت خيار

النفس إلا الشبهة، ثم ذكر زيداً وسلمة بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وأبا إسحاق السبيعي ومنصور بن المعتمر والأعمش.

مثلت للجموعة التي ذكرنا أسماءها والتي اصطفيت خلف النفس الزكية محمد بن عبد الله نخبة الأمة، التي جمعت أحفاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواء من أبناء الحسن أو من أبناء الحسين عليهم السلام، وأحفاد عمر بن الخطاب وأحفاد الزبير ابن العوام، وبقية فقهاء المدينة المنورة، كما أنها جمعت كل الاتجاهات الفكرية والفقهية الفاعلة على الساحة يومها، سواء كان فقه أهل البيت ممثلاً في أبناء الإمام الصادق ومجديداً في شخص الإمام الكاظم موسى بن جعفر سلام الله عليه وعلى آبائه الذي شارك في التحرك، ومالك بن أنس وابن عجلان ويزيد بن هرمز وغيرهم من فقهاء أهل المدينة، ومتكلمى المعتزلة مثل واصل بن عطاء وعمر بن عبيد والزيدية.

موقف أبي حنيفة

يقول أسد حيدر في كتابه^(١): إن أبا حنيفة قتل بسم أبي جعفر المنصور، واختلفت آراء المؤرخين في سبب ذلك، وهل كان هذا القتل بسبب عدم قبوله القضاء فحبسه أبو جعفر فمات في سجنه؟ وهناك من يقول إن المنصور هدده بالضرب فقبل القضاء على كره ثم مات بعد أيام، وهناك من يقول، إن أبا جعفر استقدمه من الكوفة لأنه اتهم بالتنسيع لإبراهيم بن عبد الله بن الحسن؛ حيث أعلن انضمامه له وأغنى بوجود الخروج مع إبراهيم، حيث روى أبو الفرج الأصفهاني^(٢) عن عبد الله بن إدريس قال سمعت أبا حنيفة وهو قائم على درجته ورجلان يستفتياه في الخروج مع إبراهيم، فقال لهما: اخرجوا.

كما يذكر أسد حيدر: قال الحسن بن زياد اللؤلؤي: سمعت أبا حنيفة وقد سئل من أنفه من رأيت أنفه من جعفر بن محمد الصادق

موقف مالك بن أنس

ذكر ابن قتيبة^(٣):

أن أبا جعفر لما استقلعت له الأمور، واستولى على السلطان خرج حاجباً إلى

(١) الإمام الصادق والمذابح الأربعة ج ١ ص ٣١٩.

(٢) مقتل الطالبيين.

(٣) الإمامة والسياسة ج ٢

مكة، وذلك في سنة ١٤٨ هـ. فلما كان بمضى، أتاه الناس يسلمون عليه، ويهنئون بما أنعم الله عليه، وجاءه رجال الحجاز من قريش وغيرهم، وفقهاؤهم وعلمائهم ممن صاحبه وجامعه على طلب العلم وملازمة الفقه ورواية الحديث، فكان فيمن دخل عليه منهم مالك بن أنس، فقال له أبو جعفر: يا أبا عبد الله إنى رأيت رؤيا، فقال مالك: يوفق الله أمير المؤمنين إلى الصواب من الرأي ويلهمه الرشاد من القول ويعينه على خير الفعل، فقال أبو جعفر: رأيت أنى أجلسك في هذا البيت فتكون من عملاء بيت الله الحرام، وأحمل الناس على علمك وأعهد إلى أهل الأمصار يوفدون إليك وافدهم ويسلمون إليك رسلهم في أيام حجهم، لتحملهم من أمر دينهم على الصواب والحق إن شاء الله، وإنما العلم علم أهل المدينة وأنت أعلمهم، فقال مالك: أمير المؤمنين أعلى عينا وأرشد رأيا وأعلم بما أتى وما ينذر، وإن أذن لى أن أقول قلت، فقال أبو جعفر: نعم، فحقيق أنت أن يسمع منك ويصدر عن رأيك، فقال مالك: يا أمير المؤمنين إن أهل العراق (أى الشيعة) قالوا قولاً تعدوا فيه طورهم، ورأيت أنى خاطرت بقولى لأنهم لعل ناحية، وأما أهل مكة فليس بها أحد وإنما العلم علم أهل المدينة كما قال الأمير، وإن لكل قوم سلفاً وأئمة، فإن رأى أمير المؤمنين - أعز الله نصره - إقرارهم على حالهم فليفعل، فقال أبو جعفر: أما أهل العراق فلا يقبل أمير المؤمنين منهم صرخاً ولا عدلاً، وإنما العلم علم أهل المدينة، وقد علمنا أنك إنما أردت خلاص نفسك ولجاتها، فقال مالك: فأعفى عنيك، فقال أبو جعفر: قد أعفك أمير المؤمنين، وإم الله ما أجد بعد أمير المؤمنين أعلم منك ولا أفقه.

ثم قال ابن تقيّة^(١):

ودكروا أنه هاج بالمدينة هيج في ابتداء أيام أبي جعفر، فبعث إليها ابن عمه جعفر بن سليمان بن العباس ليسكن هيجها ويجدد بيعة أهلها، فقدمها وهو يتوقد ناراً على أهل الخلاف لهم، فأظهر الغلظة والشدة، وسطا بكل من ألد في سلطتهم وأشار إلى المنازعة لهم وأخذ الناس بالبيعة . . . وكان

(١) الإمامة والسياسة ج ٢ ص ١٧٧، ١٧٩.

مالك لقبض عليه وورعه محسونا من قبل الحاقدين والחסدين، فдسوا إلى جعفر بن سليمان من قال له إن مالكاً يقتى الناس أن البيعة لا تحل ولا تفرمهم لأنهم مكروهون عليها، وزعموا أنه يقتى بذلك أهل المدينة أجمعين لحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ارفع عن أمسى الخطأ والنسيان وما استكروا عليه، فعظم ذلك على جعفر بن سليمان واشتد الأمر عليه، فدس لمالك من يتحقق من صحة الخبر، فأفناه بالفتوى نفسها، فقبض عليه جعفر بن سليمان وضربه سبعين سوطاً، وبلغ الخبر إلى أمى جعفر المنصور فعظم عليه الأمر وأرسل إلى مالك من يستدعيه إلى بغداد لفتائه، فاعتذر إليه مالك، فكتب إليه أبو جعفر ليلتقى به فى موسم الحج المقبل، فلما وصل أبو جعفر إلى الحج - وكان هذا عام ١٦٣ هـ - والتقى مالكاً ورحب به وقربه إليه، قال له: والله الذى لا إله إلا هو يا أبا عبد الله ما أمرت بالذى كان ولا علمت قبل أن يكون ولا رغبته إذ بلغنى، قال مالك: حمدت الله على كل حال، ثم قال يا أبا عبد الله ما زال أهل الحرمين يخبر ما كنت بين أظهرهم، ولتى أخالك آمناً لهم من عذاب الله وسطوته، ولقد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمة، فإنهم ما علمت أسرع الناس إلى الفتى وأضعفهم عنها، قاتلهم الله أنى يوفكون. قال مالك: ثم فاتحنى فيمن مضى من السلف والعلماء، فوجدته أعلم الناس بالناس، ثم فاتحنى فى العلم والفقهاء فوجدته أعلم الناس بما اجتمع عليه وأعرفهم بما اختلفوا فيه، حافظاً لما روى وأعياناً لما سمع، ثم قال لى: يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودونه ودون منه كتباً وتجنب شدائد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس وشواد ابن مسعود. واقصد إلى أواسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضى الله عنهم، لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكثبك ونبتها فى الأمصار ونعهد إليهم ألا يخالفوها ولا يقضوا بسواها، فقلت له: أصلح الله الأمير، إن أهل العراق لا يرضون علمنا ولا يرون فى علمهم رأينا، فقال أبو جعفر: يحملون عليه ونضرب على هاماتهم بالسيف وتقطع على ظهورهم بالسياط، فتعجل بذلك وضعها، فسيأتيك ابنى محمد المهدي العام المقبل ليسمعها منك فيجهدك وقد فرغت من ذلك إن شاء الله. قال مالك ثم أمر لى بألف دينار عينا ذهباً وكسوة عظيمة وأمر لابنى بألف دينار.

يظهر لنا بوضوح هذا المشهد الذي عرضناه أن المسلمين لم يعرفوا في تلك الأيام الانقسام المذهبي، سواء كان هذا الانقسام على أربعة مذاهب أو أكثر أو أقل، وأن وجود هؤلاء الفقهاء وتعدددهم لم يكن يعنى وجود مثل هذا الانقسام قدر ما يعنى وجود تعددية الآراء والأفهام والتفافها كلها حول قيادة أهل البيت، وهو الخطر الذى أحس به الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور، فأراد أن يجعل من مالك وأبى حنيفة فقه الدولة وقضاها، وأن يحمل الناس على مذهبيهما كما ذكرت الرواية المنقولة عن ابن قتيبة^(١)، فاستمضى عليه أبو حنيفة نظراً لشيعة وولائه لأهل البيت، فقتله سماً أو سجنًا لأحد يعرف على وجه الدقة، ثم استعمل تلميذه أبا يوسف قاضياً ليصبح مفتياً للدولة العباسية، ومن ثم قام بنشر المذهب الحنفى عن طريق قضااته الذين قام هو بتعيينهم فى مناصبهم.

ثم تطور الوضع نحو الأسوأ فى العصور التالية، وصولاً إلى الدولة المملوكية الأيوبية التى قامت بقصر الإفتاء على قضاة المذاهب الأربعة لا غير، حتى نشأت أجيال وأجيال لا ترى من الفقه إلا تلك المذاهب الأربعة، واندر كل ما عدها من المذاهب والمدارس الفقهية التى كان من الممكن أن تكون مصدراً ثرياً للفقه والاجتهاد.

الأسوأ الذى نعبه أن الفقهاء أو القضاة، وهم الماسكون بزمام الدين وخطبة الجمعة والقضاء والمواثيق، لم يكن أحدهم إلا قراءة المتنون الفقهية لهذه المذاهب والإفتاء من خلالها.

مصر واحتفاء المذهب الشيعى منها

يروى لنا المقرئى^(٢) السبب فى احتفاء المذهب الشيعى السائد فى مصر على عهد الدولة الفاطمية فيقول:

وأوقع صلاح الدين بأمراء الدولة وعساكرها، وأنشأ بمدينة مصر مدرسة للفقه الشافعى ومدرسة للفقه المالكية، وصرف قضاة مصر الشيعة كلهم وفوض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن دربلس المازنى الشافعى، فلم يستتب عنه فى مصر إلا من كان شافعى المذهب، فتظاهر الناس من حيثئذ بمذهب مالك والشافعى، واختفى منعب الشيعة الإسماعيلية والإمامية،

(١) الإمامة والسياسة.

(٢) السلوك فى معرفة آداب الملوك ج ٤ ص ١٦١.

حتى فقد من أرض مصر كلها ، وأما العقائد فإن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حمل الكافة على عقيدة أبي الحسن الأشعري ، وشرط ذلك في أوقافه التي بديل مصر ، فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، ولي بمصر والقاهرة أربعة قضاة وهم شافعي ومالكي وحنبلي ، فاستمر ذلك من سنة ٦٦٥ هـ حتى لم يبق بأنظار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة وعقيدة الأشعري ، وعودى من مذهب بغيرها وأنكر عليه ولم يول القضاء ولا قبلت شهادة أحد ولا قدم للمخطبة والإمامة والتدريس ما لم يكن مقلداً لأحد هذه المذاهب ، وأفتى فقهاء هذه الأمصار في طول المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عدلها والعمل على هذا إلى اليوم .

الكثير من المصريين على عهد الدولة الفاطمية كانوا من الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، بل إن وجودهم في مصر كان أسبق من وجود المذهب الإسماعيلي ، وهو ما ذكره المقرئ^(١) عندما تحدث عن

استيلاء أبي علي أحمد بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش على الوزارة؛ حيث أعلن بمذهب الإمامية والدعوة للإمام المنتظر وضرب دراهم نقشها: الله الصمد الإمام محمد ، ورتب في سنة ٥٢٥ هـ أربعة قضاة : اثنان إمامي وإسماعيلي ، واثنان أحدهما مالكي والآخر شافعي ، فحكم كل منهم بمذهبه وورث بمقتضاه .

الاجتهاد عند الشيعة

تبين مما سبق أن الحالة المذهبية بصورتها الراهنة ، أي انحصار المذاهب الفقهية في أربعة مذاهب هي من نتائج العصر المملوكي ، ومع ذلك فقد تغير الوضع بصورة جذرية عندما لجأت الدول إلى سن قننون الأحوال الشخصية الموحد الذي لا يفرق بين أبناء المذاهب ، وتضاملت سلطة الفقهاء والقضاة المذهبيين ، أو انحصرت في للجبال الأكاديمية لا غير ، بينما بقيت المؤسسة الدينية الشيعية تواصل الاجتهاد منذ عصر النشأة إلى يومنا هذا .

(١) الملوك في معرفة أئمة الملوك ج ٤ ص ١٦٠ .

حافظت المؤسسة الدينية الشيعية، أو المرجعية، على استقلالها المالى عن الحكام الذين ناصبوها العداء منذ البدء بفضل الخمس، وهو فريضة مالية تؤدى للإمام (المشار إليه فى الآية بدوى القريى) أو نائبه، أى المرجع المجتهد فى قوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ أَسْنُم بِاللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤١] وهو أيضاً ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المصادر الشيعية والسنية؛ حيث روى البخارى فى باب الإيمان:

حدثنا على بن الجعد قال أخبرنا شعبة عن أبي جمرة قال:

كنت أقعد مع ابن عباس يجلسنى على سريريه، فقال: أقم عندى حتى أجعل لك سهماً من مالى، فأقميت معه شهرين، ثم قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبی ﷺ قال: «من القوم أو من الوفد؟ قالوا: ربيعة»، قال: «مرحباً بالقوم أو بالوفد خير خزيماً ولا تقلمى». فقالوا يا رسول الله: إنا لا نستطيع أن تأتيناك إلا فى الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل، نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة. وسألوه عن الأشربة فأسرهم بأربع ونهاهم عن أربع، أمرهم: بالإيمان بالله وحده قال فأتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: «فهلدة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس»، ونهاهم عن أربع عن الحنتم والدباء والتبخر والمزفت. وربما قال التميمي وقال فاسفلوهن وأشهبوا بهن من وولاءكم».

المرجع الدينى هو الفقيه المجتهد المستول عن بيان الحكم الشرعى، الذى يحتاج المؤمنون معرفته فى عباداتهم ومعاملاتهم، وقد أكد الفقه الإمامى على هذه الحقيقة حيث يبدأ أى كتاب فقهى بتلك العبارات: (يجب على كل مكلف غير بالغ مرتبة الاجتهاد فى غير الضروريات من عباداته ومعاملاته، ولو فى المستحبات والمباحات، أن يكون مقلداً أو محتاطاً. والتقليد هو العمل مستنداً إلى فتوى فقيه معين. يجب أن يكون المرجع للتقليد عالماً مجتهداً عادلاً ورعاً فى دين الله، غير مكب على الدنيا ولا حريصاً عليها ولا على تحصيلها جاهاً ومالاً).

والشاهد أن مسألة الاجتهاد والتقليد هى من كبريات المسائل التى أثرت تأثيراً كبيراً فى مسار العالم الإسلامى، حيث نلاحظ أن المسلمين من غير شعبة أهل البيت لا

يهتمون بمثل هذه القواعد، مما أدى إلى أن تحتل المسألة الواحدة قولين وثلاثة وربما أربعة على أسس وضعها أصحاب المدارس الأربعة منذ أكثر من ألف ومائتي عام، بل وهناك أقوال متعددة داخل المدرسة الواحدة، وهو ما أفلحت مدرسة أهل البيت في تجنبه عن طريق التزام تقليد الأعلام المجتهدين في غير أمور الاعتقاد؛ حيث يوجب المذهب على كل مسلم أن يكون مجتهداً في أصل معتقده مثل إثبات الألوهية والنبوة والإمامة والمعاد.

وأذكر أن سائلاً سألني عن السبب الذي يجعل من يقوم بعقد الزواج يقول (على كتاب الله وسنة رسوله ومذهب أبي حنيفة النعمان) فقلت له: السبب أن المذهب الحنفي هو المذهب الوحيد من بين المذاهب الأربعة الذي أجاز إمامة غير القرشي؛ ولنا فقد اعتمدته الدولة العثمانية التركية مذهباً رسمياً لها، بالرغم من أن أغلب المصريين كانوا وقتها على المذهب الشافعي، ثم سألني عن قيمة هذا من الناحية الشرعية، فقلت له: لو أنصفوا لقالوا (على كتاب الله وسنة رسوله وقانون الأحوال الشخصية الذي هو خليط من المذاهب الإسلامية ومن بينها مذهب أهل البيت عليهم السلام).

ولنا فإن من أتبع له الاحتكاك بالوسط الشيعي يسمع من يقول: (أنا أقلد السيد السبستاني) حيث لا يجيز المذهب تقليد الفقيه الميت ابتداءً، بل يوجب تقليد الفقيه الأعلام الحى.

أسس الاجتهاد عند الشيعة

تختلف المدرسة الفقهية عند الشيعة عن غيرها من مدارس الفقه الإسلامي في رؤيتها لأسس الاجتهاد؛ أى استخراج الأحكام من أدلتها، ومن ثم فإن (الفقيه المجتهد) لم يظهر إلى حيز الوجود إلا بعد غيبة الإمام الثاني عشر، أى في منتصف القرن الثالث الهجرى. والشيعة كما هو معلوم يستدلون بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به بعدى لن تضلوا أبداً»، كتاب الله وعترتى أهل بيتي، وبالتالي ففى وجود إمام أهل البيت لم تكن هناك حاجة للاجتهاد، أى النظر فى كتب التفسير أو كتب الأحاديث لاستخراج الأحكام منها، بل كان التعرف على الحكم الشرعى يتم إما بالاجتهاد إلى الإمام مباشرة أو لى من تلاميذه، وعلى سبيل المثال فإن الإمام الصادق (جعفر بن محمد بن على بن الحسين) ولد فى ربيع الأول سنة

٨٣ هـ وتوفاه الله في شوال سنة ١٤٨ هـ، وعاصر الأحداث الجسام التي مرت بها الأمة الإسلامية في ذلك الوقت، من سقوط للأمويين وصعود للعباسيين وما نشب في وجههم من ثورات تحت راية الولاء لأهل البيت، مثل ثورة زيد بن علي، وثورة الخنيس الزكية، وكان له دور فاعل في كل تلك الأحداث.

وتزيد الأمور إلهاماً عن المرجعية ومؤسساتها.

يقول الشيخ محمد مهدي الأصفي:

المرجعية الدينية عند الشيعة الإمامية كيان فقهي كبير يحتل من حياتنا السياسية والدينية مساحة واسعة جداً، يرتبط بها الجمهور بأوثق العلاقات وأهمتها، وتكتسب تعليمات المرجعية بالنسبة للفرد الشيعة صفة الأمر والحكم الشرعي الملزم دينياً، والذي لا يجوز التخلف عنه ومخالفته. وللشيعة طريقتهم الخاصة في انتخاب المرجع الديني الذي يتصدى لشئون التقليد، فلا يتم اختيار المرجع من قبل النظام الحاكم، وإنما يتم انتخاب المرجع بصورة تدريجية عبر الزمن، والسبب في ذلك أن ارتباط (المقلد) الفرد المسلم بالمرجع يتم بعد اكتمال الثقة الكافية في الفرد نفسه تجاه المرجع في كفاءته الدينية والعلمية والإدارية، وامتداد هذه الثقة في مساحة واسعة من المجتمع يحتاج إلى زمن غير قليل.

إذاً فالمرجعية لا يجرى تعيينها بقرار رئاسي أو ملكي، بل يجرى طرحها من قبل علماء الدين الذين يكون واحداً من أبرز علماء الحوزة والذي تتوفر فيه الشروط التي ذكرناها سابقاً.

رأي الشيخ أبو زهرة رحمه الله

يقول الشيخ أبو زهرة^(١) تحت عنوان الاجتهاد في المذهب الجعفري وموه:

كان لا بد أن يكون المذهب الجعفري بمقتضى منطقته متسعاً متراساً التواحي والمجائب، فلذلك أنه يعتبر ثمرات فكرية لاثني عشر إماماً عاشوا في أكثر من قرنين وربع قرن، فإذا كانت أقوال كل هؤلاء دونت وجمعت جمعاً سليماً، فإنه يكون ثروة فكرية واسعة لأنهم كانوا يبينون الأحكام في هذه الملة المبدلة الطويلة.

الفصل السادس

أركان الشيعة

يقول الشيخ محمد رضا المظفر^(١):

نعتقد الشيعة الإمامية أنَّ الله تعالى واحد أحد ليس كمثله شيء، قديم لم يزل ولا يزال هو الأول والآخر، عليم حكيم عادل حي قادر غني، سميع بصير ولا يوصف بما تُوصف به المخلوقات، فليس هو بجسم ولا صورة، وليس جوهراً ولا عرضاً، وليس له ثقل أو خفة ولا حركة أو سكون، ولا مكان ولا زمان، ولا يشار إليه. كما لا ند له ولا شبه، ولا ضد، ولا صاحبه له ولا ولد ولا شريك، ولم يكن له كفواً أحد، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار. كل ما ميزناه بأوامرنا في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلنا مردود إلينا - على حد تعبير الإمام الباقر عليه السلام - ومن أشرك في العبادة غيره فهو مشرك.

النسوة

يعتقد الشيعة أنَّ النبوة وظيفة إلهية، وسفارة ربانية، يجعلها الله تعالى لمن يجتنبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في إنسانيتهم، فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصلحتهم في الدنيا والآخرة، ولقرض تنزيههم وتزكيتهم من مساوئ الأخلاق ومفاسد العادات، وتعليمهم الحكمة والمعرفة، وبيان طرق السعادة والخير لتبلغ الإنسانية كمالها اللائق بها، وتبلغ درجاتها الرفيعة في الدارين: دار الدنيا ودار الآخرة. كما أنَّ قاعدة اللطف توجب أن يبعث الخالق اللطيف بعباده رسلاً لهداية البشر وأداء الرسالة الإصلاحية، وليكونوا سفراء الله وخلفاءه. وأنَّ الله تعالى لم يجعل للناس حق تعيين النبي أو ترشيحه أو انتخابه وليس لهم الخيرة في ذلك، بل أمر كل ذلك بيده تعالى ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وليس لهم أن يتحكموا فيمن يرسله هادياً ومبشراً ونذيراً، ولا أن يتحكموا فيما جاء به من أحكام وسنن وشريعة.

(١) عقائد الإمامية.

كما يعتقدون أنه تعالى إذ نصب خلقه هادياً ورسولاً ، لا بد أن يعرفهم بشخصه ويرشدهم إليه بالخصوص على وجه التعيين ، وذلك منحصر بأن ينصب على رسالته دليلاً وحجةً يقيمها لهم إماماً للطف واستكمالاً للرحمة ، وذلك الدليل لا بد أن يكون من نوع لا يصدر إلا من خالق الكائنات ، ومدير الموجودات . أي فوق مستوى مقدور البشر ، فيجرب على يدى ذلك الرسول الهادى ؛ ليكون معرّفاً به ، ومرشداً إليه وذلك الدليل هو المسيح بالمعجزة ؛ لأنه يكون على وجه يعجز البشر عن مجاراته والإتيان بمثله . وكما أنه لا بد للنبي من معجزة يظهر بها للناس لإقامة الحجة عليهم ، فلا بد أن تكون تلك المعجزة ظاهرة الإعجاز بين الناس على وجه يعجز عنها العلماء وأهل الفن في وقته ، فضلاً عن غيرهم من سائر الناس ، مع اقتران تلك المعجزة بدعوى النبوة منه ؛ لتكون دليلاً على مدّعه ، وحجة بين يديه ، فإذا عجز عنها أمثال أولئك ، علّم أنها فوق مقدور البشر ، وخارقة للعادة ، فيُعلم أن صاحبها فوق مستوى البشر ، بما له من ذلك الاتصال الروحي بمدير الكائنات . وإذا تمّ ذلك لشخص ، من ظهور المعجز الخارق للعادة ، وأدعى النبوة والرسالة ، يكون حينئذ موهباً لتصديق الناس بدعواه ، والإيمان برسالته والخصيص لقوله وأمره ، فيؤمن به من يؤمن ، ويكفر به من يكفر .

ولأجل هذا وجدنا أن معجزة كل نبي تناسب عصره . ومعجزة نبيينا الخالدة هي القرآن الكريم المعجز ببلاغته وفصاحته في وقت كان فن البلاغة معروفاً وكان البلغاء هم المقدّمين عند الناس بحسن بياتهم وسموّ فصاحتهم ، فجاء القرآن كالصاعقة ، وأفهمهم أنهم لا قبل لهم به ، وعجزوا عن مجاراته ، وكذلك إخباره بالغيب .

ويعتقدون أن الأنبياء معصومون قاطبة ، وكذلك الأمة عليهم جميعاً التحيات الزكيات ، وخالف في ذلك بعض المسلمين ، فلم يوجبوا العصمة في الأنبياء ، إلا في تبليغ الرّوحى ، فضلاً عن الأمة .

والعصمة هي التّزّه عن الذّنوب والمعاصي صغيرها وكبيرها ، وعن الخطأ والنسيان وإن لم يمتنع عقلاً على النّبي أن يصدر منه ذلك ، بل يجب أن يكون منزهاً حتى عمّا ينافى المروءة ، كالتبذّل بين الناس من أكل في الطريق أو ضحك عال ، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام .

والدليل على وجوب العصمة أنه لو جاز أن يقترف النّبي المعصية ، أو يخطئ ، أو ينسى فيصدر منه شيء من هذا القبيل ، فإمّا أن يجب اتّباعه في فعله الصادر منه عصيئاً

أو خطأ أو لا يجب، فإن وجب أتباعه فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى، بل أوجبنا ذلك، وهذا باطل بضرورة الدين والعقل.

وإن لم يجب أتباعه فذلك ينفي النبوة التي لا بد أن تقترب بوجوب الطاعة أبداً.

وإن كان كل شيء يقع منه من فعل أو قول، نحتمل فيه المعصية أو الخطأ، فلا يجب أتباعه في شيء من الأشياء، فتذهب فائدة البيعة، بل يصبح النبي كسائر الناس، ليس لكلامهم ولا لعملهم تلك المرجعية العالية التي يعتمد عليها عالمنا، كما لا تبقى طاعة حتمية للأوامر ولا ثقة مطلقة بأقواله وأفعاله^(١)

الإمامة هي الفكر والفقه الإسلامي

الإمامة تمثل ذلك الحاضر الغالب والقاسم المشترك بين المدارس الإسلامية.

الإمامة حاضرة في الفكر الصوفي بعنوان الولي أو الإنسان الكامل، وترى وظائفها مقسمة في الفكر السني؛ حيث تفصل إمامة السيادة عن إمامة الفقه، بل وعن إمامة العقيدة؛ حيث كان الشخص يوصف بأنه (شافعي المذهب أشعري الاعتقاد)، في حين أن الولاء السياسي هو للخليفة العباسي أو للسultan المملوكي.

ورغم أهمية الإمامة من وجهة نظر الشيعة، فإنهم ينظرون إلى المخالف باعتباره مسلماً، وهو النهج الذي أقتره أئمة أهل البيت؛ حيث يروى عن الإمام الصادق عليه السلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله، به حققت الدماء وعليه جرت المناكح والمواثيق، وعلى ظهره جماعة الناس، والإيمان الهدى وما ثبت في القلب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة؛ حيث إن الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن، وإن اجتماعاً في القول والصفة^(٢)

وبالتالي فليس بين الشيعة وإخوانهم المسلمين مشكلة في الواقع العملي ولا في العلاقة الاجتماعية ولا في قاعدة التواصل الإنساني، فالشيعة لأهل البيت لم يكن يوماً ما حالة تكفيرية موجهة ضد أهل الإسلام، ولو سلمنا جدلاً أن من بين الشيعة من لا يحسن التصرف، فهو لا يمثل التيار الرئيسي بينهم، وقد يكون لهم العذر في ذلك

(١) هناك الإمامة للشيخ المفكر.

(٢) لم ينفرد الكليني الكلبي ج ٢

التاريخ الذي نحدثنا عنه وفي تلك الابتلاء - التي تعرض لها الشيعة من قبل بعض الجبهة والمتمسكين، ونرى أن تلك الحال أخذة في الزوال.

العدل

الأصل الرابع من أصول الاعتقاد عند الشيعة الإمامية، بعد التوحيد والنبوة والإمامة والإيمان بالبعث والحساب.

ويراد به: الاعتقاد بأن الله سبحانه لا يظلم أحداً ولا يفعل ما يستقبحه العقل السليم، وليس هذا في الحقيقة أصلاً مستقلاً بل هو مندرج في نعوت الحق، ومن ثم فهو شأن من شئون التوحيد، ولكن الأشاعرة لما خالفوا العدلية - وهم المعتزلة - والإمامية، أنكروا الحسن والقبح العقليين وقالوا: ليس الحسن إلا ما حسنه الشرع وليس القبح إلا ما قبحه الشرع، وأنه تعالى لم يخلد المطيع في جهنم والعاصي في الجنة لم يكن قبيحاً لأنه يتصرف في ملكه ﴿لَا يُسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣]. حتى إنهم أثبتوا وجوب معرفة الصانع ووجوب النظر في المعجزة لمعرفة النبي من طريق السمع والشرع، لا من طريق العقل لأنه ساقط عن متعة الحكم، فوقعوا في الاستحالة والدور الواضح. أما العدلية فقالوا: إن الحاكم في تلك النظريات هو العقل مستقلاً ولا سبيل لحكم الشرع فيها إلا تأكيداً وإرشاداً، والعقل يستغل بحسن بعض الأفعال وقبح البعض الآخر، ويحكم بأن القبيح محال على الله تعالى؛ لأنه حكيم وفعل القبيح مناف للحكمة، وتعذيب المطيع ظلم والظلم قبيح وهو لا يقع منه تعالى. وبهذا أثبتوا لله صفة العدل وأفردوها بالذكر دون سائر الصفات، إشارة إلى خلاف الأشاعرة مع أن الأشاعرة في الحقيقة لا ينكرون كونه تعالى عادلاً إلا أن العدل عندهم هو ما يفعله وكل ما يفعله فهو حسن. نعم أنكروا ما أثبتته المعتزلة والإمامية من حكومة العقل وإدراكه للحسن والقبح على الحق جل شأنه، زاعمين أنه ليس للعقل وظيفة الحكم بأن هذا حسن من الله وهذا قبيح منه.

القول بالعدل لا يعني إلغاء للرحمة أو إغلاق باب التوبة الذي لا يملك فتحه أو إغلاقه إلا الله، والشاهد أن تأكيد الإمامية على أهمية العدل واعتباره جزءاً من الاعتقاد جاء في مواجهة نظرية الإرجاء، وهي النظرية التي اعتمدها وعاظ السلاطين لطمأنة

للمجرمين الخائفين من القصاص النبوي فضلاً عن العقاب الأخرى، ولذا طرحت فكرة (أنه لا يضر مع الإيمان معصية) ومن هنا جله رد معاوية عليّ من قال له: حارب من تعلم وارنكت ما تعلم، فقال: وثقت بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِر الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ (الزمر: ٥٣). وإلى هذا المعنى أشار عمرو بقوله لاهنه: تركتُ أفضل من ذلك، شهادة أن لا إله إلا الله.

إنها ليست مجرد قضية أخروية بحتة كما قد يظن البعض للوهلة الأولى، إذ إن الطغاة والجبابرة هم دوماً في حاجة إلى جلاوزة غلاظ شداد لا يعصون أوامر الحكام ويفعلون ما يشاءون، ولذا تبدو أهمية أن يقوم وحفاظ السلاطين بطمأننة هؤلاء السفاحين وتثبيت قلوبهم لتتخذ كل ما يطلب منهم، إذ إن حفظ الأمن والنظام العام وتنفيذ ما يستد إليه من مهام، ولو كان قصف الكعبة بالمتجنين أو قتل الحسين، يصبح مجرد فتنة صغيرة ولا يتعاطف على الرب التقدير أن يغفر كل فتنة كبيرة!!!

نظرية الإرجاء السباسى أو نظرية الرحمة التى تعلو فوق العدالة هى نظرية (التعويض الإلهى للمتضررين) مقابل (العفو الإلهى عن المجرمين) والتعويض لن يكون من جيب الظالمين الذين سلبوا ونهبوا وقتلوا وعذبوا وزيفوا، ولكنه سيكون من ملك الله الذى لا يبلى؛ حيث ينعم المظلومون بالجنة الواسعة والتعظيم المقيم، وينعم الظالمون المرحومون بجنة أقل شأنًا ولكنها جنة على كل حال، وهى نظرية تقدم للبائسين حتى لا يفكروا فى الانتقام، فالأرض للظالمين والتجبرين، أما فى الآخرة فرحمة الله واسعة.

القانون الإسلامي لا يقر بنظرية التعويضات هذه، وإنما يقرر قاعدة العقوبات المتكافئة في كل الجرائم صغيرها وكبيرها حيث يقول سبحانه: ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ بِمَا اتَّخَذُوكُم بِالْأَنْفِ وَالْأَعْيُنِ بِمَا فَعَلْتُمْ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنِ وَالسِّنِّ بِمَا سَنَّ وَالْجُرُوحِ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١٥)﴾ [المائدة: ٤٥]. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧)﴾ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (٨)﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. وهو أبهى ما يؤكد عليه الإمام علي بن أبي طالب في كلامه (وسيتقم الله ممن ظلم، مأكلاً بما أكل، ومشرباً بمشرب، من مطامع الملوك، ومشرب الصبر وأهقر، ولباس شعار الخوف، ونداء السيف).

الاعتماد بالعدل الإلهي فضلاً عن أنه يؤكد على تحمل كل إنسان لمسئوليته الكاملة أمام الله، سواء في صورة فردية أو جماعية تضامنية، يطرح أيضاً أمام الفرد والمجتمع لعبة النظر في العواقب المحتملة للأعمال الآتية يوماً ما، شاء الإنسان أم أبى، ومهما طال الزمان، لأنه سبحانه هو إله الأرض والمدير لأمرها والحاكم بين أهلها فيما كتروا فيه يختلفون، في إشارة واضحة لأولئك الفراخنة الصغار والكبار ممن أغرتهم القوة والجبروت بالقول علناً أو سرّاً ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العظيم ﴿٨١﴾ [الزخرف: ٨١] ومن هنا فللمعادلة الإلهية توجب أن يكون الجزاء من جنس العمل.

الرؤية الشعبية للعدل الإلهي تلخصها كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

أَلَا إِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ: فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشُّرْكُ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [النساء: ١١٦]. وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهِنَاتِ. وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ. الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَرَحًا بِالْمَدَى وَلَا ضَرْبًا بِالسَّيَاطِ وَلَكِنَّهُ مَا يُسَكِّفُ ذَلِكَ مَعَهُ.

الإيمان بالعدل الإلهي يمثل قناعة إيمانية سياسية أخلاقية راسخة، تتكامل مع ما قدمه أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من توضيحات، وما تحمله من أذى مادي ومعنوي وحروب للشهيد وحملات للسخرية، ومقابر جماعية لم تتوقف لحظة منذ فجر تاريخنا الإسلامي، ومن ثم فهم يوقنون بصدق الوعد الإلهي للمستضعفين المظلومين بالنصر والتكفين، وهو ما يبدو واضحاً في أمرين:

الأول: هو عقيدتهم الراسخة في انتظار المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً؛ حيث يمثل ظهوره علامة فارقة في مسار التاريخ والصراع الذي عاشوه وضحوا من أجله بالغالي والرخيص.

لن يكون ظهور المهدي حدثاً فجائياً كمطر الصيف، بل هو تطور في سياق يعرفه الذين يكابدون مشقة حمل الحق، وعبه تعريف الناس بهذا الحق الثقيل.

أما الحدث الثاني الذي يرتبط بإيمان الشيعة بالعدل الإلهي، فهو إيمانهم بالرجعة، وهو أن الله تعالى يُعيد قومًا من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة في صورهم التي كانوا عليها، فيعزّز فريقًا ويذلّ فريقًا آخر، ويدلّل للحقّين من المظالمين والظالمين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمد (عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام) الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً بعد أن ملئت جورًا وظلمًا، ولذلك تعدّ الرجعة مظهرًا يتجلّى فيه مقتضى العدل الإلهي بعقاب للجرمين على الأرض نفسها التي ملئوها ظلمًا وعدوانًا، ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيمان أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من الثواب أو العقاب.

الرجعة حشر خاص مقابل الحشر العام الشامل الذي يكون يوم البعث والعليل عليه في كتاب الله ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يَكْذِبُ بِلَايَاتِنَا فَهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٧) حتى إذا جَاءُوا قَالَ أَكُذِّبْتُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ وَلَوْ أَنَّ الْقَوْمَ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَنَّمُوا فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢٩﴾ [النمل: ٨٣ - ٨٥].

وهي أيضًا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَقْوَامٌ حَدَرِ الْمَوْتَ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٧١) [البقرة: ٢٤٣].

الرجعة والظلم

الرجعة هي من الأمور التي لا يمكن لعقل مسلم يؤمن بالثواب والعقاب والبعث والنشور أن ينكرها أو يحكم باستحالتها حتى ولو لم يؤمن الإنسان بها، كما أن هذا التصور الذي يتكامل مع الإيمان بالعدل الإلهي، هو مما يبعث الأمل في نفوس المؤمنين ويحفزهم على الصبر والصمود، ويعينهم على تحمل الشدائد مهما بلغت الصعوبات.

الرجعة ليست ركنًا أساسيًا من أركان المعتقد الإمامي لئلا يقال إن الشيعة يرون فيمن لا يؤمن بالرجعة خارجًا عن المذهب، أو خارجًا عن الدين، فأركان التصور الإمامي خمسة هي (التوحيد والنبوة والإمامة والبعث والاعتقاد في العدل الإلهي).

أصول الفقه عند الإمامية

يقول السيد أمير القزويني^(١) موضحاً قواعد الفقه عند الإمامية :

قواعد الأصول النظرية العملية أربعة، وهي : الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل .

فهم أولاً يأخذون بنصوص القرآن ومحكماته ويرجعون في فهم ناسخه ومنسوخه وما تشابه منه إلى ما جاء عن أهل البيت النبوي ويحكمون بالتوقف [الرجوع] فيما لا نص فيه في حكمه إلى العقل .

والسنة هي مجموع ما ورد عن أهل بيته والعدول الأمانة من أصحابه من الأحاديث والأخبار من قول أو فعل أو تقرير .

أما الإجماع فيعتبر في حجته عندهم ما كان كاشفاً عن قول المعصوم أو كان المعصوم داخلاً في جملة للجسمين، بأن يكون دالاً عليه بالتفصيل، سواء أكتروا كثيراً أم قليلاً، فالعبرة به لا بكثرتهم، وما عدا ذلك من الإجماع فلا يعتد به مهما كان نوعه لجواز الخطأ على غير المعصوم، وإن كثروا فلا يصاب بهم الواقع كما مر .

أما دليل العقل، فهو كما يعرفه السيد القزويني^(٢)

القواعد الأصولية الفقهية، كالعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين ونحوها، والقسم الثلثي يبحث في أدلة العقل المتبعة في الاستنتاج والعمل، وهي أصول أربعة (البراءة، والاستصحاب، والاشتغال، والتخيير والتعادل والترجيح) .

الشيخ أبو زهرة

أما الشيخ محمد أبو زهرة فيطرح أصول الفقه عند الإمامية قائلاً^(٣) :

تعتمد أصول الفقه عند إخواننا الإمامية على الكتاب والسنة والعقل والإجماع؛ حيث ينقل عن الشيخ محمد آل كاشف الغطاء في كتابه «أصل الشيعة وأصولها» ما نصه :

(١) الشيعة في عقائدهم وأحكامهم ص ٨٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ٧٨ .

(٣) الإمام الصادق ص ٢٢٥ - ٢٨٥ .

المسلمون متفقون على أن أدلة الأحكام الشرعية منحصرة في الكتاب والسنة، ثم العقل والإجماع، ولا فارق في هذا بين الإمامية وغيرهم، نعم اختلفت الإمامية عن غيرهم في أمور منها أنهم لا يعملون بالقياس، وقد تواتر عن أئمتهم أن الشريعة إذا قيست بحق الدين، والكشف عن فساد القياس لا يتسع له المقام، ومنها أنهم لا يعتبرون من الأحاديث النبوية إلا ما صح منها من طريق أهل البيت عن جليلهم رسول الله، ومنها أن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحاً بخلاف جمهور المسلمين.

ويستفاد من هذا النص أمران، الأول اعتمادهم على العقل إذا لم يكن هناك نص، والثاني نفى القياس.

دليل القرآن

وما زال الكلام للشيخ أبو زهرة^(١)

القرآن بإجماع المسلمين هو حجة الإسلام الأولى، وهو مصدر المصادر له، وهو شريعته، وقد حفظه الله تعالى إلى يوم الدين كما قال سبحانه ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ الْخَالِقُونَ﴾ [الحجر: ٩] وإخواننا الإمامية على اختلاف منازلهم يرونه كما يراه كل مؤمن، ولقد جاء في الأخبار عن الصادق أن القرآن فيه بيان كل شيء (عن المعلى بن خنيس قال أبو عبد الله: ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال) وهذا الكلام يشير إلى معنيين:

الأول أن يكون القرآن شاملاً لكل الأحكام الكلية، وأن السنة لا تأتي بجديد، وأنها لا تقبل إلا بعد أن تعرض على الكتاب، فما وجد له أصل في كتاب الله قبل، وما لم يوجد له أصل لم يقبل. وقد روى في الكافي عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله «إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً»، فما وافق كتاب الله فخلوه، وما خالف كتاب الله فدهوه. وتنتهي من كل هذا إلى أن القرآن أصل لكل شيء، والسنة مسببة له في نظر الإمام الصادق ومن اتبعوه.

(١) الإمام الصادق.

والمعنى الثاني : أن القرآن كلُّه الشريعة، وأنه ما من أصل كلى إلا اشتمل عليه، وأن المرجع إليه أولاً وإلى السنة ثانياً، وأن السنة حجة قائمة ولكن استمدت قوة الاحتجاج منه.

السنة

وما زال العقل عن الشيخ أبو زهرة.

يروى الأصوليون ضرورة الاجتهاد والبناء على ما أثر عن الأئمة، وقرروا أنه لا يقبل خبر قبولاً قاطعاً عن الله تعالى إلا إذا كان طريقه كتاب الله تعالى أو سنة متواترة عن رسوله محمد ﷺ، أو خبر عن الأئمة المعصومين، أو أمر يرجع إلى الضرورات التي لا تختلف فيها المقول. والتكذيب للرسول والقرآن كفر، والتكذيب لأخبار الأئمة المعصومين فسق يفقد به الشخص الإيمان ولا يفقد الإسلام.

والسنة المتواترة حجة عندهم بلا خلاف في حجيتها، والتواتر عندهم يوجب العلم القطعي ولا يثبت الظن فقط، والتواتر عندهم قسمان: قسم عن النبي ﷺ وتواتر عن الإمام المعصوم، لأن الإمام كلامه حجة مثل كلام الرسول ﷺ تماماً وأنه يتحدث عن النبي وعن الله كما يتحدث الرسول، بيد أن الوحي لا ينزل عليه وإن كان ملهساً في كل ما يقول ومعصوماً في كل ما يفعل، وهم يقررون التواتر عن الرسول كونهم يعتمدون في أفضلية على بن أبي طالب بما يعتقدون من أن حديث خديج غدير خم قد ثبت بالتواتر، فيكون حجة على الجميع في أفضلية الإمام على سائر الناس.

العقل

يقول الشيخ أبو زهرة^(١):

ولحكم العقل دليل عند إخواننا الإمامية، فالعقل دليل حيث لا دليل من الكتاب والسنة ولا إجماع يعتمد عليه ويقف للجهل عنده؛ لأن الإجماع يكون كاشفاً عن رأى الإمام بمقتضى نظره ومناهجهم.

(١) الإمام الصادق ص ٣٨١.

الفصل السابع

بعض الاختلافات الفقهية في الفروع بين الشيعة والسنة

الزواج المؤقت والزواج المتمتع

من بين القضايا الخلافية التي يثور الجدل حولها بين الحين والآخر، قضية الزواج المؤقت أو زواج المتعة، الذي يرفضه البعض ويحرمه . وقبل أن نسرّد الأدلة على صحة هذا النوع من الزواج، نورد الأحكام المتعلقة به من كتب فقه أهل البيت .

يقول الشيخ محمد جواد مغنية^(١): أجمع فقهاء المذهب الجعفرى على أن الزواج الدائم والمنقطع يشتركان فى الأمور التالية :

- ١ - لا بد أن تكون المرأة عاقلة راشدة خالية من جميع الموانع، فلا يجوز التمتع بالزوجة ولا بالمعتدة ولا بالحرمة نسباً وصهرًا أو رضاعاً ولا بالمشاركة، ولا بد أن يكون المسلم أيهاً خالياً من الموانع .
- ٢ - لا بد فى عقد النكاح المنقطع من العقد اللفظى الدال صراحة على الزواج، تماماً كالزواج الدائم .
- الزواج المؤقت ينشر الحرمة تماماً كالدائم، فلا يجمع بين الأختين متعة كما لا يجمع بينهما دائماً .
- الولد من الزواج المنقطع كالولد من الدائم فى وجوب التوارث والإنفاق وبقية الحقوق المادية والمعنوية .
- ٥ - المتمتع بها (فراش شرعى) والولد للفراش إجماعاً ونصاً .
- ٦ - المهر فى المنقطع كالمهر فى الدائم من حيث تقديره قلة أو كثرة .

الضارقات بين الزواج الدائم والمنقطع

- لا بد فى العقد المنقطع من ذكر المدة المحددة .
- ٢ - المهر ركن من أركان العقد، فلو أخل بذكره بطل العقد .

(١) فقه الإمام الصادق .

٣- عدة الزواج المنقطع حيضتان أو ٤٥ يوماً إن لم يكن هناك حمل ، وإن كانت حاملاً فعدتها وضع الحمل .

٤- أما عن التوارث في الزواج المؤقت ، فلا يحدث توارث إلا عند الشرط لقول الصادق عليه السلام (إن اشترط الميراث فهما عند شروطهما) .

- بكره التمتع بالأنكح .

٦- للزوجة الدائمة حق المبيت ليلة واحدة من كل أربع ليال ، ولا يجب شيء من ذلك للمقطعة .

- تبين المقطعة من زوجها بمجرد انتهاء المدة أو هبتها ، ويجوز له أن يجدد العقد عليها دواماً أو انقطاعاً وهي في العدة منه ولا يجوز ذلك لغيره .

ويقول فقهاء المذهب الإمامي (إن حكم النكاح والدائم واحد في جميع ما سلف من الأحكام إلا ما خرج بالدليل) .

ويروى الشيخ مغنية عن وسائل الشريعة :

أن علي بن يقطين سأل الإمام الرضا عن المتعة ، فقال له : ما أنت وفك ، قد أغناك الله عنها . وسأله آخر فقال هي حلال مباح مطلق لمن لم يغنه الله بالتزويج فليستعفف بالمتعة ، فإن استغنى عنها بالتزويج فهي مباح له إذا غلب عنها ، أي الزوجة .

والشاهد أننا قد نقلنا عن ذلك الفقيه المجدد الشيخ محمد جواد مغنية الذي طرح الكثير من القضايا الفقهية بلغة تخاطب العقل وتبتعد عن لهجة المعاندة والمهازات المنهجية التي ألفها البعض . الزواج المؤقت هو ارتباط شرعي بين الذكر والأنثى ، ولكنه لم يشرع ليكون قاعدة للأسرة المسلمة والمجتمع ، بل شرع لتلبية الرغبات المشروعة التي تخرج عن الأوضاع المستقرة للحياة الاجتماعية والتي لا يضمن أحد بقاءها أو استمرارها ، إذ قد ينتهي الزواج الطبيعي لأسباب طارئة ، مثل وفاة أحد الزوجين أو الطلاق أو السفر الطويل أو تأخر الزواج العادي عن وقته الطبيعي ، ولذا فإن الشرع الحكيم أبهى أبواب الحلال مفتوحة مباحة من دون أن يحمل الطرفان الأعباء الكاملة لتأسيس أسرة دائمة قد يكون عبء تأسيسها متعباً من إنشاء تلك العلاقة المشروعة ، مثل السكن أو النفقة ، أو التوارث عند موت أحد الزوجين ، أو الإقامة المؤقتة في أحد البلدان .

أما ما يدعيه البعض من أن الهدف الوحيد للزواج هو الإنجاب فهو مكبرة، وهو يفض الطرف عن وجود تلك الرغبة الطبيعية لدى الإنسان.

أما عن أدلة مشروعية هذا الزواج من الكتاب والسنة فكثيرة ومتنوعة، فالقرآن الكريم قد تحدث عن ثلاثة أنواع من الزوجات:

النوع الأول هو الزواج الدائم من المرأة الحرة حيث يقول ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَى وَثَلَاثَ رُبَاعٍ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَحَقُّ أَلَّا تَعْدِلُوا ٣٠﴾ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نَحْلَةً فَإِنْ طِئَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاكْلُوهُ مِنْهُمَا مِمَّا كَرِهْتُمْ ٣١﴾ [النساء: ٣ - ٤] حيث لم يتحدث القرآن عن أى شروط إضافية.

النوع الثانى هو الزواج المؤقت أبشاً من المرأة الحرة: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَنْفِقُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ لَمَّا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَلَهُنَّ أَجُورُهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ٣٢﴾ [النساء: ٢٤].

ولذا فقد تحدث القرآن عن الصداق بصورة الفريضة، والفريضة هي قدر معين من المال إلى أجل مسمى، ثم أباح التراضي على مد المدة (من بعد الفريضة) أو أن يهب الزوج إلى الزوجة المؤقتة ما تبقى من المدة. وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازى^(١) عن عمران بن حصين قال: أنزل الله في المتعة آية وما نسخها بأية أخرى وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالمتعة وما نهانا عنها، ثم قال رجل يراه ما شاء.

أما النوع الثالث فهو الزواج من الأمة: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتَ الْمُؤْمِنَاتَ فَمَنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٌ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَخَلَّاتٍ أَخْدَانٍ إِذَا أَحْضَنَ فَإِنَّ أُنْثَى بَقَاحَةٍ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهَا نَصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ٣٣﴾ [النساء: ٢٥].

أما الأدلة من السنة فكثيرة :

أخرج البخارى عن عمران بن حصين قال نزلت آية المتعة فى كتب الله ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها ﷺ حتى مات ، قال رجل يراه ما شاء . قال الرازى^(١) يريد بقوله (قال رجل يراه ما شاء) عمر بن الخطاب .

وأخرج الإمام أحمد فى مسنده من طريق عمران القصير عن أبى رجاء عن عمران الحصين قال : نزلت آية المتعة فى كتاب الله تبارك وتعالى وعملنا بها مع رسول الله ﷺ ، فلم تنزل آية تسخها ولم ينه عنها النبى حتى مات صلى الله عليه وآله

أخرج البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فقلنا ألا نستخصى ؟ فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن نكح المرأة بالثوب ثم قرأ علينا ﴿وَمَا أَهْلُ الدِّينِ أَعْتَوُوا وَلَا يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غَرَضَاتٌ وَلَا تُنْفَعُونَ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٨٧) ﴿ [المائدة : ٨٧] .

جاء فى صحيح الترمذى أن رجلاً من أهل الشام سأل ابن عمر عن متعة النساء فقال هى حلال ، فقال إن أباك قد نهى عنها ، فقال ابن عمر : أرايت إن كان أبى نهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ أنترك السنة وتبى قول أبى ؟

أخرج مسلم فى باب نكاح المتعة عن عطاء ، قال قدم جابر بن عبد الله معتمراً فجهته فى منزله ، فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة ، فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر . الخ .

وأخرج مسلم أيضاً عن أبى نضرة قال : كنت عند جابر بن عبد الله فأنهأت فقال : ابن عباس وابن الزبير اختلفا فى المتعتين ، فقال جابر فعلناهما مع رسول الله ﷺ ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما .

نقل ابن رشد الأندلسى^(٢) ما يلى : روى عن ابن عباس أنه قال ما كانت المتعة إلا رحمة من الله رحم بها أمة محمد ﷺ ، ولولا نهى عمر عنها ما اضطرت الزنا إلا شقى .

أما عن الروايات التى تفيد بالمنع من هذا النكاح فهى روايات متضاربة ، فتارة يقولون نهى رسول الله ﷺ عنها يوم غدير ، وتارة يوم أوطاس ، وتارة يوم فتح مكة .

(١) مفتاح الغيب .

(٢) بداية الجهد ونهاية التقصيد ج ٢

ولاية المرأة على نفسها

انفرد الإمامية والأحناف دون بقية أصحاب المذاهب بجواز ولاية المرأة البالغة الرشيدة على نفسها، بكرة كانت أم نكحاً، بينما تمسك الآخرون برواية ضعيفة هي «أيما امرأة أتكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل» وهم يمدون ولاية الأهل من الذكور على المرأة الثيب، ومن الغريب ألا تتمكن الأملة التي تزوج أبناءها وبناتها من تزويج نفسها وأن تصادر حقها رواية ضعيفة مناقضة لقول الله تبارك وتعالى ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنْفِقْنَ بَعْضُهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ إِتْرَاضُوا بِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)﴾ [البقرة: ٢٣٢].

ويقول الشيخ محمد جواد مغنية^(١) (إن الولاية على خلاف الأصل، فإن لكل إنسان بالغ عاقل راشد أن يستقل في التصرف بجميع شئونه ولا يحق لأحد أن يعارض حقاً خاصاً أو عاماً، والمفروض أن البنت تصرف في شأنها الخاص لا في شأن غيرها، وأنها كاملة الأهلية من جميع الجهات).

الإمامية والإشهاد على الطلاق

هذه إحدى القضايا التي انفرد فيها الإمامية باتباعهم لظاهر النص القرآني في حين خالف الباقيون من دون بينة ولا دليل؛ حيث ذكر الشيخ سيد سابق^(٢) رحمه الله ما يلي:

ذهب جمهور الفقهاء من السلف والخلف إلى أن الطلاق يقع بدون إشهاد؛ لأن الطلاق من حقوق الرجل ولا يحتاج إلى بينة كي يباشر حقه، ولم يرد عن النبي ولا عن الصحابة ما يدل على مشروعية الإشهاد، وخالف في ذلك فقهاء الشيعة الإمامية فقالوا إن الإشهاد شرط في صحة الطلاق، واستدلوا بقوله سبحانه في سورة الطلاق ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنْفِقْنَ بَعْضُهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ إِتْرَاضُوا بِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ بَقِيَ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ

(١) فقه الإمام الصادق ج ٥ ص ٢٢٩.

(٢) فقه السنة ج ٢ ص ٢٢٠.

مخرجاً (١) ويرزقه من حيث لا يحسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً (٢) [الطلاق: ٢ - ٣]. ثم نقل عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال لمن سألته عن طلاق (أشهد رجلين عدلين كما أمر الله ٢٢) قال لا، قال انذهب فليس طلاقك بطلاق). وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه رضوان الله قال: الطلاق الذي أمر الله عز وجل به في كتابه والذي سن رسول الله صلى الله عليه وآله أن يخلى الرجل عن المرأة إذا حاضت وطهرت من محيضها، وأشهد رجلين عدلين على تطليقه وهي طاهر من غير جماع، وهو أحق برجعتهما ما لم تنقض ثلاثة قروء، وكل طلاق ما خلا هذا فهو باطل ليس بطلاق. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه «من طلق بغير شهود فليس بشيء». قال السيد المرتضى في كتاب «الانتصار» حجة الإمامية في القول بأن شهادة عدلين شرط في وقوع الطلاق ومتى فقد لم يقع الطلاق لقوله تعالى «وأشهدوا». فأمر تعالى بالإشهاد وظاهر الأمر في عرف الشرع يقتضي الوجوب (١)

والواقع أن هذه المسألة وغيرها من المسائل تثبت أن أهل البيت بحق هم عدل القرآن وأن التخلي عن قههم يقود في كثير من الأحيان إلى الوقوع في المهالك، إذ يكفي أن نلاحظ أن الله تبارك وتعالى أنزل سورة تتلى أسماها بسورة الطلاق ولم ينزل سورة اسمها سورة الزواج، إذ إن عملية تفكيك الأسرة هي أخطر من عملية البناء لما في ذلك من فك لتشابك الحيوط والعلاقات وحفظ حقوق الزوجة والأبناء ومحاولة راب الصدع، ولا أدري كيف استبدل القوم على منح هذا الحق المطلق للرجل من دون مراجعة ولا إشراف من الضمير الاجتماعي الممثل بشاهدي عدل نص عليهما كتاب الله !!!

بوث البهات أو الإرث بالتصهيب

قبل فترة قريبة نشرت جريدة الحياة يوم الأحد ٢٠٠٥/٤/٣ خبراً عن السياسي العراقي السني للخضرم عدنان الباجهجي كشف عن اعتناقه المذهب الجعفري قبل ستين «حفاظاً» على إرث بناته، مبرراً ذلك بالقول «هذا الموضوع لا يخرجنني وكثير من الشخصيات السنية يعتنق المذهب الجعفري من أجل حل هذا الموضوع».

إنما فالقناعة الضميرية السائدة لدى جمهور أهل السنة أن الإرث هو حق كامل للأبناء ذكورا كانوا أم من الإناث، وهم يطبقون ما يعتقدون أنه الصواب.

الفقه الإمامي لا يقر بجداً التمتع، والتمتع هو إعطاء العصبات بعد أصحاب الفروض، سواء أكان الفرض بسبب الزوجية أو غيرها، والعصبات هم أقرب رجل ذكر لا يتوسط بينه وبين الخوفاً أنثى، أى الأعمام وأبناء الأعمام، فلا يعد منهم الخال ولا ابن الأخ لأن استدلالاً بما رواه البخارى ومسلم «الحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلا يقرب رجل ذكر» وبناء عليه يحدث ما هو مشهور من قصر إرث البنات مع عدم وجود أخ ذكر على الثلثين ودخول الأعمام وأبناء الأعمام فى الإرث.

استدل الإمامية على اعتبار قرابة الأنثى كقرابة الذكر بقول الله تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (الأفقال: ٧٥). كما أن الإمامية قد أنكروا نسبة رواية «الحقوا الفرائض...» إلى رسول الله الذى رواها طاووس عن ابن عباس وقد أنكروا ابن عباس كما روى عنه قارئة بن مضروب:

قال قلت: روى الناس عنك وعن طاووس أن ما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر، قال: من أهل العراق أنت؟ قلت نعم؟ قال أبلغ عني أنى أقول قول الله عز وجل ﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْسًا﴾ [النساء: ١١]، وقوله تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأفقال: ٧٥] هل أبقتا شيئاً؟ ما قلت هذا ولا طاووس قاله. فقلت طاووساً، فقال والله ما قلت هذا، والرواية لم ترد إلا عن طاووس^(١)

كما أن الفقه الإمامي قد ساوى بين أبناء الظهور وأبناء البطون فى حق الإرث، أى بين بنات البنت وبنات الابن، بينما (لم يعتبر السنيون بنات البنت كبنات الابن ولا أبناء البنت كأبناء الابن، بل واعتبروا فروع الميت الذين تتوسط أنثى فى اتصال قراباتهم بالميت ليست فى مرتبة من لا تتوسط أنثى فى قرابتهم، وبعض الأئمة لم يعتبروها قرابة موروثة أصلاً، مثل مالك والشافعى، والبعض الآخر اعتبرها موروثة ولكن إذا لم يكن هناك أحد من قرابة الذكور كما هو عند الحنفية والحنابلة)^(٢).

(١) الشيخ أبو زهرة الإمام المصنف ص ٩٥.

(٢) المراجع نفسه ص ٩٦.

ويقول الشيخ أبو زهرة^(١) تحت عنوان (قراءة الأئمة كقراءة الرجل):

وقد تميز فقه الإمامية عن غيره أن البنت إذا انفردت تأخذ الميراث كله، كما أن الابن إذا انفرد يأخذ الميراث كله، بيد أن انفرد الابن جاء بسبب أنه يرث بمقتضى قرابته فقط والبنت ترث بمقتضى القرى **﴿فإن كن نساء فوق الأثنين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلهن النصف والأيوب لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبوه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين أبائكم وأبائكم لا تدرون أنهم أقرب لكم نفعا فرضة من الله إن الله كان عليما حكيما﴾** [النساء: ١١] ثم ترث البنت أو البنات بمقتضى الرد بعد إعطاء أصحاب القرى من الطبقة الأولى مثل الزوجة والأب والأم عملاً بقوله تعالى **﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ مِنْهُمْ أَوْلَى بِمَنْ فِي الْأَرْحَامِ﴾** [الأنفال: ٧٥].

كما أن الإرث لا يستقل إلى الطبقة الثانية، أي الإخوة والأخوات، أي عبر التعصيب أو ما يسميه القرآن بالكلالة مع وجود الأبناء سواء كانوا من الذكور أو من الإناث، والولد في سورة النساء هو الابن ذكراً كان أم أنثى لقوله تعالى: **﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَى﴾** [النساء: ١١] بدليل قوله تعالى **﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس﴾** [النساء: ١٢] والكلالة هي من لا ولد له **﴿يستغنوك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك﴾** [النساء: ١٧٦]

بعض أحكام الصوم في مدرسة أهل البيت

يعتقد الإمامية بوجوب الفطر في السفر عند استيفائه للشروط الشرعية، ومن ثم فهم يرون أن (الصوم في السفر كالفطر في الحضر).

الأدلة على ذلك:

ذكر الشيخ سيد سابق^(٢) عن أحمد وأبي داود والبيهقي بسند صحيح حديث معاذ،

(١) الإمام الصادق.

(٢) فقه السنة ج ١.

إن الله فرض على النبي ﷺ الصيام فأنزل في سورة البقرة ﴿وَمَا أَلِهَ الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبَ عَلَيْهِمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٨٧) **أَيُّهَا مَعْدُودَاتِ** فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَتَامِ الْخَرِ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَإِنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴿[البقرة: ١٨٣ - ١٨٤] فَكَانَ مِنْ شَاءِ صَامٍ وَمَنْ شَاءَ أَطْعَمَ مَسْكِينًا فَأَجْزَأَ ذَلِكَ عَنْهُ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ آيَةَ الْآخَرَى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَتَامِ أَوْ يَرِيدَ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدَ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٨٥) ﴿[البقرة: ١٨٥]، فَأُثْبِتَ صِيَامَهُ عَلَى الْمُقِيمِ الصَّحِيحِ وَرَخَّصَ فِيهِ بِالْفِطْرِ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ.

مِنْ هُنَا قَالَا يَاتِ الْأَوَّلُ تَتَحَدَّثُ عَنْ مَبْدَأِ الصَّوْمِ إجمالاً، سِوَاهُ كَانَ صَوْمُ رَمَضَانَ أَوْ غَيْرِهِ وَأَنَّ الصَّيَامَ غَيْرُ الْمُصَلِّينِ.

أَمَا مِنْ أَيْنَ جَاءَ (فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ عَلَى الْمُقِيمِ الصَّحِيحِ)؟؟

إِنَّهُ تَفْسِيرٌ مَعَاذَ بَنِ جَبَلٍ لِلنَّصِّ الْقُرْآنِيِّ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، تَعْنِي الْحُضُورَ وَالِاسْتِمْرَارَ وَالْإِقَامَةَ.

كَمَا رَوَى الشَّيْخُ سَيِّدُ سَابِقٍ أَيْضًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ **إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ الصَّوْمَ وَشَطْرَ الصَّلَاةِ وَعَنِ الْحَبْلِ وَالْمَرْحِ الصَّوْمَ**، أَيْ أَنَّ الْحُكْمَ مُتَعَلِّقٌ بِمَبْدَأِ السَّفَرِ ذَاتِهِ لَا بِمَبْدَأِ الْمَشَقَّةِ الَّتِي هِيَ مِنْ تَوَابِعِ السَّفَرِ، وَالْأَمْرُ هِيَ الْمَشَقَّةُ الَّتِي يَحْتَمِلُهَا الْمُصَلِّي فِي سَفَرِهِ وَالَّتِي تَقْتَضِي تَخْفِيفَ الصَّلَاةِ الرَّابِعَةِ لِتَصِحِّحِ ثَنَائِهِ؟

كَذَلِكَ هُنَاكَ الرِّوَايَةُ الْآخَرَى الَّتِي أَوْرَدَهَا مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ عِنْدَمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ بِالْفِطْرِ فِي أَحَدِ أَسْفَارِهِ، فَامْتَنَلَتْ بَعْضُهُمْ لِلأَمْرِ بِالْإِنْظَارِ وَصَامُوا آخَرُونَ فَقَالَ أُولَئِكَ الْعَصَاةُ.

وَرِوَايَةُ نَبِيَّةٍ أُخْرَى جَاءَ فِيهَا **فَقَهَبَ الْمُطْعَمُونَ بِالْأَجْرِ** أَيْ أَخَذُوا الْأَجْرَ دُونَ عَنِ الصَّالِحِينَ.

وقد روى أيضاً أن رسول الله ﷺ قال «ليس من البر الصيام في السفر»

وقد أكد الإمام الصادق على هذا الحكم عندما سأله سائل عن الصيام في السفر فقال: لا صيام في السفر، وقد صام أنس على عهد رسول الله فملاهم العصلة.

ثم تحدثت الآيات عن مبدأ التيسير كعلة لوضع الصوم عن المسافرين ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالتيسير هو جزء أصيل من أحكام الشريعة السمحة.

أما السفر الذي يوجب الفطر والقصر في فقه أهل البيت، فهو ما كانت مسافته ثمانية فراسخ امتدادية (٤٥ كيلومتراً) أو دائرية (ذهاباً وإياباً)، وألا يكون السفر لفعل المعاصي، وأن لا يكون السفر مهنة المسافر، ولا ينوي المسافر الإقامة عشرة أيام فما فوقها، أي أن الفطر ليس قاصراً على حال التلبس بالانتقال من بلد إلى بلد، فقط بل يبقى وصف السفر سارياً حتى يعود المسافر إلى بيته.

موعد الإفطار وصلاة المغرب عند الإمامية

يقول تبارك وتعالى ﴿لَمْ أَتَمُوا الصَّيَّامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة:]

ويروى مسلم بصيغ متعددة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ ههنا - وأشار بيده نحو المشرق - فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ»، وفي رواية «إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ مِنْ ههنا وجاء الليل من ههنا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ».

يقول الشيخ محمد جواد مغنية عن وقت المغرب: قال الإمام الصادق عليه السلام: وقت المغرب إذا ذهب الحمرة من المشرق، وهي فترة تستغرق ١٢ دقيقة تقريباً بعد غياب قرص الشمس عن النظر.

كما يقول أصحاب الفقه على المذاهب الأربعة والمذهب الإمامي (وعلى هذا لميز بين غروب الشمس ومغرب الشمس، فمتى قلنا الكلمة الأولى قصدنا سقوط الشمس واستارها، ومتى قلنا الكلمة الثانية قصدنا زهاب الحمرة المشرقة).

الجمع بين الصلاتين

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) ﴿الإسراء: ٧٨﴾

يرى الإمامية جواز الجمع بين الصلاتين أى الظهر والعصر فى وقت الظهر والعصر، والمغرب والعشاء فى وقت المغرب والعشاء، ودليلهم على صحة هذا تلك الآثار المستفيضة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام:

روى مسلم^(١) بصيغ متعددة عن ابن عباس، صلى رسول الله الظهر والعصر، والمغرب والعشاء جميعاً فى غير خوف ولا سفر... قال فسألت ابن عباس عن ذلك قال: أراد رسول الله ألا يخرج أحداً من أمته.

ولا شك أن المسلمين هم فى أمس الحاجة لأن يمارسوا العبادة بطريقة تحافظ على أوقاتهم بعيداً عن سبلة تبديد الوقت من غير طائل، وليستفيدوا من نصيحة الإمام الصادق عليه السلام «لتسع الوقت على أمته»!!.

السجود على التراب

من بين ما يؤخذ على الشيعة سجودهم على التربة الحسينية، ويمكننا تقسيم المسألة إلى قسمين:

القسم الأول: هو وجوب وضع الجبهة على التراب أو على الأرض حال السجود.
والقسم الثانى: هو استحباب أن يكون هذا التراب مأخوذاً من تربة كربلاء التى امتزجت بالعلماء الطاهرة لسيد الشهداء أبى عبد الله الحسين.

فيما يتعلق بمطلق السجود على الأرض، فلم يثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام بفرض مسجده بالسجاد أو غيره مع قدوته على ذلك، حيث يروى لنا مسلم بسنده: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فى الرجل يسوى التراب حيث يسجد قال «إِنْ كُنْتَ فَاعِلًا فَرَأَيْتَهُ».

(١) صحيح مسلم باب الجمع بين الصلاتين فى المحصر.

لم يكن المسجد النبوي مفروشاً بالبسط، بل كان السجود على التراب مع القدرة المؤكدة على فرشته.

أما التربة الحسينية فهي أكد في الطهارة والاحترام، وقد روى الحاكم النيسابوري عن أم سلمة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اضْطَجَعَ فَاثَ لَيْلَةٍ لِلنُّومِ فَاسْتَيْقِظَ وَهُوَ حَاتِرٌ، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَرَقَدَ ثُمَّ اسْتَيْقِظَ وَهُوَ حَاتِرٌ دُونَ مَا رَأَيْتُ بِهِ الْمَرَّةَ الْأُولَى، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَاسْتَيْقِظَ وَفِي يَدِهِ تَرْتِبة حمراءَ يَقْبِلُهَا فَقُلْتُ مَا هَذِهِ التَّرْتِبة يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَشْبَرُنِي جَبْرِيلٌ ﷺ أَنَّ هَذَا [لِلْحُسَيْنِ] يَقْتُلُ بِالْأَرْضِ الْعِرَاقَ، فَقُلْتُ لَجَبْرِيلَ الْوَنَى تَرْتِبة الْأَرْضِ الَّتِي يَقْتُلُ بِهَا، فَهَلْهُ تَرْتِبةا. ٤»

(ثم قال الحاكم): «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين (البخاري ومسلم) ولم يخرجاه»^(١)



(١) المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص ٣٩٨.

الفصل الثامن

شبهات حول الشيعة

التقية

إنها إحدى التهم التي توجه إلى الشيعة باعتبارها خلقاً سيئاً ينبغي أن ينتزه المؤمن عنه .

التقية في مذهب أهل البيت تعني شيئاً واحداً هو إخفاء الانتماء إلى المذهب ومداراة الناس ، ولكنها لم تكن يوماً ما رخصة ممنوحة بالكذب أو ارتكاب الحارم .

التقية أن يدارى الشيعة مذهبهم ويفعل كما يفعل الآخرون لئلا يتعرض للأذى ، والتاريخ والواقع المعاصر يشهدان على كم الاضطهاد الذي تعرض له الشيعة بغير ذنب ارتكبه سوى تشيعهم ، وقد تحدثنا مطولاً عن هذه اللحنة فيما سبق .

التقية هي سلوك اضطراري استثنائي دفاعي مشروع ، وقد أقر القرآن مبدأ الضرورات التي تبيح للمحظورات حفظاً للنفس والمال والعرض ، وتبقى أن الضرورات تقدر بقدرها وأن تلك الرخصة الممنوحة من عند الله لا يمكن لها أن تسع لتشمل الغش والكذب والظن ، كما أن هذه الرخصة تلغى بمجرد زوال الحال الموجبة لها ، أي عندما يتنقل المسلمون انتقالاً حقيقياً من عالم القمع والهمجية ومصادرة الفكر والمعتقد ، إلى عالم التحضر والرفق واحترام حرية الإنسان فيما يعتقده ، ولذا وبدلاً من أن يُعير الشيعة بسبب اضطراهم للجحود للتقية ، ينبغي أن يُعير من يحرم الإنسان من حقه في اتباع مذهب أهل بيت النبوة ، ومن لا يصدقنا فليقرأ تاريخنا في هذا المجال .

الأدلة على جواز اللجوء إلى التقية

﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٨) قُلْ إِنْ تُخَفُوا مَا فِي صُورِكُمْ أَوْ تَدْرُوهَ بِاللَّهِ يَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) ﴿ (آل عمران: ٢٨ - ٢٩) .

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّتُمْ عَلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُطْلُونَ بِأَهْوَالِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ (الأنعام: ١١٩)

﴿قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مُسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلٍ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ بِالْغَرِّ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٤٥)

﴿وَرَحِبْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَالِفٍ لِآيَاتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣)

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل: ١٠٦)

مصحف فاطمة

عن أبي عبيدة قال: سأل أبا عبد الله عليه السلام عن بعض أصحابنا عن مصحف فاطمة عليها السلام، قال فسكت طويلاً ثم قال: إنكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون. إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وأن جبرائيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان على عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام^(١)

المصحف اسم لكل ما أحصف، أي جمع في صورة أوراق وصحف، وليس اسماً للقرآن، فالقرآن هو كلام الله، وهو كتاب الله ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ مُحْمَدٍ﴾ (فصلت: ٤٢). الذي كان موجوداً في صدور الرجال قبل أن يجمع في مصحف وفقاً للرواية الشهيرة عن جمع القرآن في (مصحف عثمان).

والنسخة التي يورق به كل إمامي يقيناً جازماً، أن ليس هناك قرآن غير كتاب الله عز وجل الموجود عند كل مسلم.

(١) أبو جعفر الكليني الكافي ج ١.

تعريف القرآن

الاتهامات لا تقف عند حد، فتارة يقولون إن الشيعة لديهم قرآن آخر هو مصحف فاطمة، وتارة أخرى يقولون إن الشيعة يقولون إن القرآن الموجود بين أيدي الناس هو قرآن محرف، فأين الحقيقة من هذا؟

نكتفي بأن نقل للقارئ الكريم شهادة مجموعة من العلماء من الفريقين عن هذه المسألة:

١- الشيخ محمد المدني عميد كلية الشريعة في جامعة الأزهر: أما أن الإمامية يعتقدون نقص القرآن فمعاذ الله، وإنما هي روايات ورويت في كتبهم كما روى مثلها في كتبنا، وأهل التحقيق من الفريقين، قد بينوا بطلانها، وليس في الشيعة الإمامية أو الزيدية من يعتقد ذلك، كما أنه ليس في السنة من يعتقد، ويستطيع من شاء أن يرجع إلى أحد علماء السنة كالسيوطي^(١) ليرى أمثال هذه الروايات التي تضرب عنها صفحاً، فكيف يقال إن أهل السنة ينكرون قداسة القرآن أو يعتقدون نقص القرآن لرواية ورواها فلان أو لكتاب آله فلان؟

٢- الشيخ محمد الغزالي^(٢): لا يعرف التاريخ إلا قرأتنا واحداً منشور النسخ بين جماهير المسلمين من ليلة القدر الأولى إلى يوم الناس هذا، ولم يحدث خلاف على هذه الحقيقة خلال أربعة عشر قرناً مضت، فكتاب المسلمين واحد، وقد حاول بعض المستشرقين الصغار أن يختلق رية حول ذلك فزعم أن عند الشيعة مصحفاً آخر، وهو زعم ساقط كان أقل من أن نبه هنا، ولكننا نرخصنا في ذكره ليعلم من يجهل أن القرآن الذي يحفظه جميع المسلمين ويحفظون بنسخه في بيوتهم واحد، ولم يؤثر عن شيعة أو سني أو خارجي أو صوفي أن لديه قرآناً آخر غير هذا الكتاب القُدس. إن المصحف يطبع في القاهرة فيبعتيه مسلمو الهند وإيران من دون تردد، عالين بأن هذا هو الوحي الذي نزل على نبيهم.



(١) الإنقاذ في علوم القرآن.

(٢) دستور الوحدة العالمية بين المسلمين ص ٢٦.

التهمة الجاهزة لتكفير الشيعة هي سب الصحابة وهي من وجهة نظر القوم جريمة مخرجة من الملة باعتبار أن الصحابة هم الإسلام والإسلام هو الصحابة ومن ثم فالشيعة هم من الزنافة أعداء الدين ومن يحقدون حقاً حقيقياً على الإسلام وأهله لأن الصحابة هم من نقل لنا أحاديث رسول الله !!

السؤال الأول: من هم الصحابة؟ هل هناك تعريف محدد لهذا المصطلح ومن ثم لهذا الجرم المنسوب لشيعة أهل البيت؟

يقول ابن الأثير^(١) تحت عنوان من يطلق عليه اسم الصحبة .

قال الإسم أبو بكر أحمد بن علي الحافظ بإسناده عن سعيد بن المسيب أنه قال: الصحابة لا نعتهم إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين .

وقال الواقدي: ورأينا أهل العلم يقولون: كل من رأى رسول الله ﷺ وقد أدرك الحلم فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه، فهو عندنا من صحب رسول الله - ﷺ - ولو ساعة من نهار، ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدمهم في الإسلام .

وقال أحمد بن حنبل: أصحاب رسول الله - ﷺ - كل من صحبه شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه . وقال محمد بن إسماعيل البخاري: من صحب رسول الله ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه .

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب: لا خلاف بين أهل اللغة في أن الصلحى مشتق من الصحبة وأنه ليس مشتقاً على قدر مخصوص منها؛ بل هو جاز على كل من صحب قليلاً كان أو كثيراً، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال ولذلك يقال: صحبت فلاناً حولاً وشهراً ويوماً وساعة، فيوقع اسم الصحبة لقليل ما يقع عليه منها وكثيرة، قال: ومع هذا فقد تقرر للأمة عرف، أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن كثرت صحبته، ولا يجيزون ذلك إلا فيمن كثرت صحبته، لا على من لقيه ساعة أو مشى معه خطأ، أو سمع منه حديثاً؛ فوجب لذلك أن لا يجري هذا الاسم إلا على من

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة .

هذه حاله، ومع هذا فإن خبر الثقة الأمين عنه مقبول ومعمول به، وإن لم نطل صحبه ولا سمع منه إلا حديثاً واحداً، ولو رد قوله أنه صحابي لرد خبره عن الرسول.

وقال الإمام أبو حامد الغزالي: لا يطلق اسم الصحبة إلا على من صحبه، ثم يكفى في الاسم من حيث الوضع الصحبة ولو ساعة، ولكن العرف يخصه بمن كثرت صحبه.

قلت: وأصحاب رسول الله ﷺ - على ما شرطوه كثيرون، فإن رسول الله شهد حينئذٍ معه اثنا عشر ألفاً سوى الأنبياء والنساء، وجاء إليه هوازن مسلمين فاستغفوا حريمهم وأولادهم، وترك مكة مملوءة ناساً، وكذلك المدينة أيضاً، وكل من اجتاز به من قبائل العرب كانوا مسلمين، فهؤلاء كلهم له صحبة، وقد شهد معه نبوك من الخلق الكثير ما لا يحصيه ديوان وكذلك حجة الوداع وكلهم له صحبة، ولم يذكروا إلا هذا القدر، مع أن كثيراً منهم ليست له صحبة، وقد ذكر الشخص الواحد في عدة تراجم ولكنهم معذورون، فإن من لم يرو ولا يأتى ذكره في رواية كيف السبيل إلى معرفته!

أما ابن عبد البر الأندلسي^(١) فيذكر ما نصه: ولم أقتصر في هذا الكتاب على ذكر من صحت صحبته ومجالسته حتى ذكرنا من لقي النبي ﷺ ولو لقبة واحدة مؤمناً به أو رآه رؤية أو سمع منه لفظة فأدلهما عنه واتصل ذلك بنا على حسب روايتنا، وكذلك ذكرنا من ولد على عهده من أبوين مسلمين فدعا له أو نظر إليه وبارك عليه ونحو هذا، ومن كان مؤمناً به وقد أدى الصدقة إليه ولم يرد عليه، وبهذا كله يستكمل القرن الذي أشار عليه رسول الله ﷺ على ما قاله عبد الله عن أبي أوفى صاحب رسول الله ﷺ، وقد ذكرنا أنساب القبائل من الرواة من فريش والأنصار وسائر العرب في كتاب الإنباه على قبائل الرواة، وجعلنا مدخل هذا الكتاب لبختنا عن الرفع في الأنساب ويعبنا على ما شرطناه من الاختصار والتعريب وبالله العون لا شريك له. انتهى. يكشف هذا النقل عن مشاعية كلمة الصحابة وأن هذه الكلمة تطلق على آلاف من البشر ممن عاشوا في تلك الحقبة التاريخية من دون تحقيق ولا تمحيص لسيرتهم النائية أو الجهادية، ومن دون أن يكلف أحد من يقومون بتكفير الشيعة لأنهم (يسبون الصحابة) نفسه بتحقيق نعمة السب المشار إليها، ناهيك عن الخلط الشنيع بين رواية التاريخ، كما هو بغض

(١) الاستيعاب في أسماء الأصحاب.

النظر عما إذا كانت الرواية ترضى مزاج السامعين أو لا يسهرون سماعها، وبين تهمة السب والافتراء.

أى متعلق ببيع توجبه تهمة السب للكاتب أو المؤرخ الذى يتناول حقائق التاريخ بالسرد أو التعليق ولا يقوم بتوجيه التهمة نفسها لمن روى فى سيرهم وتواريخهم تلك الوقائع نفسها؟

من ناحية أخرى، فإن البعض يصر على المغالطة اللفظية عندما يستشهد بآيات القرآن الكريم على صحة منهجه القائل بعدالة الصحابة أجمعين، وأنهم خير القرون، إلى آخر ما هو معلوم.

خذ عندك آيات سورة الفتح التى يستدل بها القوم على عدالة الصحابة أجمعين، وما ترى فيها سوى مدحاً مشروطاً بالوفاء بالعهد الذى قطعه القوم على أنفسهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرِهِ أَعْظَمُ ثَأْنًا﴾ [الفتح: ١٠]. وبقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]. ولو قال سبحانه لقد رضى الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة لكان المدح عمومياً لكل من بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت الشجرة رغم أنه لا يوجد إحصاء رسمى أو سجل حوى أسماء هؤلاء والمهم أن المدح كان مقصوراً على (المؤمنين) الذين يبايعوا رسول الله فى هذا الموضع وعلى الذين صدقوا ما عاهدوا الله ورسوله عليه وعاشوا وماتوا وقد أوفوا بعهدهم ولم يغيروا ولم يبدلوا.

وهكذا فالذين وردت أسماؤهم فى كتب التاريخ أو كتب الحديث وشهد لهم القوم بالعدالة وهم (من لقي النبي ﷺ ولو مرة واحدة مؤمناً به أو رآه رؤية أو سمع منه لفظة فأدأها عنه وانصل ذلك بنا على حسب روايتنا وكذلك ذكرنا من ولد على عهده من أبوين مسلمين فدعا له أو نظر إليه وبارك عليه) أى أن هؤلاء المؤرخين والمحدثين قد اكتضوا بتدوين سيرة كل من أمكن تسجيل اسمه ممن انطبق عليه ذلك الشرط الفرضى من دون أن يجرى التطرق إلى حالة من الإيمان أو الفسق أو الصدق، وبالتالي فلا

أدري كيف يحكم عقل أو يقبل عقل باعتبار كل هؤلاء من العدول أو يرى في سرد تاريخهم بلسان الأمانة والصدق سباً للصحابة يخرج صاحبه من الدين والملة ١١٢٩ .

السب المزعوم إما أن يكون سباً لفظياً، هكذا من دون منطق ولا مبرر وكان الأمر كله كان معركة شخصية بين الشيعة وهؤلاء الصحابة، وهو أمر حتى وإن ثبت فهو لا يخرج فاعله من الملة، فما هو ابن تيمية يقول في مجموع فتاواه :

ففي حديث الإفك أن أسيد بن حضير قال لسعد بن عباد: إنك منافق تمهلد عن المنافقين، واختصم الفريقان فأصلح النبي ﷺ بينهم . فهؤلاء البديون فيهم من قال للآخر: إنك منافق ولم يكفر النبي ﷺ لا هذا ولا هذا بل شهد للجميع بالجنة، كما أن طائفة أخرى زعموا أن من سب الصحابة لا يقبل الله توبته وإن تاب، ورووا عن النبي ﷺ أنه قال «سب الأصحاب، فنب لا يغفر» وهذا الحديث كذب على رسول الله ﷺ لم يروه أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتبهم المعتلة، وهم مخالف للقرآن لأن الله تعالى قال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٤٨] . هذا في حق من لم يتب . فإذا كان الرجل قد سب الصحابة أو غير الصحابة وتاب فإنه يحسن إليهم بالدعاء لهم والثناء عليهم بقدر ما أساء إليهم والحسنات يذهبن السيئات .

انتهى النقل عن ابن تيمية^(١)

الاحتمال الآخر أن الأمر ليس سباً ولا شتماً، بل هو سرد لوقائع تاريخية، وأنه يمثل ضرورة عقلية وشرعية اقتضتها معرفة الرواة والتمييز بين الصادق والكاذب والمؤمن الحقيقي والمنافق عملاً بقوله تعالى ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ فَبَيِّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ [الحجرات: ٦] . وهذا الفاسق عن رأي النبي ﷺ شهوراً وسنوات وليس ساعة أو أقل .

ولذا فتح سنكتفي بعرض معلومات نهم القارئ العزيز عن بعض من روى لهم البخاري (أصبح الكتب بعد كتاب الله عز وجل كما يقولون) ويؤيد الملحاحات من تاريخهم من كتب لا تدن بالولاء لأهل البيت ولا تلتزم بالمذهب الشيعي وبدون تعليق منا

اعتماداً على فهم القارئ فقط ودون الحاجة إلى دكاته؛ لأن الأمر لا يحتاج إلى دكاء في الإطلاق.

المغيرة بن شعبة،

روى البخارى في (صحيحه):

حدثنا عمرو بن علي، قال حدثنا عبد الوهاب، قال سمعت يحيى بن سعيد، قال أخبرني سعد بن إبراهيم، أن نافع بن جبير بن مطعم، أخبره أنه، سمع عروة بن المغيرة ابن شعبة، يحدث عن المغيرة بن شعبة، أنه كان مع رسول الله ﷺ في سفر، وأنه ذهب لحاجة له، وأن مغيرة جعل يصب الماء عليه، وهو يتوضأ، فغسل وجهه ويديه ومسح برأسه ومسح على الخفين.

حدثنا عمرو بن خالد الحراني، قال حدثنا الليث، عن يحيى بن سعيد، عن سعد ابن إبراهيم، عن نافع بن جبير، عن عروة بن المغيرة، عن أبيه المغيرة بن شعبة، عن رسول الله ﷺ أنه خرج لحاجته فاتبعه المغيرة بإداوة فيها ماء، فصب عليه حين فرغ من حاجته، فتوضأ ومسح على الخفين.

حدثنا أبو نعيم، قال حدثنا زكريا، عن عامر، عن عروة بن المغيرة، عن أبيه، قال كنت مع النبي ﷺ في سفر فأهويت لأتزع خفيه فقال «دعهما فإني أدخلكهما طهرتين»، فمسح عليهما.

حدثنا إسحاق بن نصر، قال حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن المغيرة بن شعبة، قال وضأت النبي ﷺ فمسح على خفيه وصلى.

حدثنا محمد بن يوسف، قال حدثنا صفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن وراد، كاتب المغيرة بن شعبة قال أملى على المغيرة بن شعبة في كتاب إلى معاوية أن النبي ﷺ كان يقول في دير كل صلاة مكتوبة «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا متع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجند منك الجند». وقال شعبة عن عبد الملك، بهذا، عن الحكم، عن القاسم بن مخيمرة عن وراد، بهذا. وقال الحسن: الجند غنى.

إنما فالمغيرة بن شعبة هو من علمنا (الطهارة)، وهو من نقل تلك الرواية التي تمجيز المسح على ما يسمى بالخفين بدلاً من المسح على القدمين الواردة في القرآن الكريم في سورة المائدة ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]. وهو أيضاً من علمنا ذكر الله على كل حال.

ذكر ابن الأثير^(١) في أحداث سنة ١٧ هـ قال: في هذه السنة عزل عمر المغيرة بن شعبة عن البصرة واستعمل عليها أباً موسى وأمره أن يشخص إليه المغيرة بن شعبة في ربيع الأول. قال الواقدي وكان سبب عزله أنه كان بين أبي بكر والمغيرة بن شعبة منافرة وكانا متجاورين بينهما طرى وكانا في مشرتين في كل واحدة منهما كوة مقابلة الأخرى، فاجتمع إلى أبي بكر نفر يتحدثون في مشرته، فهبث الريح ففتحت باب الكوة فقام أبو بكر ليسده بقصر بالمغيرة وقد فحت الريح باب كوة مشرته وهو بين رجلين امرأة فقال للنفر قوموا فانتظروا. فقاموا فانتظروا وهم أبو بكر ونافع بن كلفة وزيد بن أبيه، وهو أخو أبي بكر لأمه، وشبل بن معبد البجلي، فقال لهم: اشهدوا، قالوا: ومن هذه؟ قال: أم جميل بن الأرقم وكانت من بنى عامر بن صعصعة وكانت تعيش المغيرة والأمراء والأشراف وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها، فلما قلمت عرفوها.

فلما خرج المغيرة ليؤم الناس في الصلاة، منعه أبو بكر وكثب إلى عمر بذلك، فبعث عمر أباً موسى أميراً على البصرة ورحل المغيرة ومعه أبو بكر والشهود فقدموا على عمر فقال له المغيرة: سل هؤلاء الأعباء كيف رأوني أمستقبلهم أم مستدبرهم وكيف رأوا المرأة أو عرفوها؟ فإن كانوا مستقبلي فكيف لم أستر أو مستدبري فبأي شيء استحلوا النظر إلي في منزلي على امرأتي؟ والله ما أنيت إلا امرأتي! وكانت تشبهها. فشهد أبو بكر أنه رآه على أم جميل يدخله ويخرجه كالليل في المكحلة، وأنه رآهما مستدبرين، وشهد شبل ونافع مثل ذلك، وأما زيد فإنه قال: رأيته جالساً بين رجلين امرأة فرأيت قدمين مخصويتين تخفقان واستين مكشوفتين وسمعت حفزاً شديداً. قال: هل رأيت كالليل في المكحلة قال: لا. قال: هل تعرف المرأة قال: لا ولكن أشبهها. قال فتفتح، وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد، فقال المغيرة: اشفني من الأعباء قال: اسكت أسكت الله نأمتك والله لو تمث لرجمتك بأحجارك!.

والهم أن الرجل أفلت من العقلب (بسبب عدم كفاية الأدلة وبطلان إجراءات الضبط) وكلها أشياء لا نطمح في عدلته ولا تشير من قريب أو من بعيد إلى انعدام مصداقيته فالتصحية من وجهة نظر القوم كلهم عدول !! .

والرواية ذكرها بقية المؤرخين مثل ابن كثير في البداية والنهاية وابن الجوزي في المنتظم .

الحالة الثالثة من أحوال المغيرة

والرواية لابن جرير الطبري^(١) :

(المأولى معاوية بن أبي سفيان المغيرة بن شعبة الكوفي في جمادى سنة ٤١ هـ دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وقد قال المتلمس :

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا لبعلمنا

وقد يجزى عنك الحكيم بغير التعليم ، وقد أردت إيصالك بأشياء كثيرة فأنا نازكها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطانتي ويصلح به رعييتي ، ولست نازكاً إيصالك بخصلة : لا تتحتم عن شتم علي بن أبي طالب وذمه والعب على أصحاب علي والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم وإطراء شيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع منهم) .

(وأقام المغيرة بن شعبة علامة على الكوفة سبع سنين وأشهر ، إلا أنه لا يدع ذم علي بن أبي طالب والوقوف فيه ، فكان حجر بن عدي إذا سمع ذلك قال بل إياكم فذم الله ولعن ، ثم قام فقال إن الله عز وجل يقول ﴿تَكُونُوا قَوْمِ آلِ أَبِي سَلَمَةَ﴾ [النساء : ١٣٥] . وأنا أشهد أن من نذمون ونعبرون لاحق بالفضل وأن من تزكون وتطرون هو أولى بالذم ، فيقول المغيرة : يا حجر ويحك ، انتك السلطان انتك غطبه وطروته ، فإن غضب السلطان أحباتنا مما يهلك أمثالك كثيراً . ثم يكف عنه ويصفح ، حتى كان في آخر إمارته قام المغيرة فقال : في علي وعثمان كما كان يقول ، فقام حجر بن عدي فنعر نكرة

(١) تلخيص الرسل وللأوك ج ٥ ص ٢٥٤ .

بالمغيرة سمعها كل من كان في المسجد وخارجاً منه، وقال: إنك لا تدري
 بمن تولع من هرمك أيها الإنسان، مر لنا بأزافتنا وأعطينا، فإنك قد حستها
 عنا وليس ذلك لك ولم يكن بطمع في ذلك من كان قبلك، وقد أصبحت
 مولعاً بدم أمير المؤمنين وتقرير المجرمين. فقام معه أكثر من ثلثي الناس
 يقولون صدق والله حجر وبر، مر لنا بأعطينا فإننا لا نستغنى بقولك فإلا
 يجدي علينا شيئاً وأكثرنا في مثل هذا القول ونحوه).

وبقى هذا الحال حتى مات المغيرة سنة إحدى وخمسين ولا تملك إلا أن نقول رحمه
 وإلا جرى اتهامنا بسبب الصحابة.

النموذج الثاني،

• سمرة بن جندب

روى البخاري:

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جرير، حدثنا أبو رجاء، عن سمرة بن جندب -
 رحمه - قال قال النبي ﷺ: «أريت رجلين أتيتهم قالوا اللهم رأيتهم يشق شقك لكلاب
 يكذب بالكعبة تحمل عنه حتى تبلغ الأفاق فيصنع به إلى يوم القيامة».

حدثني عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا قريش بن أنس، عن حبيب بن الشهيد،
 أمرني ابن سيرين أن أسأل الحسن، ممن سمع حديث العقيقة، فسأله فقال: من سمرة
 ابن جندب.

حدثنا مؤمل - هو ابن هشام - حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، وحدثنا عوف، حدثنا أبو
 رجاء، حدثنا سمرة بن جندب رحمه قال قال رسول الله ﷺ: «لنا ألقى الله أنهان
 فأتيتهم إلى مدينة مينة بدين ذهب ولون فضة، فطلقنا رجال شطر من خلقهم
 كأحسن ما أنت راء، وشر كأقبح ما أنت راء قال لهم انهبوا فقموا في ذلك النهر.
 فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاؤوا في أحسن صورة قالوا لي
 هذه جنة عدن، وهنا متلك قالوا: أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشر منهم
 قبيح فإنيهم غلطوا عملاً صلتنا وآخر سباً تجاوز الله عنهم».

روى ابن جرير الطبري^(١) قال :

وولي زياد حين شخص من البصرة إلى الكوفة سمرة بن جندب، فحدثني
عمر قال حدثني إسحاق بن إدريس قال حدثني محمد بن سليم، قال سألت
أنس بن سبرين : هل كان سمرة قتل أحدا؟ قال وهل يحصى من قتل سمرة
ابن جندب؟ استخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية
آلاف من الناس، فقال : له هل تخاف أن تكون قد قتلت أحدا بريئا؟ قال لو
قتلت إليهم مثلهم ما خشيت!! .

وروى الطبري أيضا : عن أبي سوار العدوي قال قتل سمرة من قومي في غداة سبعة
وأربعين رجلا كلهم قد جمع القرآن!! .

وأقبل سمرة من المدينة فلما كان عند دور بني أسد خرج رجل من بعض أزقتهم،
فجأ أوائل الحبل فحمل عليه رجل من القوم فضربه بالحربة . قال ثم مضت الحبل فأتى
عليه سمرة بن جندب وهو متشطح في دمه قال . ما هذا؟ قيل أصابته أوائل خيل
الأمير، قال إذا سمعتم بنا قد ركبتا فلتقوا أستأنا!! .

وفي سنة ٥٣ هـ مات زياد بن سمبة وعلى البصرة سمرة بن جندب خليفة له وعلى
الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد، فأقر معاوية سمرة على البصرة ثمانية عشر شهرا ثم
عزله، فقال سمرة رحمه الله لعن الله معاوية والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذبني
أيدي!! .

ويروى الطبري أيضا قال : حدثني عمر قال حدثني موسى بن إسماعيل قال حدثني
سليمان بن مسلم العجلي قال سمعت أبي يقول مررت بالمسجد فجاء رجل إلى سمرة،
فأدى زكاة ماله ثم دخل فجعل يصلي في المسجد فجاء رجل فضرب عنقه، فإذا رأسه
في المسجد ويدنه ناحية، فمر أبو بكر فقال يقول الله سبحانه ﴿فقد ألحق من ترائف^(١١)﴾
وذكر اسم ربه فصل^(١٢)﴾ [الأعلى : ١٤ - ١٥] . وذكر اسم ربه فصل . قال أبي
فشهدت ذلك . فما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير فمات شريفا . قال وشهدته وأتى
بناس كثير وأنس بين يديه فيقول للرجل ما دينك فيقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأنى يرى من الحرورية، فيقدم فيضرب عنقه حتى
مر بهما وعشرون .

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري .

تهمة سب أم المؤمنين، عائشة،

للشيعة موقف من أم المؤمنين عائشة، فهي من قادت جيش الفتنة في حرب الجمل في مواجهة إمام الحق علي بن أبي طالب.

إنه موقف لا تبرأ منه ولا نذاره ولسنا بحاجة للتوصل منه !!

من ناحية أخرى، فالادعاء بأن الشيعة يقدفون أم المؤمنين عائشة بالفاحشة والعياذ بالله هو اتهام فاسد واتراء على الله ولا دليل عليه على الإطلاق.

الأمر لا يحتاج إلى جهد لإثبات الطرف المخطئ والطرف المصيب في هذه الأحداث، ويكفي أم المؤمنين علمها بوصايا رسول الله الخواتمة بحب علي بن أبي طالب وموالاته (إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ وَأَنَا وَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ)، ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال: «من كنت وليه فهذا وليه، الله وال من والاه وعاد من عاداه» (من كنت مولاه فعلي مولاه) رواه النسائي^(١)

إنه تهديد وإنذار واضح من معاداته ودعوة واضحة لموالاته.

الحديث عن معركة الجمل له موضعه وهو ليس في هذا المكان^(٢)

فقط نريد أن ننقل للقارئ صورة من الخطاب القرآني الموجه لأم المؤمنين عائشة، ليعلم القوم أن القداسات والمقامات لا تبنى على أدلة وهمية ولا يمكن منحها من بشر لبشر مثلهم من دون بينة ولا دليل ولا برهان.

نحيل قارئنا العزيز على سورة التحريم وما فيها من خطاب إلهي موجه إلى عائشة وحفصة «إِنْ شِئْنَا إِلَى اللَّهِ فَكَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ۝ عَنِ رَبِّهِ إِنْ طَلِقْتُكَ أَنْ يَهْدِيَهُ أَزْوَاجًا خَيْرٌ أَمَ تَكُنْ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا قَائِمًا تَائِبًا عَائِدًا سَائِحًا تَبِمَاتٍ وَأَنْكَارًا» [التحريم: ٤ - ٥].

وإقرأ معي ما قاله الطبري في تفسيره لهذه الآية^(٣)

(١) المصالح.

(٢) انظر: كتنا: الجمل وفيه الطابور الخامس (نهد الطبع).

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن تاريخ الطبري.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحريم: ٤).
 يقول تعالى ذكره: إن تَوْبَا إلى الله أَيْتَهَا المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه
 رسول الله ﷺ من تحريم ما كان له حلالاً مما حرمه على نفسه بسبب حفصة. وينحو
 الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي،
 قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ
 قُلُوبُكُمَا﴾ (التحريم: ٤) يقول: زاغت قلوبكما، يقول: قد أمنت قلوبكما.

تأخذنا هذه الآيات وتفسيرها إلى حقيقة أخرى بالغة الأهمية وهي أن تهديد الرسول
 الأكرم صلى الله عليه وآله لبعض أزواجه بتطليقهن لم يكن بناء على مشورة من على بن
 أبي طالب كما يحلو لبعض أن يحكوا ويحدثوا، بل هو تهديد إلهي كان وراءه أسباب
 استوجبت تدوينها وتوثيقها في كتاب الله العزيز الوثيقة الأولى للمسلمين. ويبقى
 السؤال: كيف يمكن أن يكون تدوين التاريخ وسرد وقائعه كما هي سبباً للصحابة أو
 لأزواج النبي بخرج صاحبه من الدين والملة؟

قتال وقتل علي، مولى المؤمنين

وقتل الحسن والحسين أبناء الرسول

وقتل ذرية الحسن والحسين

ونسأل القارئ سؤالاً نظرياً وفقهياً وأخلاقياً:

أيهما الأسوأ... لعن من ظلم أهل البيت عامداً متعمداً، أم قتال وقتل علي وأبناء
 الرسول ﷺ وأحفاده؟

الفصل التاسع

فرق الشيعة

فرق الشيعة

يقول أهل المنطق : إن الحكم على شيء فرع عن تصوره .

لذا يبدو غريباً للغاية أن نسمع من يتحدث عن فرق الشيعة من دون أن يعرف ما هو التشيع .

أحد السدود الذي يمنع التعرف على المذهب الشيعي ، أن غالبية أصحاب الريادة في التعليم والإعلام في العالم الإسلامي اليوم ، من مذاهب مغيرة لمذهب أهل البيت ، والكثير منهم يرى فيه حالة من الانحراف ، ثم غاب عن بعضهم الإنصاف ، وهم لن يجدوا أفضل من كتاب الشهرستاني - الذي كتب قبل أكثر من ثمانية عشر عاماً - لبأخذوا ما قاله من دون تحقيق ولا تدقيق .

الكلام عن (فرق الشيعة) ، بل وعن صراع الفرق والأفكار عامة لا يستقيم من دون قراءة التاريخ فضلاً عن قراءة الواقع ، وكلها دراسات نراها نحن قاصرة عن تحقيق المراد منها في ظل غلبة المنطق الدعائي على المنطق العلمي والأخلاقي .

لذا نرى من الضروري أن نؤكد على مجموعة من الضوابط العلمية والأخلاقية يتعين الالتزام بها في أي دراسة لظاهرة الفرق الدينية .

١ - دراسة الأفكار المطروحة من خلال أدلتها الأصلية التي يؤمن بها المتبنون للفرقة أو المذهب ، وليست تلك الأدلة التي يراد فرضها عليهم (ابن سبأ نموذجاً) .

٢ - التعرف على المسار التاريخي لحركة هذه الأفكار وتفاعلها مع البشر والسياسة والمصالح .

٣ - التعرف على أوجه التداخل الفكري والفقهى بين أبناء المذاهب المختلفة (الشيخ سيد سابق نموذجاً في دفاعه عن مبدأ الإشهاد على الإطلاق) .

٤- وأخيراً ضرورة الاعتماد من استخدام المصطلحات التكفيرية (فرقة وحيدة ناجية ومن عداها في النار) سواء في دراسة المذاهب، أو حتى في العلاقة بين الأديان السماوية .

الخريطة المذهبية للشيعا

نعتقد أن كلمة شيعة الآن يمكن إطلاقها على ثلاث فرق، هم الشيعة الإمامية والشيعة الزيدية والشيعة الإسماعيلية .

الشيعة الإمامية

عرضنا فيما سبق بعضاً من أهم المعالم الاعتقادية والفقهية للشيعة الإمامية، وهم يشكلون الآن الغالبية العظمى ممن يمكن وصفهم بالشيع في العالم .

الشيعة الإمامية لم يرتبط وجودهم يوماً ما بوجود دولة أو بالقيام بثورة كما هو الحال مع الزيدية والإسماعيلية، فهم يشكلون حالة مستقلة بذاتها، خاصة وهم لا يستندون في مرجعيتهم الفقهية إلى أي نظام سياسي حتى ولو كان هذا النظام في إيران الإسلامية ذات الأغلبية الشيعية الكاسحة، وإنما يستندون إلى مرجعية الفقيه المجتهد الجامع للشرائط أباً كان موقعه .

يصعب إعطاء تقدير لعدد الشيعة الإمامية، ولكن أغلب المؤشرات تحدثت عن رقم يتجاوز الثلاثمائة مليون، يعيشون في إيران والهند وباكستان وأفغانستان والخليج العربي وسوريا ولبنان وجمهورية أسيا الوسطى، وهم الآن موجودون في أنحاء من إفريقيا شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، ناهيك عن أوروبا، وقليل في إندونيسيا، وأقل في ماليزيا .

الشيعة الزيدية

الزيديون هم العلويون من أبناء ومؤيدي زيد بن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أحد أبطال الحرية وشهادتها في الإسلام، وأحد الذين

لم يصبروا على ظلم وجور الحاكمين المتسلطين على الأمة ومن سياساتهم المنحرفة واستبدادهم، لذلك عمد إلى الثورة المسلحة إيقاظاً للأحرار وإنذاراً للظالمين. وإلى جانب أبنائه من ذريته، كذلك له أتباعه ومريديه من شيعته ومن ناصروه وناصروا أبنائه من بعده.

قلعت الدولة الزيدية في اليمن على يد الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب ... وهو الإمام الأول في اليمن ومؤسس الإمامة وتناثر المذهب الزيدي فيه، والذي بلغ عدد أئمته في اليمن منذ الهادي حتى محمد البدر ستة وستين (٦٦) إماماً، بدأ حكمهم من سنة ٢٨٤هـ.

كان الهادي يسكن المدينة في الحجاز على قول، أو الرس بين الحجاز ونجد، وفي سنة ٢٨٠هـ قدم إليه وفد من أهالي اليمن، يطالبه بالتقدم إلى اليمن لمبايعته إماماً كونه من آل بيت الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولتخليصهم من ظلم الحكام الظالمين.

الشعبة الإسماعيلية

الشعبة الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وهم الذين اعتقدوا بإمامة إسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق، رغم أنه مات في حيلة أبيه بعد زواجه وإنجابيه، وأن الإمامة تنحدر من نسل إسماعيل الذي انحدر منه خلفاء الدولة الفاطمية التي حكمت مصر أكثر من قرنين من الزمان.

افتقرت الشيعة الإسماعيلية بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر إلى فرقتين: الإسماعيلية المستعيلة نسبة إلى الخليفة الفاطمي أبي قحسب أحمد الملقب بالمستعيل بالله والإسماعيلية النزارية الذين رفضوا الاعتراف بخلافة المستعيل وابعوا لأخيه نزار الذي مضى إلى الإسكندرية ومنها إلى قلعة الموت «وليس الموت» (الآن في إيران شمال طهران) وكما يقول السيد حسن الأمين^(١): فقد انفرد النزاريون باسم الإسماعيلية وهم الأغاخاتية، وتخلص بقايا الفاطميين من اسم الإسماعيلية لما لحقه الأغاخاتية من تحولات بالمذهب ورفضوا باسم البهرة.

(١) حسن الأمين «في غمم التاريخ».

يقول العلامة الشيخ جعفر السبحاني في كتاب الملل والنحل : إن تأويل الظواهر وإرجاعها إلى خلاف ما يتبادر منها في عرف التشريعة هي السمة البارزة الثانية للدعوة الإسماعيلية ، وقد بنوا على هذه الدعامة مذهبهم في مجال العقيدة والشريعة .

كما تحتل الإمامة عند الإسماعيلية مركزاً مرموقاً فهم يعتقدون بالنطاق السبعة ، وأن كل ناطق رسول يتلوه أئمة سبعة :

١ - فآدم رسول ناطق ثلثة أئمة سبعة بعده .

٢ - فنوح رسول ناطق ثلثة أئمة سبعة .

٣ - فإبراهيم رسول ناطق جاءت بعده أئمة سبعة .

٤ - فموسى رسول ناطق ثلثة أئمة سبعة .

٥ - فعيسى رسول ناطق ثلثة أئمة سبعة .

٦ - فمحمد رسول ناطق ثلثة أئمة سبعة ، وهم :

على بن أبي طالب ، الحسن بن علي ، الحسين بن علي ، علي بن الحسين ، محمد بن علي الباقر ، جعفر بن محمد الصادق ، إسماعيل بن جعفر .

وبذلك يتم دور الأئمة السبعة ويكون التالي رسولا ناطقا سابعا وناسخا للشرعية السابقة وهو محمد بن إسماعيل ، وهنا مما يصادم عقائد جمهور المسلمين من أن نبي الإسلام - صلى الله عليه وآله وسلم - هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وشريعته خاتمة الشرائع ، وكتابه خاتم الكتب .

العلويون

إنها رابع الفرق الشيعية المتواجدة الآن على الساحة ، وربما يرى البعض ألا داعي لإفرادها بالحديث لأنها تتداخل مع الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، إلا أننا نرى أفراد الحديث عنهم نظراً لوجود بعض الغموض الذي يكتنف أوضاعهم ، والسبب يرجع في الأساس إلى ما لحق بهم من قمع وما تعرضوا له من حصار أغلب فترات تاريخنا ولا بد أن يكون هناك فارق بين من أتيح لهم التواصل مع المراكز العلمية والدينية للشيعة

الإسلامية فهم على بينة من أمرهم، وبين من عاشوا الحصار الخائف على يد الدولة العثمانية.

إنهم الآن في سوريا يقدرون بالملايين كما يقدر عدد سكان الطائفة العلوية في تركيا بنسبة معتبرة من السكان البالغ عددهم قرابة ٦٥ مليون نسمة، يتوزعون على ثلاث قوميات أصلية في البلاد: الأكراد، العرب والأتراك، ويطلق على العلويين العرب (التصيريين) ومعظمهم في منطقتي أضنة وأنطاكية ويتأخر عددهم ربع مليون نسمة ومن أهم مدنها لواء الإسكندرون (هاتاي بالتركي)، أما العلويون الأكراد فيتراوح عددهم بين ٥ - ٧ ملايين نسمة وهؤلاء يتواجدون في محافظات بينغول، نولجلى (ميرسيم)، سيواس، يوزغات، إيلازيق، قهرمان، وغيرها من المناطق الكردية في جنوب شرق البلاد، أما العلويون الأتراك فيعرفون باسم (القرزل بلش - الرأس الأحمر) ويتواجدون بشكل أساسي في منطقة الأناضول الداخلى وفي الغرب، مع تواجد قليل منهم على البحر الأسود، إضافة إلى وجود علويين تركمان في مناطق قارص، طوغات، تشوروم، باليق أسير وأزمير.

لما هي عقيدة العلويين؟

يقول الباحث أبو زين العايدين: في سنة ١٩٣٦م وفي أعقاب محاولة من المحتل الفرنسي لفصل العلويين عن بقية المسلمين نشر علماءنا في كراس قراراً من بندين:

البند الأول: كل علوي هو مسلم يقول ويعتقد بالشهادتين ويلبم أركان الإسلام الخمسة.

البند الثاني: كل علوي لا يعترف بإسلامه أو ينكر أن القرآن كتابه وأن محمداً ﷺ نبيه لا يعد في نظر الشرع علوياً ولا يصح انتسابه للمسلمين العلويين.

وقد أرفدوا هذا بمذكرة إضافية عن هويتهم ودينهم جاء فيها بالحرف: (إن العلويين شيعة مسلمون وقد برهنوا طوال تاريخهم عن امتناعهم من قبول دعوة من شأنها تحوير عقيدتهم)

وجاء فيها أيضاً: (إن العلويين ليسوا سوى أنصار الإمام علي، وما الإمام علي سوى ابن عم الرسول ﷺ وصهره ووصيه وأول من آمن بالإسلام ومن مكانه في

الجهاد والفقه والدين الإسلامى مكانته، وإن القرآن الكريم هو كتاب العلويين، وما العلويون سوى أحفاد القبائل العربية التى ناصرت الإمام على عليه السلام فوق صعيد الفرات).

وفى مناسبة أخرى أثارها المحتل الاجنبى أيضاً سنة ١٩٣٦م وقع علماءنا جواباً عن سؤال قدم إليهم، وتكتفى من الجواب بهذه العبارات ننقلها بالحرف: «ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين (٨٥)» [آل عمران: ٨٥] وإن مذهبنا فى الإسلام هو الإمام جعفر الصادق والأئمة الطاهرين عليهم السلام سالكين بذلك ما جاء به خاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول: (إنى تارك ليحكم ما إن تحكمم به فلن تفعلوا من بعدى: الثقلين أحدهما أطعم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وحررتى لأهل بيتى ولن يفتروا حتى يردا على الخوض).

هذه هى عقيدتنا نحن العلويين وفى هذا كفاية لقوم يعقلون.

ونحن اليوم حرصاً منا على تمتين الصلات بإخواننا فى الدين والوطن ووقاية لهم من الانخداع بما يدمسه أعداء العروبة والإسلام، ويرجف به المفثرون والحاقدون من شائعات تفرق وتهدم بما توقظ من فتن، وموقف الفتن معروف نصيبه من الله ورسوله. وعملاً بما بعلمه علينا روح الدين الإسلامى من واجب (البلاغ المبين) والتزاماً بما كان عليه أئمتنا الأظهر من غيرة على تبليغ رسالة النبى العزيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما عليه فقهاءنا الذين يتعمون خطى الأئمة المعصومين فى الغيرة على دين الإسلام وتوحيد كلمة بنى عملاً بهذه الأهداف الإنسانية الإلهية

وانسجاماً مع ما سبق لسلفنا الصالح من مواقف هادفة لتوحيد الكلمة بإعلان الحقيقة وإزالة كل إيهام وإيهام، وإظهاراً للحق والحقيقة ابتغاء مرضاة الله وتبشيراً من أنفسنا وإعلاء لكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، وقربة إليه تعالى ونفعاً للمؤمنين من خلقه، فقد عمدنا إلى اقتضاء سلفنا الصالح، وترجيح ما ارتفعت به أصواتهم وتحمدهم ما سجلته أفهامهم موجزاً بما ندين الله به سرنا وعلايتنا، ونحن بعملنا هذا لا نضيف جديداً إلى ديننا وعقيدتنا، ولكنه تمجيد لإقامة الحجة وإيضاح للحجة وتأكيد لما كنا ونكون عليه، كما نؤكد فى صلواتنا يومياً تمجيد العهد مع الله ورسوله فنشهد أن لا إله

إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وحكمة الله بالغة في إلزام المؤمنين بتجديد العهد مع الله كل يوم عدداً من المرات .

الله وحده نسأله أن يكون عملنا هذا قبساً يضيء إلى نوره كل جاهل أو مشكك ،
وهدياً تطشّن إليه كل نفس .

صقيدة العلويين

الدين : نعتقد أن ما شرعه الله سبحانه لعباده على لسان رسله وأخير الأديان وأكملها هو الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران : ١٩] ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

الإسلام : هو الإقرار بالشهادتين : (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) ، والالتزام بما جاء به النبي ﷺ من عند الله

الإيمان : هو الاعتقاد الصادق بوجود الله وملائكته وكتبه ورسله مع الإقرار بالشهادتين .

أصول الدين : نعتقد أن أصول الدين خمسة : التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد ، ونحب معرفتها بالبرهان والدليل الموجب للعلم لا بالظن أو التقليد .

التوحيد : نعتقد بأن الله تعالى عدل منزّه عن الظلم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رُبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف : ٤٩] . ولا يأمر الناس إلا بما فيه صلاحهم ولا ينهئهم إلا عما فيه فسادهم : ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [نصحت : ٤٦] .

النبوة : نعتقد بأن الله تعالى سبحانه لطفاً منه بعباده اصطفى منهم رسلاً وأمدهم بالمعجز الخارقة وميزهم بالأخلاق العالية وأرسلهم إلى الناس : ﴿فَلَوْلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء : ١٦٥] لتبلغ رسالاته حتى يرسدوهم إلى ما فيه صلاحهم ويحذروهم عما فيه فسادهم في الدنيا والآخرة : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ إِلَّا مَشْرُوعِينَ وَعَذْرَيْنِ﴾ [الأنعام : ٤٨] .

الإمامة : نعتقد أنها منصب إلهي اقتضته حكمة الله سبحانه لمصلحة الناس في موازنة الأنبياء بنشر الدعوة والحفاظة بعدهم على تطبيق شرائعهم وصونها من التغيير

والتحريف والتفسيرات الخاطئة، ونعتقد أن اللطف الإلهي اقتضى أن يكون تعيين الإمام بالنص القاطع والصريح ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]. وأن يكون الإمام معصوماً مثل النبي عن السهو والذنوب والخطأ، لكي يطمئن المؤمنون بالدين إلى الاقتداء به في جميع أقواله وأفعاله، والأئمة عندنا اثنا عشر، نص عليهم النبي وأكد السابق منهم النص على إمامه اللاحق، ونعتقد أن الإمام الذي نص عليه الله تعالى وبلغ عنه رسوله الأمين في أحاديث متواترة هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأخو رسوله وسيد الخلق بعده، وجاء النص بعده لابنه سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام وبعدهما للتسعة من ولد الحسين: الإمام زين العابدين علي بن الحسين، فابنه الإمام الباقر محمد بن علي، فابنه الإمام الصادق جعفر بن محمد، فابنه الإمام الكاظم موسى بن جعفر، فابنه الإمام الرضا علي بن موسى، فابنه الإمام الجواد محمد بن علي، فابنه الإمام المهدي علي بن محمد، فابنه الإمام الحسن بن علي العسكري، فابنه الإمام الثاني عشر صاحب الزمان الحجة المهدي عجل الله به فرج المؤمنين، وسيظهره الله في آخر الزمان فيبلا الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

المعاد : نعتقد أن الله سبحانه يبعث الناس أحياء بعد الموت للحساب ﴿وَأَن السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]. فيجزى للحسن بإحسانه والمسيء بإساءة.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَقِّ﴾

[النجم: ٣١].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ النَّاسُ أَلْفَاةً لِّبَرِّ أَعْمَالِهِمْ﴾ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

كما نؤمن بالمعاد فإننا نؤمن بجميع ما ورد بالقرآن الكريم والحديث الصحيح من أخبار البعث والنشور والحشر والجنة والنار، والعذاب والنعيم، والصراط والميزان، وما إلى ذلك: ﴿وَبَيْنَا أَمَّا بِمَا نَزَلَتْ وَآتَيْنَا رُسُلًا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾

[آل عمران:]

أدلة التشريع صنعاً أربعة

القرآن الكريم

نعتقد أن المصحف الشريف المتداول بين أيدي المسلمين هو كلام الله تعالى لا تحريف فيه ولا تبديل فيه. ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢] .

السنة النبوية

وهي عندنا ما ثبت عن النبي، من قول وفعل وتقرير، وهي المصدر الثاني للتشريع، ونعتقد أن من أنكر حكماً من أحكامها الثابتة فهو كافر مثل من أنكر حكماً من أحكام القرآن؛ لأن السنة النبوية لا تتعارض مع الكتاب الكريم، ويلحق بها ما ثبت عن الأئمة الطاهرين قولاً وفعلاً

الإجماع

نعتقد أن ما أجمع عليه المسلمون من أحكام الدين وفيهم الإمام المعصوم، فهو دليل قطعي ولو خفى علينا مستنده من الكتاب والسنة، والإجماع بهذا التعريف لا يتعارض مع نصوصهما.

العقل

الدليل العقلي حجة إذا وقع في سلسلة العلل، أو كان من المستقلات العقلية. ويقتصر استعمال الدليل العقلي في الفقه عندنا على الاجتهاد وهو من حصلت عنه ملكة تساعد على استنباط الأحكام الفرعية من أدلتها التضييعة والرجوع المقلد عندنا هو (من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه) .

فروع الدين

نعتقد أنها كثيرة، وكنا نؤثر أن نكتفى بذكر بعضها، رغبة في الإيجاز محبليين المتطلع إلى المعرفة والجاهل والتعنت إلى كتب علمائنا المنشورة في المكاتب فهي تفصل عقائدنا بوضوح.

ولكننا انسباقاً مع خطتنا التي رسمناها في هذا البيان رأينا أن نذكر بعضها بكثير من الإيجاز وخصوصاً العبادات منها:

الصلاة

نعتقد أنها «كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا» [النساء: ١٠٣]. وأنها عمود الدين وأهم العبادات التي فرضها الله، وأحب الأعمال إليه. ونعتقد أن الصلوات المفروضة يومياً خمس: الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح.

الصوم

نعتقد أنه من أركان الدين الإسلامي ويجب على كل مكلف مستطيع امتثالاً لقوله سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ» [البقرة: ١٨٣].

الزكاة

نعتقد أنها من الأركان التي بنى عليها الإسلام، ولها شرائط عديدة مذكورة في كتب الفقه.

الحج

نعتقد بأنه واجب لقوله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» [آل عمران: ٩٧]. ويجب على كل مسلم بالغ عاقل بشرط الاستطاعة.

الجهاد

وهو من أركان الدين ويجب من أجل الدعوة إلى الإسلام والدفاع عن الإسلام وبلاد المسلمين وعن النفس والعرض والمال .

هذه هي عقيدتنا نحن المسلمين (العلويين) ومذهبنا هو المذهب الجعفري الاثنا عشرى .

وإننا لنسأل الله أن يكون في بيتنا هذا من الحقائق ما يكفى لإزاحة الغباب عن عيون الجاهلين والمغرهمين وأن يجد فيه القريب والبعيد والمنصف والمتحامل منهلاً عذباً ومرجعاً مقنعاً .

وإننا نعتبر كل ما ينسب إلينا أو يقول علينا بما يفاير ما ورد في هذا البيان مفترياً أو مدفوعاً بقوى غير منظورة بهما أن تفرق كلمة المسلمين فتضعف شوكتهم أو جاهلاً ظالماً لنفسه وللحقيقة .

ومن الله وحده نستمد العون ونسأله التوفيق إلى ما فيه وحدة أمة محمد ﷺ وصلاحها في دينها ودنياها بتعارفها وتآلفها وتسامحها وتعاونها على البر والتقوى وعلى جهاد أعدائها المترهين الشر بنا جميعاً دون استثناء .

والحمد لله أولاً وآخرها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . انتهى .



